المملكة المغربية

وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي

سلسلة الرحلات -5-
حجازية -2-

أنس الساري والسارب

من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب

1040 - 1042 هـ / 1630 - 1633م

لمؤلفه

أبي عبد الله محمد بن أحمد القيسي

الشهير بالسراج الملقب بابن مليح

حققه وقدم له وعلق عليه

محمد الفاسي

فاس

1968 / 1388

المملكة المغربية
وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الاصلي

سلسلة الرحلات -5-
حجازية -2-

انس الساري والسارب

من اقطار المغارب
الى منتهى الآمال والمآرب سيد الاعاجم والاعارب

1040 - 1042 هـ/1630 - 1633م

لمؤلفه

ابي عبد الله محمد بن احمد القيسي
الشهير بالسراج الملقب بابن مليح

حققه وقدم له وعلق عليه
محمد الفاسي

فاس
1968/1388

تقـــديـــم

هذه الرحلة التي نقدمها اليـوم للقـراء هي الخامسة من هذه السلسلة التي لاقت كل تقدير من قبـل الجمهـور المثقف بالمغرب وبكل البلاد العربية وذلك لأنها احياء لتراث مجيـد وللون مـن الأدب طريف برز فيه المغـاربة وخلفوا فيـه آثـارا خـالدة .

وتعتبر هذه الرحلـة فـريدة من نوعها لأن صاحبها قصد الحجاز على طريق الصحراء مخترقا بلاد درعة وتوات وتديكلت في أيام الـوليد السعـدى سنـة 1040 هـ. (1630 م). وهـو يصف المراحل التـي قطعها في الصحـراء المغربية الى أن وصل الفزان ثم تابع السير قاطعا البـلاد الطرابلسية الى ان دخل القطر المصري ولا شك أن قوافل الحجاج كانت تتبع هـذه الطريق قبل القرن العاشر ولاكن لـم تصلنا رحلة واحدة تحدثنا عـن البلاد الصحراوية وترسم لنا بهذه الدقة المنازل والعيون والمناهل التـي كان الحجاج يمـرون بهـا في سيرهم نحو المشرق عبر صحاري المغرب وحتى رحلة العبدري التي سماها الرحلة المغربية لأنه قصد المشرق على طريق البر مخترقا جـنوب المغرب وشرقه من حاحة الى أن دخل المغرب الأوسط من تلمسان لم تتعرض بتفصيل للمنازل الصحراويـة

أمـا مؤلفهـا فلا نعرف عنه شيئـا مطلقا ولـم يرد اسمـه ولا الحديث عـن رحلته هذه فـي مرجع واحد مـن المراجع القديمة ولولا أن مخطـوط هذه الرحلة الفريد كابر الزمـان حتى وصل الينا لما كنـا نعلم بوجـوده ولا بـوجود صاحبه وهو غير مؤرخ وانما عليـه تـملك لشخص اسمه محمد مع بشـر لنسبته وذلك سنة 1276 هـ . كما بشر على تملك شخص آخـر كتب في عرد الصفحة الأولـى من الرحلة .

ويستفاد من هذا المخطوط الموجود الآن بالخزانة العامة تحت رقم ك 2341 ان مؤلفه يسمى أبا عبد الله محمد بن احمد بن عبد العزيز بن محمد القيسي الشهير بالسراج الملقب بابن مليح . وقد صرح أنه من أهل مراكش. ويظهر من نسبته القيسية انه كان عربي النجار ثم ان اسلوبه المنمق وما يورده من الاحاديث النبوية والأبيات الشعرية واطلاعه على كثير من الأخبار وتراجم الرجال كل ذلك يدل على أنه كانت له ثقافة اسلامية لاباس بها.

وقد ذكره صاحب الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام وكان ينتظر منه رحمه الله ان يلم بشيء من اخباره نظرا لتخصصه في معرفة احوال مراكش واهلها وان يخبرنا هل عائلة القيسي كانت معروفة بعاصمة الجنوب ونحو ذلك . ولاكنه اكتفى بذكر اسم المؤلف كما ورد في هذا المخطوط وقد كان اطلع عليه ولخصه في اربع صفحات (1) بدون ادنى زيادة من عنده وأورد في الفهرس اشكالا حول لقبه فقال « الملقب بابن مليح أو ابن فليح » مع أن هذا اللقب ذكر مرتين بوضوح تام في طليعة الكتاب وفي أول المقدمة ، فهو ابن مليح بدون أدنى ارتياب وقد رايت ابن الزيات التادلي ينقل في كتابه التشوف الى رجال التصوف عن احد معاصريه يسميه أبا العباس احمد بن محمد القيسي من اهل مراكش في الغالب فلعل رحالتنا ابن مليح من حفدته . ثم اننا نعلم ان احد علماء مرسية وهو محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن طاهر القيسي كان نزح الى مراكش في القرن السادس الهجري بعد ان كان ثار ببلده بعد انقراض المرابطين واستوطن العاصمة المراكشية حيث توفى سنة 574 هـ فلعله مؤسس هذه الأسرة القيسية . (2)

وهناك قيسي آخر من أصل اندلسي نزح كذلك الى مراكش في نفس القرن المذكور وتوفي بها

---

1) أنظر ج 4 ص 273 – 277

2) أنظر الاعلام المذكور ج3 ص 32 – 33

وكان ابن مليح صوفي النزعة وهـي صفـة تمتاز بها الثقافة الاسلامية في هذا العصر السعدي نتيجة للحملات الصليبية التي شنتها على المغـرب الأمم المسيحية خصوصا البرتغاليين أيـام الوطاسيين والتي أبلى في ردهـا ومـقاومتـها السعديون البلاء الحسن وقد توجت بالنصر الباهر الذي احـرزه المغاربة في معركة وادي المخازن الخالدة (1) ونراه يبتدىء رحلتـه بزيـارة مقابر الأولياء والصالحين الذين تعج بهم مدينة أغمات وريكة وقد اورد عـن كل واحد منهم مختصرا عن أخباره نقلا عن كتاب التشوف للتادلـي ويظهـر أثر الحركة الصوفية اذاك وعظيم نفوذها من كثرة الزوايا المنتشرة في اطراف الصحراء والتي يمر بها الركب وينزل عليها فيقتبله مشايخها بكل حـفـاوة واكـــرام .

« وكان مبدا الانفصال عن حضرة مراكش اقصى حواضر المغـــرب أدامها الله للاسلام » كما يقول من ضريح أبي العباس السبتي الشهير في آخر صفر من سنة 1040 هـ. (يوم الاثنين 7 أكتوبر سنة 1630م) واورد بهذه المناسبة ترجمتـه عن ابن الزيـات صاحب التشوف (2)

وخرج هذا الركب الحجازي تحت رئاسة احد مشايخ التصوف وهـذا ايضا من علامات نفوذ اصحاب الزوايا اذاك لان العادة ان يتراس مثل هـذه الوفود القواد والأمناء واكابر الدولة . وكان هذا الرئيس سيدي محمد بـــن الولي الاكبر ـ كما ينعته المؤلف ـ سيدي عبد العزيز بن سيدي محـمد بـن سـيدي أبـي عـمرو

ولا نريد في هذه العجالة أن نتبع المؤلف في مراحله فذلك ما نتـركه للقارىء ليطلع عليه بنفسه وانما نريد ان ننبه الى نقطة لها اهميتها التاريخية وهي انه يلوح من وصف هذه المراحل ان الركب كان يسير وهو يقطع اراضي تخضع للنفوذ المغربي . فنراه يمر بعد بلاد درعة بالدورة ثم ببير ابي العظام

---

1) انظر بحثنا عن هذه المعركة الحاسمة في مجـلة البحث العلمي العدد التاسع السنة الثالثة جمادى الثانية رمضان 1387 هـ. ص. 217 ـ 232

2) هذه الترجمة لا توجد في التشوف المطبوع لان مؤلفه كان جعلها كتابا على حـدة وقد أوردها العباس ابن ابراهيم في اعلامه ج 1 ص. 240 ـ 265

قريبا من تابلبالت حيث التقى بأحد قواد السلطان يسمى القائد جوهر وقد كلفه ملك المغرب بحمل هدية ثمينة لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قطع بلاد تابلبالت ودخل أراضي توات ونزل بالركان (1) ويسميه بني أركان حيث التقى بعامل السودان الباشا علي بن عبد القادر الشرقي ومعه ولد العلامة احمد بابا التنبكتي وسيدي احمد بن محمد السوداني وسيدي محمد ابن عبد العزيز الدرعي من تلامذة الشيخ احمد بابا ولما وصلوا الى بلاد تكشطن وهي في آخر قطر توات انضم اليهم جماعة من اهل تلك البلاد كانوا ينتظرون وصول الركب المراكشي ليرافقوه الى الحجاز . ثم قطعوا مراحل في بلاد تديكلت وسمى كثيرا من عيونها وآبارها منها بير سيدي موسى بن معرف صاحب ركب فاس الى أن وصلوا بلاد سردلس قريبا من الفزان وفي ناحيتها التقوا بالركب الآتي من فاس وعلى رأسه سيدي محمد الحفيان ثم وصلوا الفزان التي لم تكن تابعة للمغرب فقال : «فاتصل الخبر بأميرها وذكر له من كبر محلتها وعظيم رئيسها وأن بها شريفا قرشيا فحار امره لذلك وطاش عقله هنالك ، فوجه من فرسان دولته وخدام مملكته نحو اثنى عشر فارسا لاختبار أحوال المحلة ومن فيها من الرماة وأصحاب التروس.» وهكذا نرى هذه المحلة تقطع كل بلاد صحراء المغرب من درعة الى الفزان بدون أن يتعرض لها احد ولا أن يشار الى «حكم أمير» او «فرسان دولة» او «خدام مملكة» الا ما كان من قواد المغرب وولاته حتى بلغ الركب المغربي حدود الفزان حيث فارق التراب المغربي واحتيج الى المفاوضة مع مبعوثي أمير الفزان للمرور في نيالته.

أما وصفه للديار المصرية وللاراضي الحجازية فهي على ما يعهد في مثل هذه الرحلات وفائدة هذه الرحلة من هذه الناحية ترجع لاعطاء معلومات عنها في هذه الحقبة من التاريخ فتكون حلقة من سلسلة الرحلات الطويلة التي وصفت هذه المراحل وعينت المنازل والمناهل وتصلح لوضع خريطة طريق الحجاج المغاربة عبر التاريخ وتحقيق أسماء المراحل التي يمرون بها والمسافات التي بين كل مرحلة والتي تليها

وقد شحن هذه الرحلة بمقطعات شعرية حول الشوق الى زيارة البقاع المقدسة خصوصا قبر النبي صلى الله عليه وسلم وحول المواضيع الصوفية.

1) بقاف معقودة

ومن جملة فصولها المفيدة وصف الهدايا التي وجهها الملك السعدي الوليد بن زيدان مع القائد جوهر لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد أثنى الثناء العاطر على هذا الملك مع أنه ألف رحلته بعد وفاته حيث يترحم عليه ومعنى ذلك أنه وضعها بالأقل ثلاث سنوات بعد رجوعه ان كان ألفها باثر وفاة الوليد مباشرة وقد وقعت يوم الخميس 14 رمضان سنة 1045 هـ (21 يبراير 1636 م).

وكانت مدة غيبة ابن مليح منذ أن خرج من مراكش ووصل الى المدينة المنورة الى أن رجع الى المغرب ودخل بلاد درعة سنتين ونصفا وستة أيام، ولم يؤرخ لدخوله مراكش فاذا اعتبرنا أنه في الرجوع قضى بين درعة ومراكش مثل المدة التي قضاها في الذهاب وهي اثنى عشر يوما تكون مدة غيبته ثلاثين وتسعمائة يوم قطع فيها كما ذكره مفصلا ومجملا في آخر رحلته ثمانيا ومائتي مرحلة

أما المخطوط الفريد لهذه الرحلة فهو من القالب الرباعي وحجمه 20 على 16. ومسطرته 20 متقن الكتابة وعناوينه مذهبة ويحتوي على عشرة كراريس تنقص الكراس السابع منه ورقتان ولاكنهما سقطتا قبل الكتابة وفيه بتر ورقة في الكراس الأول ، ولاكنه كثير التصحيف مما جعل تحقيقه صعبا وبهذه المناسبة أشكر الاستاذ السيد الطاهر الفاسي مدير فرع المنشورات واحياء التراث بفاس الذي أعانني في تصحيح النسخة التي استخرجتها من المخطوط

وقد اعتنى المؤلف بوضع عناوين لبعض فصوله وقد أضفت اليها عناوين أخرى لتسهيل قراءته والاستفادة منه وجعلتها بين هلالين لتمييزها عن العناوين الأصلية كما ذيلته بفهارس مختلفة لتتميم الفائدة والله سبحانه المسؤول أن يوفقنا لمتابعة نشر هذا التراث الجليل احياء لثقافتنا وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الرباط في 13 شعبان الاول 1389 25 اكتوبر 1969

محمد الفاسي

رئيس جامعة محمد الخامس الشرفي

ووزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية

والتعليم الاصلي

من الدنيا للفنا ويكررها المرات من غالب كلامه في اكثر احواله
رضي الله عنه وارضاه ومتعنا ببركاته ورضاه ○ شعر ○

لله في الخلق اسرار وانوار ● ويصطفي من يرضى ويختار ●
لا تخون فيهم الا من رأيت به ● فمن يكون له فضل ومقدار ●
والمرء بالنفس لا بالجنس تعرفه ● فمن يخلق الخير والمنزل يختار ●
والتبر في الترب مخفي كان منه ● حتى يخلصه بالسبك مسبار ●
ورب اشعث في طمرين منتجد ● له على الله في الاقسام ابرار ●

ثم انتقلنا لبلاد كسكس وهو من ثمر منتجع عن الطريق الجادة
فصرنا م لرغبتنا في التنزه معنا الى ان جئنا في روضة الولي الصالح
البركة سيدي محمد بن عمر وروضة والده سيدي عمر وجئنا من هنالك الى اولاد
ثلاثة سادات احد احياء وصلنا اشهر مرحلة بعل بين مدا اذا المدشر
وبين مدشر اوكروت داخر بلاد توات من تلك البلاد الناحية اقمنا
به يوما للتهيء لدخول الصحراء المعروفة بازكر التي هو خمسون يوما
بالقافلة مثلها وضعناها ولم نشتاق ايام صحراء يابسة غبراء فيها ست
مراحل ثم بعدها ولديهم باملسا سكيشر الاثمر والكلا ليس فيهم
الا بير واحدة وجعلنا الركب بيراء اخرفنا فيه يوم الرعي الجمال
ثم سبع مراحل كبار لا ترى فيها الا العيس والغبار ثم في اليوم
الثامن عرضت لنا تنبيه ارتفعت في الجو عالية اعتذرنا منه
من العشاء لعربنات فابعات مشمرات بعربنات الحجاج
ثم ثلاثة مراحل صحراء غبراء ثم في اليوم الرابع واد يدعى بواد ارسم

صورة صفحة من مخطوط الرحلة

مقدمة المؤلف

الحمد للــه الذي عقد ازمة ازرار ثوب الوجود بحكمة واتفاق ، وخلق الخلق وقسم بينهم الارزاق ، وفرض الحج على المستطيع لا غير ، لطفا منه واشفاق ، وقدر الارزاق للكبير والصغير ، والرفيع والوضيع ، لا عن وجوب ولا استحقاق، ويسر سبحانه على من شاء من امة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، حج البيت صحبة الرفاق ، احمده حمد من سكر من حبه ، وحظي بدنوه وقربه ، فتــاه في ميدان الاستباق ، واشهد ان لا الــه الا الله وحده لا شريك له شهادة من ذاق من شراب المحبة والاشتياق اليه اعذب مذاق ، واشهد ان محمدا عبده ورسوله ، وحبيبه وخليله ، المؤيد بالفطنة والعلم والتاييد في الحكم والشفاعة يوم التلاق ، صلى الله عليه وعلى آله الموفين بالعهد والميثاق ، ما اقلت ناصية الفلا مناسم ركبان النلاق ، وغنت على كراسي الاغصان الحمائم ذوات الاطواق ، وزفت لروضة الحجاز عرائس النياق ، وتزاحمت على ورود الصفا وفود الآفاق .

أما بعد فيقول العبد المطوق بالفقر والاحتياج ، السقيم القلب الذي يرجو أن يكون عفو ربه له نعم العلاج محمد بن احمد بن عبد العزيز بن محمد القيسي الشهير بالسراج ، الملقب بابن مليح ، عامله الله باللطف ونهج به اعظم انتهاج ، ومــلأ قلبه في الاخرة باسرور والابتهاج ، لما ثار في قلبي الغرام لبلد الله الحرام ، وهاج علي الشوق الساكن ، لافضل البقاع والاماكن ، وكيف لا يهيج غرامي ، ويثور علي هيامي ، لبلد سماه الله البلد الامين ، واوجب حجه على جميع المسلمين فقال تعالى: (ومن أصدق من الله قيلا) «والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا» وروى البخاري » صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال، من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الحجاج والعمار وفد

الله ان دعوه اجابهم وان استغفروه غفر لهم رواه ابن ماجة ، وفي رواية اخرى ، الحجاج والعمار وفد الله ، ان سالوه اعطاهم ، وان استغفروه غفر لهم وان دعوه استجاب لهم، وان شفعوا شفعوا، وروى الشيخان في صحيحيهما عن ابي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ، وروى الترمذى عـن مولانا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج بيت الله ، فلا عليه ان يموت يهوديا أو نصرانيا، وذلك بأن الله يقول (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غني عن العالمين) . وروى سعيد بن منصور عن مولانا عمر بن انخطاب رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صل الله عليه وسلم ، من مات وهو موسر لم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيـا ، وروى ابن أبي شيبة عن سعيد بن جبير رحمه الله قال ، لو كان ماجور موسر ثم مات ولم يحج لم اصل عليه ، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا البيت دعامة الاسلام من خرج من بيته يطلب هذا البيت من حاج او معتمر كان مضمونا على الله ان يدخله الجنة ان قبضه وان رده رده باجر وغنيمة ، وجاء في الحديث ان الله تعالى ينظر في كل ليلة الى اهل الارض واول من ينظر اليه من اهل الارض الحرم اهل المسجد الحرام ، فمن رآه طائفا غفر له ومن رآه مصليا غفر له ومن رآه مستقبل القبلة غفر له وروي عن الحسن البصري رحمه الله انه قال الصلاة بمكة بمائة الف صلاة ، وصوم يوم بمائة الف يوم ، وصدقة درهم بمائة الف درهم ، وكذا كل حسنة بمائة وروى ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ، ينزل على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة ، ستون للطائفين ، واربعون للمصلين ، وعشرون للناظرين ، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت عنه جهنم مسيرة مائة عام ، وتقربت منه الجنة مسيرة مائة عام .

وقـال وهـب بـن منبـه رحـمـه اللـه ، مكتـوب فـي التـوراة ، ان لله عزوجل يـوم القيـامة سبعمـائة الف مـن المـلائكة المقربين ، بيـد كل

واحد سلسلة من ذهب الى البيـت الحرام ، فيقول لهم ، اذهبـوا فزمـوه بهذه السلاسل ثـم قودوه الى المحشر ، فياتونه بتلك السلاسل ويزمونه ، وملـك ينادي ، يا كعبة الله سيري ، فتـقول لست بسائرة حتى اعطى سؤالي ، فينادي ملك من جو السماء ، سلي تعطي فتقول ، يا رب عبادك المومنون وفدوا الي من كل فج عميق شعثا غبرا ، تركوا الاهل والاولاد والاحباب ، وخرجوا شوقا الي زائرين مسلمين طائعين ، حتى قضوا مناسكهم كما امرتهم ، فاسالك ان تشفعني فيهم وتؤمنهم من الفزع الاكبر ، وتجمعهم حولي ، فينادي الملك ويقول ، فان فيهم من ارتكب الذنوب بعد كفر اصر على الكبائر حتى وجبت له النار ، فتقول ، يا رب اسالك الشفاعة في المذنبين الذين ارتكبوا الذنوب العظام والاوزار ، حتى وجبت لهم النار ، فيقول الله عز وجل ، قد شفعتك فيهم واعطيناك سؤلك ، فينادي مناد من جو السماء ، الا من زار الكعبة فليعتزل من بين الناس ، فيعتزلون ، فيجمعهم الله تبارك وتعالى حول الكعبة بيض الوجوه ، آمنين من النار، فيطوفون ويلبون، ثـم ينادي الملك من جو السماء ، الا يا كعبة الله سيري ، فتقول الكعبة لبيك لبيك ، والخير في يدك ، لبيك لا شريك لـك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ، ثم يمرون معها الى المحشر .

ونقـل الثعلبـي حـديثا نصـه ، قـال ابن عبـاس رضـي اللـه عنـه ، مـا اعلـم الـيوم على وجه الأرض بـلدة ترفـع فيها الحسنات بكـل واحدة مائـة الف ما يرفع بمكة ، وما اعلم على وجه الارض بلدة يكتب لمن صلى فيهـا ركعة واحدة مائة الف ركعة الا مكه ، وما اعلم بلدة على وجه الارض يتصدق فيها بدرهم واحد يكتب له الف درهم الا ما يكتب بمكة ، وما اعلم على وجه الارض بلدة فيهـا شراب الابـرار وفضل الاخيـار الا مكـة ، ومـا اعلـم على وجـه الارض بلدة ما مس احد منها الا كانت تكفيرا لخطاياه الا مكة ، وما اعلم على وجه الارض بلدة اذا دعا احد بدعاء امن عليه الملائكة فتقول آمين آمين الا مكة ، ولا اعلم على وجه الارض بلدة يكتب لمن نظر الى الكعبة من غير صلاة ولا طواف عبادة الدهر وصيام الدهر الا مكة ، وما اعلم على وجه الارض بلدة صدر اليها جميع النبيئين والمرسلين ما صدر الى الكعبة ، وما اعلم على وجه الارض بلدة يحشر منها من الانبياء والابرار والفقهاء والعباد من الرجال والنساء ما يحشر من

مكة ، انهم يحشرون وهم آمنون يوم القيامة ، وما اعلم بلدة على وجه الارض ينزل فيها كل يوم من روح الجنة ورائحتها ما ينزل بمكة ، الى غير ذلك من الاحاديث النبوية ، والآثار الدالة على الترغيب في حج بيت الله الحرام ، وزيارة نبيه عليه الصلاة والسلام ، والترهيب عن التخلف والتقعد مع الاستطاعة والقدرة على وصول ذلكالمقام ،

فلما زعزعتني رياح الاشتياق ، وطار القلب باجنحة الاشواق ، الى مشاهدة تلك الافاق ، ومن الله علي بالمسير ، على مراكب التيسير ، الى ذلك الجناب الخطير ، وساعدت المقادير ، في الموارد والمصادر ، محفوفا في الذهاب والاياب بسياج الكرامة ، ومكتوفا بسرادق العافية والسلامة ، صرفت همتي وفكرتي الى ضبط رحلتي ونقلتي ، وذكر مباديها ومنتهاها ، بالنص على عدد المراحل ، واسماء المنازل والمناهل ، فالفت هذه الرحلة ، وسميتها

انس الساري والسارب

من اقطار المغارب ، الى منتهى الآمال والمئارب ، سيد الاعاجم والاعارب ، صلى الله عليه وسلم ، نسال الله الهداية والتوفيق ، الى احسن طريق ، واعترف بالعجز والتقصير وقصور الباع في تنقيح العبارة وتحبير التعبير للعلماء الاعلام ، هداة الانام ، وجهابذة النثر والنظام ، واسال منهم حسن التجاوز عما وقع من الخطا والخطل ، وما عسى يعثرون عليه من الخلل والزلل ، واطلب من الله التسديد وهو الموفق لما يريد ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

ما ينبغي عمله والاتصاف به لمزمع الرحلة لاداء فريضة الحج

ومما ينبغي لمن وفق لذلك ، وتجرد عن الاهل والوطن لحيازة الفضل هنالك ، ان يتوسل باخلاص العمل بنية صادقة ، ويتمسك من التقوى بعروة واثقة ، فان من اقبح القبائح ، وافضح الفضائح ، ان يقصد الهاجر ، ويخفي المهاجر الوفود على مولى كريم ، حليم عظيم ، وهو بما تكنه الضمائر خبير عليم بباطن وسخ وظاهر ملتطخ ، فينبغي له اولا طهارة الباطن من كل خبث ورجس ، وطهارة الظاهر من كل لوث ونجس بالتوبة النصوح من جميع المئاثم ، والتخلص من العوائق برد المظالم ، فكل مظلمة علاقة ، وهي على التماس كل خير عواقة ، مع قطع التفات الى ما خلف خلفه من الاسباب ، والميل والخير الى القرابة والاصحاب ، ويرضى بمكابدة المخاوف ، لمشاهدة رحمة تلك المواقف ، ويركب صعاب الاهوال ، لما يرجوه من حسن المئال ، ويعتاض من الاوطان والاهلين تلك الجبال الكريمة ومن حضرها من المخلصين ، ويجدر ان يكون بظاهره متوجها نحو الحضرة العلية ، وبباطنه متخلفا في الحضرة الدنية ، اذ ليس حظ من اتصف بذلك في سفره سوى النصب في اوله ، والطرد آخره في قوله وفعله ، ومما ينبغي له أن يكتب وصيته ويفعل من ذلك ما يفعل كل متيقن في سفره منيته ، ويتزود من الحلال ، ويتخلص من المعارف بطلب الاستحلال ، ويستحب له أن يقول عند وداع اهله واصحابه ، استودع دينكم وامانتكم ، وخواتم اعمالكم ، ويردون عليه ، زودك الله في مسيرك البر والتقوى ، ومن العمل ما يرتضى ، وغفر ذنبك ، ويسر لك الخير حيث ما توجهت ، شعر ،

استودع الله اولادي وامهم — والدين والمال والآباء والجسدا
والعلم والجاه والاخوان كلهم — والصحب والصهر والجيران والبلدا
وكل ما انعم الباري علي به — فهو الحفيظ لما استودعته ابدا

فهذا القدر كاف لكل طالب مريد ، وتذكار لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد

هذا الارتحال من مدينة مراكش

فكان مبدأ الانفصال عن حضرة مراكش اقصى حواضر المغرب ادامها الله للاسلام ، وصانها بحرمة نبيه عليه الصلاة والسلام ، في آخر صفر (1) احد شهور اربعين والف عام ، مع الشيخ الافضل النبيه الاكمل ، البركة الاحفل ، السيد الذي انتهت اليه رياسة الركب الحجازي فوقفت عنده ، وقلد اليه شرفها كتائبه وجنده ، السيد الفاضل ، القدوة الكامل ، سيدي محمد ابن الحاج الابر ، نجل الولي الاكبر ، سيدي عبد العزيز بن سيدي محمد بن سيدي ابي عمرو وصل الله تعالى بمنه سعادته ، وتولى بكرمه حراسته وكلاءته ، لفناء روضة الولي الأشهر ، والعماد الاكبر ، المستغاث به في البر والبحر ، مولانا ابي العباس أحمد بن جعفر التماسا لبركاته ، واستمطارا لسحائب نفحاته .

أبو العباس السبتي

ولنذكر بعض مناقبه رضي الله عنه تبركا بها فمنها انه رضي الله عنه كان مقصودا في الحياة ، مستغاثا به في الازمات ، وحاله رضي الله عنه من اعظم الآيات ، الخارقة للعادات ، قال ابن الزيات كان هذا الولي قد اعطي بسطة في اللسان ، وقدرة على الكلام ، لا يناظره

---

1) الموافق ليوم الاثنين 7 اكتوبر سنة 1630

أحد الا أفحمه، ولا يسأله الا أجابه، كان القرآن ومواقع الحجج على طرف لسانه عتيدة حاضرة ، ياخذ بمجامع القلوب ، وتسحر العامة والخاصة ببيانه ، وشانه كله من اعاجيب الزمان ، وقد اثبتت من غرائبه ما ينوب عن العيان ، وحدث بعض مشائخه انهم سمعوه يقول ، انا القطب ، وكان رضي الله عنه يقول في مجلسه ، اصل الخير في الدنيا والاخرة الاحسان ، واصل الشر في الدنيا والاخرة البخل ، قال الله تعالى (فاما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى). وقال أبو الحسن الصنهاجي ، سمعت أبا العباس يقول الأمر كله انما يدور على العطاء والفعل ، وحدث ابو اسحاق الصنهاجي ابراهيم ابن نجا قال : سمعت ابا العباس يقول وانا بسوق الغزل ، من يعطي درهمين يزول عنه وجع الراس ، قال فناولته درهمين وكان يعتريني وجع الراس فوالله ما اصابني بعد ذلكوجع الراس قط ولله الحمد والمنة ، ومن حديث ابي الحسن الصنهاجي قال ، احتبس المطر في بعض الاوقات فقال ابو الحسن الجذان لابي العباس ، اما ترى ما فيه الناس من قحط الامطار ، وغلاء الاسعار ، فقال انما حبس المطر ، لبخل البشر ، فلو تصدقوا لمطروا ، فقل لاصحابك من الفلاحين ، تصدقوا بمثل ما انفقتم تمطروا فقال ابو الحسن انه لن يصدقني احد ولكن مرني في خاصة نفسي فما امرتني به افعله قال تصدق بمثل ما انفقت ، ففعلت وخرجت الى البحيرة التي كنت اعمرها والشمس شديدة الحر فيئست من المطر ، ورايت جميع ما اجريت قد اشرف على الهلاك فاقمت ساعة فرايت سحابة امطرت البحيرة الى ان روت وظننت ان الدنيا كلها روت ، فلما خرجت من البحيرة رايت المطر لم يتجاوزها وهذه قصة صحيحة مشهورة ، قال تلميذه البركة الفاضل أبو يحيى أبو بكر ابن مساعد : وقد انتهى الشيخ أبو العباس في الكرم والجود ، والايثار بالموجود، الى ان كان يعطي التسعة الاعشار ويتمسك لنفسه ولاهله بالعشر ، وحدث أبو زيد عبد الرحمان بن يوسف الحسني من اهل البيت قال ، رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت له ، يا رسول الله اريد ان اراك في النوم كل ليلة ، فقال لي هذا لا يمكن فاني مطلوب في المشرق والمغرب ، فسالته عليه الصلاة والسلام عن ابي العباس السبتي ، وكنت سيء الاعتقاد فيه فتبسم وقال لي هو من السباق فقلت له بين لي فقال لي هو ممن يمر على الصراط كالبرق الخاطف ،

فاصبحت ولقيت ابا العباس فقال لي ما سمعت وما رايت ؟ فقلت له دعني فقال لي والله لا تركنك حتى تعرفني فجعلت احدثه الرؤيا الى ان قلتها له فغشي عليه وقال لي كلمة الصفا ، من المصطفى ، وصار متى يذكر هذا الكلام يغشى عليه ومن شعره رضي الله عنه ،

انــي امنــت طــرق الحــدثــان لمــا تــعــلــق بالالــه جنــانــي
وحصلت في فردوس نعمته التي كانــت مثوبتــي اوبتــي وجنــان
فلــذاك اورثني مغيــب ســـره فالــعلــم علمــي والــبيــان بيــان

ولد رضي الله عنه بسبتة عام اربعة وعشرين وخمسمائة ، ثـم انتقل لمراكش وتوفي بها عام احدى وستمائة ، قال ابن الخطيب وروضته رضي الله عنه بخارج باب تغزوت احد ابواب مراكش ، وقال ابن الخطيب رحمه الله تعالى ، حضرت ترافع خدام الروضة المباركة بمجلس قاضي البلد فسالهم القاضي عن خراجه اليوم ، فقالوا يقطع في هذه الايام ثمانمائة مثقال من الذهب العين وربما وصل في بعض الايام الى الف دينار فما فوقها ، وروضته رضي الله عنه ديوان الله تعالى بالمغرب لا يحصى دخله ولا تحصر جبايته ، والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وكان رضي الله عنه يلهج بهذه الابيات ،

عقــدت عليك مكمنــات خواطــر عقــد الرجــاء فالزمتــك حقوقــا
ان الزمــان عــدا عــلي فزادني علمــا بانــك خــالقــي تحقيقــا
مــا نالني كــره بوجــه مســاءة الا عبــرت بــه اليــك طــريــقــا
اخض القضاء على الرضى مني به انـــي وجــدتــك بالعبــاد رفيقــا

سـيـدي يـوسـف بـن عـلـي (1)

فحل هنالك بمحلته وفسطاطه ، فاقام هنالك اسعده الله اياما ثم انتقل قاصدا اماما ، فحل بمحلته السعيدة ، وآلاء الله عليه مديدة ، مـع اصحابـه الاخيار ،

---

1) أنظر التشوف طبعة الرباط 308 ـ 309 وعنه نقل ابن مليح هذه الترجمة .

وعصبة اخوته الابرار، أولاد الولي الصالح ، سيدي أبي عمرو القسطار،(1)بفناء روضة ذي العـز والافتخار ، الشهير القبر والمزار ، سيدي يوسف بـن علي صاحب الغار ، ولنذكر بعض فضائله لاجل التبرك بها ، وكنيته ابو يعقوب يوسف ابن علي المبتلى تلميذ الشيخ صالح ، القدوة الناصح ، سيدي عصفور وكان بحارة الجذمى وبها مات في شهر رجب عام ثلاثة وتسعين وخمسمائة ، ودفن برابطة الغار واحتفل الناس لجنازته وكان رضي الله عنه كبير الشان فاضلا ، وكان صابرا راضيا ، سقط بعض جسمه في بعض الايام فصنع طعاما كثيرا للفقراء والمساكين شكرا لله تعـالى في شعـر ،

تعـودت مس الضر حتى الفتـه	واسلمني طول البلاء الى الصبـر
ووسع قلبي للاذى الانس بالاذى	وقد كنت احيانا يضيق به صدري

قال ابو الحسن علي بن سحنون بن ميمون الهزرجي الشاهد ، حضرت غسل ابي يعقوب وكان غاسله الفقيه ابو علي يغسله قال ، رايته الان يبتسم قال يوسف بن محمد صليت الجمعة بجامع القصر الجديد مع ابي العباس احمد بن عبد العزيز الخراز ، فلما سلم الامام اصابت ابا العباس سنة فافاق وقال لي ، رايت ابا يعقوب قد مات فاسرع بنا اليه ، فاتيناه ودخلنا عليه فلما سلمنا عليه قال لابي العباس رايت في منامك اني قد مت ، فقال له نعم ، فقال له ابو يعقوب بقي لي واشار بيده وعد اربعين ، قال يوسف بن محمد فلما كملت الاربعون يوما من ذلك اليوم مات رحمه الله تعالى ورضي الله عنه ونفعنا ببركاته شعر ،

قـــف بالديـار فهـذه آثـارهـا	تبكـي الاحبـة حسـرة وتشوقـا
كـم قـد وقفت بربعها مستخبرا	عـن اهلها او سائـلا او مشفقـا
فاجابني داعي الهوى في حيهـم	فـارقت مـن تهوى فعـز الملتقـا

ومناقبه رضي الله عنه اكثر من هذا ، ولكن اختصرنا القليل من الكثير افاض المولى علينا من بركاته .

1) كما تسميـه العـامة وانما هو القسطلي

ومعه قبر الولي الصالح أبي عمران موسى الهسكوري (1) الأسود ، وكان عبدا صالحا يمزج ضحكه ببكائه ، ولا ترقأ له دمعة فربما سئل عن بكائه فيقول ، انما ابكي على فقد ما ادركته من الاخوان في الله عز وجل شعر ،

لا العذل ينفعه ولا استعباره	لذ الغرام له ولج اواره
فتجنبوا تأنيبه وتعوذوا	من مثل ما هتكت به أستاره
لو كان فيه للغرام بقية	او للتجمل ما بدت أسراره
فحضوره غيب على حكم الهوى	فيما يحب وهكذا استحضاره

حدثوا عنه انه ماتت زوجه وتركت له ولدا صغيرا اسمه حبيب فضاقت به الحال فذهب الى سوس لزيارة ابي حفص عمر بن هارون فشكا اليه بأمر ولده فدعا له ابو حفص فقام ابو عمران مع ابنه حبيب فاستيقظ بالليل وهو يجد البلل في صدره فبان له ان الابن في ثدييه فصار يرضع ولده من ذلك اللبن الى ان كبر واستغنى عن الرضاع افاض المولى علينا من بركتهما ، ومنحنا من جزيل نعمائهما

فاجتمع بالمحلة خلق كثير ، وجم غفير ، ولم يبق بالمدينة بصير ولا ضرير ، الكل عن شوق واشتياق ، والى زيارة قبر نبيه تمد الاعناق ، الا من حبسه الله تعالى عن الرفاق ، شعر

دمع يصوب ومقلة لا تهجع	قلب يذوب ومهجة تتقطع
بانوا فبانت راحتي من راحتي	والصبر ودعني عشية ودعوا
ومن العجائب ان شخصك ظاهر	والقلب من صبري خال بلقع
واجيل طرفي في الديار فلا ارى	الا سيوف البين حولي تلمع
ولقد اعنت على فراق احبتي	لما رايت لهم فراقي انفع
يا أيها القمر المغيب وهو في	افق الجوانح والسرائر يطلع

---

1) انظر التشوف ص. 344–345 وعنه نقل ابن مليح هذه الترجمة .

ان غبت فامنن في المنام بزورة ان الضعيف بما تيسر يقنع
سبق القضاء ببعدنا وشتاتنا فمن ذا يخاصم في القضاء ويدفع
قد كنت اجزع لو يفيد وانما الصبر افضل ما اليه يرجع

فوائد السفر

وفي السفر ثلاث خصال، أحدها تجديد رزق وفي التوراة يقول الله تعالى، عبدي احدث سفرا احدث لك رزقا ، وفي الاسرائليات ، ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام ، اتخذ نعلين من حديد وعصا من حديد ثم سح في الارض حتى تنكسر العصا وتخترق النعلان ، والثانية رؤية العبر ،

فينبغي للحاج اذا خرج من بيته ان ينوي السياحة في أرض الله تعالى ، وأن ينظر ويعتبر في اختلاف الارض وبقعها ، سهلها وجبالها ووعرها ، تفجر الانهار منها ، جريانها ، آثار الامم الماضية وما جرى لهم وكيف صاروا خبرا واثرا بعد ان كانوا رؤية ونظرا ، وكذلك ينظر باعتبار الى اختلاف الخلق والالوان واللغات المختلفة والمئاكل والمشارب والملابس والعوائد والعجائب ، وان ينوي الخلوة في سفره (1)

وينبغي له أن لا يشارك غيره في الزاد والنفقة والمركوب لانه ان فعل ذلك امتنع عليه التصرف في وجوه البر من الحمل على الدابة وفعل المعروف ، فان شارك غيره جاز لكن يشترط ان يقتصر فيه على دون حقه ليسلم من عمارة ذمته ،

وينبغي له ان لا يرافق في سفره الا من هو من اهل العلم والصلاح او هما معا

---

1) أغفل الخصلة الثالثة من فوائد السفر ولعله قصد بهذه الجملة لا النية وانما حصول الخلوة للمسافر والانفراد فتكون هي الفائدة الثالثة للسفر

وقد ورد في الحديث ، المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل ، وقد قيل الرفيق قبل الطريق وقال بعضهم في ذلك ، شعر ،

عن المرء لا تسال وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

وعليك بصحبة الاخيار وصدق الحديث ، واياك وصحبة الاشرار فانه عار ، شعر في المعنى ،

اصحب الاخيار وارغب فيهم رب من صاحبته مثل الجرب
ودع الناس ولا تشتمهم واذا شتمت فاشتم نا حسب

وقال مولانا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه :

لا تصحب اخا الجهل واياك واياه
كم من جاهل اردى حليما حين واخاه
يقاس المرء بالمرء اذا ما المرء ماشاه
والشيء من الشيء مقاييس واشباه
وللقلب على القلب دليل يلقاه

الثانية (1)، هي الخلق الحسن ، فلا تصحب من ساء خلقه ، وهو الذي لا يملك نفسه عند الغضب ،

(هنا بتر ورقة فيها بقية الكلام على الخصال
التي ينبغي ان يتصف بها الرفيق في السفر)

(2) زلته وهفوته ولا يعتب عليه وأن يدعو له في صلاته ولا كلفه مالا يطيق ويظهر

1) أي الخصلة الثانية التي يجب أن يتحلى بها المسافر وتكون الاولى وان لم يصرح بها في أول هذا الفصل هي وجوب مصاحبة العلماء والاخيار

2) ولعل أول الجملة التالية كان وعليه أن يغفر للرفيق زلته

له الفرح ويكون صادقا في وده سرا وعلنا ، ويبداه بالسلام عند اقباله ، ويعامله بما يحب ان يعامل به ، فمن لا يحب لاخيه ما يحب لنفسه فاخوته نفاق ، وهي عليه في الدنيا والاخرة وبال ، ولا تؤاخ امرا حتى تعاشره ، وتتفقد موارده ومصـادره ، فان استطعت العشـرة ورضيت الخبرة فواخه على اقالة العثرة، والمواساة في العشرة ، فكن كما قال المقنع الكندي ،

ابل الرجـال اذا اردت اخاءهـم ... وتـوسمـن فعـالـهـم وتفـقـد
واذا ظفرت بذي اللبابـة والتقى ... فبه اليديـن قريـر عيـن فاشـدد
واذا رايـت ولا محـالـة زلـة ... فعـلى اخيـك بفضل حلمك فاردد

واذا احببت فلا تفرط ، واذا ابغضت فلا تشطط فانه ، يقال : احبب حبيبك هونا ما ، عسى ان يكون بغيضك يوما ما ، وابغض بغيضك هونا ما ، عسى ان يكون حبيبك يوما ما ، فهذا ادبك في حق الرفيق ، والله يرشدنا واياك لاحسن طريق ،

والثالثة اكتساب الفوائد ، الا ترى السيارة من اجل سيرهم لقوا اجـمـل الناس وجها واكرمهم منزلة واعلاهم قدرا قال الله تعالى (وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلـوه) الاية ،

ومما ينبغي ان يقوله المسافر عند ابتداء سفره ، وانفصاله عن اهله ووطنـه ما ذكره ابن عباس وغيره قال رضي الله عنه ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استوى على بعيره خارجا يريد سفرا ، كبر ثلاثا ، وقال (سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون) اللهـم انـا نسالـك في سفرنا هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما تحب وترضى ، اللهم هون علينا السفر واطو عنا بعده اللهم انت الصاحب في السفر ، والخليفة في الاهل والمال ، اللهم انا نعوذ بك من وعثاء السفر ، وكئابة المنقلب ، وسوء المنظر في الاهل والمال ، وان نرجع غانمين وزاد فيهن ، دائبون تائبون ، لربنا حامدون ، ذكره مسلم .

وينبغي للمسافر اذا دخل بلدا او قابلها او نزل منزلا ان يقول، اللهم اني اسالك خيرها وخير اهلها وخير ما فيها ، واعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر ما

فيها ، بعد ان يبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وينبغي له ان يقول في كل منزل ينزله ، اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لما ورد في ذلك ان من قالها لم يضره شيء حتى يرتحل من ذلك الموضع ، رواه مسلم .

وينبغي أن يكثر الدعاء في سفره لنفسه وأهله وأولاده ، وماله واخوانه ومعارفه ، وولاة امور المسلمين وخاصتهم وعامتهم ، لما جاء في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم قال ، ثلاثة لا ترد لهم دعوة ، المظلوم ، والمسافر ، ودعوة الوالد على ولده ، رواه الترمذي وغيره

وينبغي أن يحرص على المعروف في طريقه لما ورد في الحديث ، اذا اراد الله بعبده خيرا صادف معروفه حاجة اخيه ، والسفر موضع الحاجة والضرورة بل الاضرار غالبا فيسقى عند الحاجة اذا امكن ويحمل المنقطع اذا تيسر له وفيه زيادة اخرى وهي مجاهدة النفس ، لان الغالب عليها الشح لاحتياجها لما هو بيده

وينبغي له أن لا يترك شيئا من الأوراد وقال صلى الله عليه وسلم اذا سافرتم في الخصب فاعطوا الابل حقها من الارض ، واذا سافرتم في الجدب فاسرعوا عليها السير وعرستم فاجتنبوا الطريق فانها طريق الدواب ومأوى الهوام بالليل، ذكره مسلم وقال انس رضي الله عنه،قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ، ذكره ابو داود ، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ودع احدا اخذ بيده فلا يدعها النبي صلى الله عليه وسلم حتى يكون هو الذي يدعها ، ثم يقول صلى الله عليه وسلم ، استودع الله دينك وامانتك وخواتم اعمالك ، ذكره الترمذي وأبو داود.

وينبغي له اذا خرج من منزله أن يقول ، اللهم اني اعوذ بك أن أضل او اضل وازل او ازل ، او اظلم او اظلم ، او اجهل او يجهل علي ، اللهم اني اسالك تعجيل عافيتك ، وصبرا على بليتك ،

وخروجا من الدنيا الى رحمتك ، ثم يقول بعد ذلك بسم الله ، توكلت على الله . ولا حول ولا قوة الا بالله ، لما ورد ان الملائكة تقول له هديت وكفيت ووقيت .

وينبغي له ان يتصدق عند خروجه بشيء، لما ورد فيها من تحصيل المآرب، ودفع المضار وقوله صلى الله عليه وسلم ، ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء .

وينبغي له ان يكثر السير في الليل ، لما ورد فيه ، وينبغي ان يريح دابته بالنزول عنها غدوة وعشية وعند كل عقبة ويتجنب النوم على ظهرها ، وينبغي الا يمكث على ظهر الدابة زمانا طويلا وهي واقفة ، وينبغي له أن يريحها اكثر مما تقدم ان امكنه ، لان ذلك راحة لها وأمن من وقوفها

وينبغي له اذا عزم على الخروج من منزله ان يتوضا ويصلي ركعتين ، لما ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ، ما خلف احد عند اهله افضل من ركعتين يركعهما عندهم عند خروجه لسفره .

وينبغي له ان يقرأ بعد سلامه آية الكرسي ، ولايلاف قريش ، لما ورد عن بعض السلف .

وينبغي له ان يكون سفره غدوة النهار ، لقوله صلى الله عليه وسلم ، اللهم بارك لأمتي في بكورها ، وكان صلى الله عليه وسلم ، اذا بعث جيشا او سريه بعثهم اول النهار ، وان يقول عند خروجه ما ورد في الحديث ، اللهم اكفني ما اهمني وما لا اهتم به ، اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي

وينبغي له اذا خرج أن يودع اهله وجيرانه واصحابه وأصدقاءه ومعارفه ، وان يودعوه ويمشي عليهم واحدا واحدا ، وهي السنة الماضية ، ثم بعد ذلك يقول الحديث المتقدم عن ابن عباس واذا جن عليه الليل ينبغي له ان يقول ما

كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوله وهو ، يا ارض ربي وربك الله ، أعوذ بالله من شرك وشر ما خلق فيك وشر ما يدب عليك ، واعوذ بك من اسد واسود ومن الحية والعقرب ، ومن ساكن البلد ومن والد وما ولد

وينبغي له اذا خاف ان يقول ، اللهم انا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم ، ويستحب له مع ذلك أن يكثر من دعاء الكرب وهو ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوله عند الكرب ، لا اله الا الله العظيم الحليم ، لا اله الا الله رب العرش العظيم ، لا اله الا الله رب السماوات والارض ورب العرش الكريم ، رواه البخارى ومسلم ، وفي الترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا احزنه امر قال : يا حي يا قيوم برحمتك استغيث .

وينبغي له اذا استعصت عليه دابته ان يقول في اذنها (افغير دين الله تبغون وله اسلم من في السماوات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون) وقال انس بن مالك رضي الله عنه ، جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ، يا رسول الله اني اريد سفرا فاوصني ، قال عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف ، فلما ولى الرجل قال ، اللهم اطوله البعيد وهون عليه السفر ، ذكره الترمذي ، قال انس بن مالك رضي الله عنه ، جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني أريد سفرا فزودني ، فقال زودك الله التقوى، فقال زدني قال، وغفر ذنبك قال زدني بأبي أنت وأمي، قال ويسر لك الخير حيث كنت ، ذكره الترمذي ، وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا تركب البحر الا ان تكون حاجا او معتمرا او غازيا في سبيل الله ، وقال عبد الله بن جعفر رضي الله عنه ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قدم من سفر تلقاه صبيان المدينة ثم انه قدم من سفر فسبقت اليه فحملني بين يديه ثم جيء باحد ابني فاطمة رضي الله عنها فاردفه خلفه فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة ، ذكره مسلم وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذا اطال احدكم الغيبة فلا يطرق اهله ليلا ، ذكره البخاري ومسلم ، وقال كعب بن مالك كان رسول

الله صل الله عليه وسلم لا يقدم من سفر الا نهارا في الضحى فاذا قـدم بـدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ،

عليـك سـلام اللـه ياخير منزل   رحلنـا وودعنـاك غيـر ذميـم
فان تكـن الايـام فرقـن بينـنـا   فمـا احـد مـن صرفها بسليـم

خروج الركب الى اغمات وريكة

ثم تاهب الناس لآزف النقلة ، وشدوا الازر للرحلة ، الى اغمات وريكة قصد التبرك باوليائها ، والاقتبـاس مـن نور ضيائها ، ولـم تـزل الركبـان من قديم الى اليوم تقصد هذا المكان ، لزيارة من هنالك من السـادات الاعيان ، قال سفيان بن عيينه رضي الله عنه ، عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ، ذكر صاحب كتاب التشوف رحمه الله تعالى انه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بكت الارض فقالت ، الاهي وسيدي بقيت لا يمشي علي نبي الى يـوم القيامـه ، فاوحى الله اليها ساجعل على ظهرك من هذه الامة من قلوبهم على قلوب الانبياء عليهم السلام ، لا اخليك منهم الى يوم القيامة قالت، وكم هم ؟ قال ثلاثمائة وهم الاولياء وسبعون وهم النجباء ، واربعون وهم الاوتاد ، وعشرة وهم النقباء ، وسبعه وهم العرفاء ، وثلاثه وهم المختارون ، وواحد وهو الغـوث ، فاذا مـات الغوث نقل واحد من ثلاثة فجعل الغوث ونقل مـن السبعة الى الثلاثـة ومـن العشرة الى السبعة ومن الاربعين الى العشرة ومن السبعين الىالاربعين ومن الثلاثمائة الى السبعين ومن سائر الخلق الى الثلاثمائة هكذا الى يوم ينفخ في الصور ، فمنهم من قلبه على قلب موسى ومنهم من قلبه مثل قلب نوح عليه السلام ومنهم من قلبه مثل قلب ابراهيم عليه السلام وداود وسليمان وايوب عليهم الصلاة والسلام اما سمعت قول الله تعالى (فبهداهم اقتده) وقال يونـس ابن محمد مـا رايت للقلب انفع من ذكر الصالحين ، وقال سفيان الثوري ان لم نكن من الصالحين فانا نحب الصالحين ، اخرج البزار عن ابن عباس رضي الله عنه قال قيل يا رسول الله اي جلسائنا خير ؟ قال من ذكركم الله رؤيته وزادكم في علمكم منطقه وذكركم بالآخرة عمله ، وخرج مالك بن أنس عن معاذ قال ، سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يقول الله تبارك وتعالى وجبت محبتي للمتحابين في والمتجالسين في ، وخرج الطحوى عن ابي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، اذا رضي الله تعالى عن العبد اثنى عليه سبعة أضعاف من الخير لم يعملها وقال في السخط مثله ، خرجه ابو داود في كتاب الزهد ، وخرج البزار عن انس قال ، قيل يا رسول الله من أهل الجنة ؟ قال من لا يموت حتى يملأ مسامعه مما يحب ، وخرج مسلم عن ابي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان الله اذا احب عبدا دعا جبريل فقال ، انـي احـب فلانـا فاحبه قال فيحبه جبريل ، فينادي في السماء ، ان الله يحب فلانا فاحبوه ، فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض ، وهذا باب واسع لا نطيل بسرده ،

سيدي محمد بن سعدون القيرواني(1)

فاول من زرناه من اهل اغمات ابو عبد الله سيدي محمد بـن سعدون بن علي ابن بلال القيرواني ، اصله رضي الله عنه من القيروان ، وكان ممن قدم مكة فلقي بها ابا بكر المطوعي فحمل عنه تواليفه من التصوف وغيرها واستقر باغمات ، ومات بها سنة خمس وثمانين واربعمائة ، واهل اغمات وغيرهـم الان يستشفون بتراب قبره ويحمل لقضاء الحوائج ، وكنت لما سمعت ذلك اخذت من تراب قبره شيئا وحملته معي لاجل التبرك الى ان رجعت من فريضة الحج وبلغت المقصود ولله الحمد ، وكان رضي الله عنه من اهل الفضل والعلم ، وحدث علي ابن عيسى عن شيوخه ، ان فقيها من فقهاء اغمـات وقف عند قبر ابن سعدون فسمعه بعض الصالحين يتكلم معه فقال له ذلك الصالح ، سمعتك يا سيدي تتكلم عند قبر ابن سعدون فقال له اكتم علي ، اشكلت علي مسالة فبحثت عنها فـلم أجدها فاتيت قبر ابـن سعدون فذكرت له المسـالة فقال لي اطلب فـي الديوان الفلاني (شعر)

عجائب صنع الله في الخلق حكمة	تـدل علـى توحـيده بشواهـد
فلا ينكـر الـز ديـق لله حكمـة	فليـس نكيرا منـه خرق العوائد

1) أنظر التشوف ص. 61 ـ 62 وعنه نقـل ابن مليح هذه التـرجمة .

أبو عبد الله التونسي (1)

ثم بعده الولي الصالح سيدي ابو عبد الله بن محمد بن عبد العزيز التونسي ، اصله من تونس ، واخذ عن الفقيه ابي عمران الفاسي ، وابي اسحاق التونسي ، وغيرهما ، واستقر اخيرا باغمات وبها مات سنة ست وثمانين واربعمائه ودرس الناس عليه الفقه ثم تركه لما رآهم نالوا به الخطط والعمالات ، وقال ، صرنا بتعليمنا لهم كبائع السلاح من اللصوص ، وكان ورعامتقللا من الدنيا ، هاربا عن اهلها. حدث بذلك احمد بن يزيد عن ابي القاسم خلف بن عبد الملك الانصاري عن القاضي ابي الفضل عياض بن موسى ، ومناقبه رضي الله عنه اكثر من ان تحصى

أبو محمد الخزرجي

ثم قبر الولي الصالح ابي محمد الخزرجي مات باغمات وريكة قبل الاربعين وخمسمائة ، من اقران الولي الصالح سيدي عبد الجليل بن ويحلان ، وكان رضى الله عنه الغالب عليه الزهد والتقشف ، وكان طعامه الشعير بالملح حتى صار كالسفود المحترق ، ولما مات رضي الله عنه اوصى ان يغسله عبد الجليل المذكور ، فسمعوه يقول عند غسله لقد استرحت فسئل عن ذلك فقال عهدي بجسمه اسود من العبادة والتقشف ، فلما جردته لاغسله رايت بدنا ناعما ، وقال بعضهم ، جاء السلطان من مراكش الى اغمات فزار عبد الجليل بن ويحلان وابا محمد عبد الله الحجي وبعث لكل واحد منهما بالف دينار فردها عليه ولم يقبلها

1) يسميه في التشوف أبا محمد عبد العزيز التونسي أنظر ص. 68 ـ 70 وعن التشوف نقل ابن مليح هذه الترجمة

سيدي عبد الجليل بن ويحلان (1)

ثم لقبر الولي الصالح ، والقدوة الناصح ، سيدي ابي محمد عبد الجليل بن ويحلان ، اصله رضي الله عنه من دكالة ونزل اغمات ، وبها مات عام احد واربعين وخمسمائة ، من اهل العلم والعمل ، رحل الى المشرق ولقي شيخا من أهل الصوفية فاخذ عنه هذا الشان، شيخا عن شيخ بالسند المتصل الى ابى ذر الغفاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحدثوا عنه انه كان يدرس الفقه ثلاثين سنة محتسبا لله تعالى مع شدة فقره ، وكان سكناه بالكراء حتى اجتمع عليه مائة دينار في كراء الدار ، فقيل لصاحب الدار من اين يؤدي لك عبد الجليل ما لك عليه من الكراء وليس عنده شيء ؟ فبلغه ذلك فاهمه فرأى في منامه تلك الليلة رب العزة سبحانه فقال له ، ما اهمك يا عبد الجليل ؟ ـ وهو اعلم ـ فقال يا رب أنت عام، فلما أصبح سمع قرع الباب ففتح الباب فاذا هو برجل في الظلام فناوله مائة دينار وانصرف عنه ، واخذها منه وبعث الى صاحب الدار وكان اذا انصرف عنه طلبة العلم يقول لخاصة اصحابه تعالوا نأخذ في نور العلم فياخذ في علوم الاخرة وعلم التصوف ، قال ابو زكرياء وانتهى عبد الجليل من شدة فقره الى ان وضعت زوجه ولم يكن عنده غير كساء واحدة ، فدفع اليها نصفها واخذ النصف الثاني ورحل الى المشرق

سيدي أبو العباس الهواري (2)

ثم لقبر سيدي ابي العباس أحمد بن عبد الرحمان الهواري ، وكان عبدا صالحا كثير الايثار والصدقة ، مات قبل الاربعين وخمسمائة حدثوا عنه انه كان في عام مجاعة شديدة فادخله الدلال في دار يشتريها بخمسمائة دينار فاراد ان يدخل بيتا منها ليقلبه فقيل له ان فيه المراة التي تبيعها مع بناتها

انظر التشوف ص. 125–120 وعنه نقل أبن مليح هذه الترجمة

أنظر التشوف ص. ، وعنه نقل ابن مليح هذه الترجمة .

ولولا حاجتهن ما باعتها ، فخرج من الدار وبعث الى المراة خمسمائــة دينار، فامسكتها المراة ولم تنفقها الى ان بعثت اليه ، قالت له عسى ان يكمــل التبايــع بيننا لاتصرف في الثمن وتقبض دارك ، فبعث اليها في السر ، ان الدار باقية على ملكك ، والمال مالك ، فانتفعي به فانما بعثته اليك لتسدي به فاقتك (شعر)

تعاتبني في الجود والجود شيمني ... وما لــي بابــدال الطبــاع زعيــم
ارى الناس خلان الجواد ولا ارى ... بخيــلا لــه في العالميــن خليــل(كذا)
ولم ار مثــل الجود امــا حديثــه ... فحلـــو وامــا حبــه فــقديــم
ولا خير فيمــن لا يعــاش بعيشــه ... ولــو انــه فــوق السمــاء مقيــم
نرينــي فان البخــل عــار باهلــه ... وما ضــر مثلــي ان يقــال عديــم
وكيف يخاف الفقر أو يحرم الغنى ... عبيــد ورب العــالميــن كــريــم

أبــو يــعــقــوب الــمــرادي (1)

ومنهم ابو يعقوب بن مومن المرادي كان امام الفريضة بمسجد اغمات ، صحب ابا زيد الامام ، وابا عبد الله محمد بن اسماعيل ، وكان عبدا صالحا ورعا ، يخيط الثياب بيده ،ولا يعيش الا من كد يمينه ، حدث من حضر وفاته قال ، رايته عند النزع وقد قبض بيده على لحيته وقــال ، والله لئن لــم تغفر لــي وترحمني ، لاكونن من الخاسرين ، فقضى نحبه رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين ، شعر ،

زادي قليــل مــا أراه مــبلــغــي ... فللزاد ابكــي أم لبعد مــسافتــي؟
اتحرقني بالنار يــا غايــة المنــى ... فاين رجائي فيــك ايــن محبتــي ؟

---

1) يسميه التادلي في التشوف أبا يعقوب يوسف بن يعقوب بن مؤمن المرادي انظــر ص. 107–108 وعنــه نقل ابن مليــح هذه الترجمة

أبو محمد عبد العزيز الباغي (1)

ومنهم ابو محمد عبد العزيز بن محمد الباغي ، وكان من اصحاب اسماعيل الهواري ويوسف بن يعقوب المرادي وغيرهما من اهل الفضل ، وكان عبدا صالحا زاهدا في الدنيا واهلها ، حدثوا عنه ان قاضي الجماعة ابا يوسف حجاج ابن يوسف بعث اليه ليجبره على قضاء اغمات فقدم مراكش واستعفاه فلم يعفه وقال له ، لا بد لك من ولاية القضاء ، فقال له عبد العزيز ، والله لو نشرت بالمناشر ما قبلت لك هذه فلما رآه قد همم على ذلك قال له ، قد اعفيتك فجزاك الله خيرا عن دينك ، وكان سبب موته انه قام ليلة الى ورده فتوضا وجاء الى مصلاه فقعد فوقه وحك يديه وحرك شفتيه بالتشهد فقضى نحبه رحمه الله تعالى ونفعنا به وبامثاله ، شعر

والذي بالبين والبعد بلا ـــي	ما ذكرت الحمى الا شجانـــي
حبذا اهل الحمى من ساكن	شفني الشوق اليهم وبرانـــي
كلما رمت سلوا عنهم	جذب الشوق اليهم بعنانـي
احسد الطير اذا طارت الى	أرضكم أو اقامت للطيـران
اتمنى انني اصحبها نحوكم	لو انني اعطي الامانـــي
لا تزيدوني غراما بعدكم	حل بي من بعدكم ما قد كفاني
ذهب العمر ولم احظ بكم	وتقضى في تمنيكم زمانـــي
يا خليلي احفظا العهد الذي	كنتما قبل النوى عاهد تماني
واذكراني مثل ذكري لكما	ومن الانصاف الا تنسيانـــي
واسئلا من انا اهواه على	أي جرم صد عني وجفانـــي

---

1) في أحد مخطوطات التشوف الباغاني وهو الذي اعتمده الناشر. انظره في ص 186 وعنه نقل ابن مليح هذه الترجمة

أبو وكيل ميمون الوريكي(1)

ومنهم ابو وكيل ميمون بن تكوت الوريكي الاسود تلميذ محرز السفاقصي . وكان عبدا صالحا يسمى ميمون السويق (2)، وكان من العلماء بمذهب مالك بن انس رحمه الله حدث يحيي بن ابي بكر قال ، قمت ليلة فسمعت هاتفا يقول ، مات مالك بن انس فانتبهت من نومي وخرجت امشي باغمات فلما وصلت المكان الذي سمعت فيه الهاتف لقيت رجلا فقال لي ، مات ابو وكيل رحمه الله تعالى ، شعر :

وكان فؤادي خاليا من هواكم	وكان بذكر الخلق يهفو ويفرح
فلما دعا قلبي هواك اجابه	فلست اراه عن فنائك يبرح
رميت ببعد منك ان كنت كاذبا	وان كنت في الدنيا بغيرك افرح
وان كان شيء في البلاد باسرها	اذا غبت عن عيني بعيني يلمح
فان شئت واصلني وان شئت لا تصل	فلست ارى قلبي لغيرك يصلح

أبو الحسن الهواري(3)

ومنهم ابو احسن علي بن عبد الرحمان الهواري ، وكان عبدا صالحا كثير البكاء من خشية الله تعالى ، وكان اذا سمع كتاب الله تعالى يسمع له عويل و حيب، وكان ذا مال فكان يصرفه في طاعة الله تعالى وقال ابو عبد الله المفسر، رايته في النوم بعد موته وعليه ثياب حسنة الا اني رايته في صورة شاب فلففت يدي في ثيابه وقلت له ، اريد ان اسالك عن حالك ، فقال لي ، دعني فاني مشغول فقت بماذا فقال او ما سمعت قول الله تعالى (ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاك ون) فنفض يدي من ردائه وذهب عني ، شعر

---

1) يسميه التادلي في التشوف أبا وكيل ميمون بن تيكريت الوريكي الاسود انظره في ص. 172 وعنه نقل ابن مليح هذه الترجمة

2) في أحد مخطوطات التشوف يسميه الموفق وهو الذي اعتمده الناشر

3) أنظر التشوف ص. 173 وعنه نقل ابن مليح هذه الترجمة .

وان امـرأ لـم يصـف للـه قلبـه	لفي وحشة من كل نظرة ناظر
وان امـرأ لـم يرتحـل ببضاعـة	الى داره الاخـرى فليس بتاجـر
وان امـرأ ابـاع دنيـا بـدينـه	لمنقلـب منهـا بصفقـة خـاسـر

أبـو يـحـي الـسـائـح(1)

ومن اوليائها ابـو يحي ابو بكر الصنهاجي المعروف بالسائح ، وكان قـد جال ببلاد المشرق وغيرها ، ومات باغمات عام خمسة وستمائة ، وكان لا يعرف اصله ولا يحدث احدا بذلك (2) الى ان لقي الله تعالى، واقام بمصر احدى عشرة سنة (3) ، وقال رضي الله عنه ، وجدت في جزائر البحر اقوامـا لا يعرفـون الاسلام ، فعلمت الرجال والنساء الاسلام والشرائع ولم افارقهم حتى كانوا يصلون صلاة التسبيح (4)، فرغبني ملكهم ان اقيم عنده ويسلم لي امره فابيت :

قالوا نراك كثير السيـر مجتهـدا	فـي الارض تنزلها طورا وترتحل
فقلت لو لم يكن في السير فائـدة	لما كانت السبعة الأبراج تنتقل(5)

---

1) أنظر التشوف ص. 424 حيـث ورد نسبه هكـذا أبو يحي أبو بكر بـن محـيـو الصنهاجي المعروف بأبي يحي السائح وعنه نقل ابن مليح ترجمته.

2) في التشوف ص. 424 وردت هنـا هذه الجمل « وكان عبدا صالحا زاهـدا فـي الدنيا لم يلتبس منها بشيء ولا تزوج قط ولا ركن الى شيء من الدنيا الى ان لقـي الله تـعالى »

3) في التشوف وردت هنا هذه الجمل «ثـم ساح ببلاد جزولة ثم ذهـب الى نول لـمطة وجاز الى بلاد دكالة ودخل جزائر بحر المغرب الاقصى ونفع الله بـه خلقا كثيرا »

4) سقط هنا قـوله كما في التشوف ص. 425 «ثم دخلت بلاد السودان»

5) في التشوف : «ما كانت الشمس في الابراج تنتقـل».

أبو علي الاندلسي

ومنهم أبو علي حسين بن عبداله الأندلسي المعروف بابن تابو (1)، ومات باغمات عام اربعة وستمائة ، قدم مراكش ادرك ابا الحسن بن حرزهم وخدمه ، ولقي باغمات ابا بكر بن العربي ، حدث علي بن احمد الصنهاجي قال ، جلست مع ابي محمد بن ابي محمد القناع وجماعة من المريدين ونحن بمراكش الى ان قال لنا ابو محمد ، حدثني نفسي ان ابا علي بن تابو يموت فلنذهب الى اغمات لنحضر جنازته ، فذهبنا الى اغمات فدخلنا عليه فوجدناه مريضا فاردنا ان نبيت عنده فقال لنا لن اموت الليلة ، انا اموت غدا ان شاء الله بالليل ، فانصرفنا عنه فلما اصبحنا اتينا اليه واقمنا عنده وهو في النزع الى العتمة ، فقلت له يا ابا علي حسن ظنك بالله تعالى فانك افنيت عمرك في طاعته ، فقال ، يا قوم لا تغروني وذكروني بالله تعالى ، ثم قال اي وقت هذا ؟ فقلت له اول وقت العتمة فاستقبل القبلة وتوجه وقال الله اكبر فخرجت نفسه رحمه الله تعالى ، شعر ،

فاطو انغرائب عن من ليس يعرفها ... فربما جرت الاقدام للزلل
ولا تداو سقيما لست تبرئه ... ممن تخبط تحت الغي والكسل

أبو عبد الله القرميد

وممن زرته بها الولي الصالح ، القدوة الناصح ، سيدي ابو عبد الله محمد ابن عبد الكريم بن عبد الواحد المعروف بالقرميد ، أصله من سكساوة ، ولد رضي الله عنه باغمات وريكة حاطها الله تعالى ونشأ بها ، وكان رضي الله عنه ممن ابرزه الله تعالى للعبادة ، وانقاد له الخلق انقيادا ، وانطقه الله بالمغيبات ، وخرق له العادات ، وانتهت اليه الرياسة في علوم الطريق ، وشرح المشكلات

---

1) في احد مخطوطات التشوف ابن يابو وهي الرواية التي اعتمدها الناشر أنظر ص. 402–404 وعنه نقل ابن مليح ترجمته

لنوي التحقيق ، ووضع الله له في الصدر القبول التام ، ولهج بمحبته الخاص والعام ، وكان رحمه الله شريف الاخلاق ، وطاهر الاعراق ، كامل الادب صريح النسب ، وافر العقل ، صريح النقل ، مخفوض الجناح ، كثير السماح ، شديد الـورع ، مقتفي ادب الشرع ، حدث الشيخ الاجل ابو زيـد عبد الرحمان قال ، سمعت ابي يتحدث عن الشيخ ابي عبد الله ، ان اباه كان يصلي الضحى كل يوم بألف (قل هو الله أحد). ولم يتزوج رحمه الله تعالى حتى مات ، فعلى هذه الصفة نشأ وبها عرف واتصلت به حاله حتى طبق ذكره الآفاق ، وحاز في عصره نيابة الاستحقاق ، شعر

بكيت على نفسي وحق لي البكـا	وفوضت امري للـرحمان ليرحمـا
رجوتك يا مولاي فاغفر جرائمـي	بحق الذي زار الحطيـم وزمزمـا
اقل عثرتي واقبل بفضلك توبتـي	اجب دعوتي وامنن علـي تكرمـا

ومن كلامه رضي الله عنه حب من اهواه قد ادهشني ، لا خلوت الدهر من ذلك الدهش ، علم المحبة واضح لمريده ، وارى القلوب عن المحبة في ، (1)

فقـد الضـيـاء لفقـدهـــــم	فالصبح مـذ رحلـوا ظـــلام
واعتـل بـعـدهـم الـزمـــان	فاضحت الـدنـيـا سـقـــام

ومن كرامته رضي الله عنه ما حدث به ابو الحجاج بعض اصحاب الشيخ رضي الله عنه قال ، صليت مـع الشيخ رحمه الله بجامع علي بـن يوسـف عمـره الله تعالى بدوام الذكر فيه صلاة المغرب فاستهل هلال رجب فقال لي الشيخ ، هذه اول ليلة من رجب نعتكف في هذا المسجد ، فقلت يا سيدي الراي رايك ، فقال لي ، انك لا تطيق على الجوع ولا لك من يخدمك ، فقلت ارجو الله تعالى ان اصيب بركتك ، فاعطاني درهما وقال اشتر لنا تمرا ، فاشتريته فاخذ الشيخ تسعين تمرة واعطاني كذلك على عدد الثلاثة اشهر بحسب تمرة في كل ليلة ، فجعل الشيخ حظه في ركنة تحت حصير ، وجعلت انا حظي في ركنة اخرى ، فاذا كان

---

(1) كلمة ناقصة هنا في الاصل

المغرب افطرت على تمرة ، فما انقضت علي ايام الا قد ضعفت قوتي ، فكنت انا احسست بالغشيان من الجوع الا فت الى الشيخ فانتعش ، فلم ازل كذلك اذا احسست الجوع والضعف التفت اليه فاجد قوة في نفسي ، فلما انقضت الثلاثه الاشهر واستهل هلال شوال ، قلت في نفسي ، الحمد لله قد بلغت درجة الشيخ ، صمت كما صام ، وقمت لياليها كما قام ، وافطرت على تمرة كما فعل ، قـد بلغت درجته والحمد لله ، فلما صلينا الصبح قال لي اتخرج الى المصلى ؟ قلت يا سيدي الراي رايك ، ثم قال انظر هل بقي من تمرك شيء نفطر عليه ، فقلت والله يا سيدي ما بقي منه واحدة ثم قال لي انظر هل بقي شيء في تلك الركنة من تمري ، فاخذته . فقال لي عده فعددته تسعين تمرة لم تنقص ولم تزد ، ثم نظر الى وقال لى قد بلغت درجته ، صمت كما صام وقمت كما قـام وافطرت كما افطـر قد بلغت الوطر فقبلت يده وقلت يا سيدي انا تائب الى الله عز وجل ، توفي رضي الله عنه آخر يوم من شوال ، سنة ثمان وسبعين وستمائة ، وهو ابن ستين سنة ، ودفن يوم الاحد بعد صلاة العصر ، وروضته رضي الله عنه على ضفة ساقية تاسلطانت هناك ، وجد في تركته رحمه الله عباءة خشينة كان يلبسها ، واخرى يرتدي بها ، وسطل كان يتوضا فيه وسجـادة ، وميـزان الشمس لاوقـات الصلوات ، وسروالان احدهما قطن والآخر صوف ، ونعلان مرقعتان ، فهذا مبلغ ما وجدته في تركته رضي الله عنه .

ومناقبهم رضي الله عنهم اكثر من ذلك لكن اختصرت قليلا من الكثير ، ووقفت موقف العجز والتقصير ، والله المستعان وعليه التكلان .

فصادف ليلة نزولنا ذلك المكان ليلة العروبة ، ومولد خير البرية ، فيالها من ليلة ما ابهج ضياءها ، واطيب هواءها ، وراق من المحاسن شعاعها ، وفيها يقال ، شعـر :

ربيـع السـرور انـار السبيـــلا	واهدى لنا من كاسه السلسبيـلا
بمـولـد خـيـر الانـام الــذي	لـه اللـه كـان وليـا كـفيـــلا
تـرى قبـل مـوتـي ازور حمـاه	ويشفي منه الفـؤاد الغليـــــلا
وانظـر وادي قـبـــا قـد بــدا	وعينــي تشاهـد ذاك النخيــلا
ويدنـو البقيـع وقبـر الشـفيـع	لمن طـاب فرعا واصـلا اصيـلا

فالثم ذاك الضريح الذي تضمن خير الانام الرسولا
نبي الهدى وغمر الردا ويجلي الصدا وهو يهدى السبيلا
عليه من الله طول المدى سلام اذا رام حاد رحيلا

فمن منشد مطرب ، ومن ذاكر مغرب ، ومن قائل عما في الضمائر معرب ، ومن راغب لمولاه متضرع ، ومن باك على ذنبه متخشع ، فكان المقام بها يومين والناس في زيارة الصالحين ، والتوسل بابوابهم بسيد المرسلين ، فافترق الجمعان ، فمن مشرق صاعد ، ومن مغرب قاعد ، بعد المودعة ، فلا ترى الا حزينا باكيا ، ومضمانا قلبه لحج بيت الله الحرام ثاويا ، ولسان حالهم يقول ، شعر :

يا حاديا نحو الحبيب عساك تقرى السلام اذا وصلت هناك
وعساك تجري ذكر مثلي عنده فهو الشفا لدائي وداك
وقل السلام عليك يا خير الورى كم شيق طول المدا يهواك
انت الذي لولاك ما سرت الصبا كلا ولا عرف الهدى لولاك
لولاك ما غفرت لادم زلة لما التجا في وقته لحماك
لولاك ما رفعت ليونس رتبة لما نجا من حوته فهواك
لولاك ما كان ابن عمران ارتقى طور الخطاب ونال من نجواك
ولقد سريت الي المهيمن ليلة ما منهم أحد سرى مسراك
بالجسم كان سراك لا عن رؤية وتحكمت في ملكه عيناك
وطلبت نخلع نعل رجليك هيبة فاتى الندا لا تخلع نعلاك
ورقيت تخترق السماوات العلا متوصلا حتى بلغت مناك
ناداك جبريل الامين مخاطبا لك بالكرامات عن رضا مولاك
ان كان آدم صفوة من خلقه فقد اصطفاك لحبه وهواك
او كان نوح قد نجا بسفينة فمن العدا في الغار قد نجاك
و كان ابراهيم أعطي خلة فقد اجتباك الله اذ ناداك
او كان اسماعيل بآية الفدا من ربه فكما فداه فداك
او كان موسى للاله مناجيا ففي ليلة المعراج قد ناجاك

او كـان عيسى نال قبلـك رتبـة | فمـراتب المجمـوع قـد اعطـاك
قد نلـت بالمعـراج كـل فضيلـة | ورقيـت حـقـا للسمــا ورآك
فعليـك يـا خيـر الانـام تحيـــة | تاتيك بالاقبال مـن مــــولاك

المنزول بقبيلة حربيل

فارتحلت المحلة السعيدة ، وانعم الله عليها مديدة ، فنزلنا منزلا رحب ، كثير الرعي والخصب ، يسمى أوتبكتو ، بوسط قبيلة حربيل ، فقامت لذلك على ساق ، واتحفت الركبان بكل حلو المذاق ، فانفصـل هنالـك الاهل ولم يبـق الا عاشق مشتاق ، قاصد البيت الحرام عن حنين واشتياق ، شعر

شدوا الركاب وقد نالوا المنى بمنى | وكلهـم باليم الشـوق قـد باحـا
راحـت ركائبهـم تنـدى روائحهـا | طيبا فيا طيب ذاك الوفد اشباحـا
نسيم قبر النبـي المصطفى لهـم | روض اذا نسموا من نكره فاحـا
يـا راحلين الى المختار من مضر | زرتم جسوما وزرنا نحن ارواحا
انا اقمنا على شـوق وعـن قـدر | ومن اقام على شوق كمـن راحـا

ثم لمنزل يعرف بدار انشمس ، انشرحت فيه الخواطر واطمانت به النفس . بازاء زاوية هنالك ، امنها الله مـن المهالك ، ابدت مـن كرامتها مـا لا يخفى ، واتحفت الركب بما كفى ، فرجع هنالك مـن بقي مـن المشيعين ولسان حالهم يقول ، شعـر :

خـرس اللسان ولي دموع تنطـق | ان الهوى بحشـاشتـي متعلـــق
لمـا رايت احبتـي يـوم النـوى | شـدوا الركاب لبينهـم فتفرقـوا
سلطت طوفـان الدمـوع عليهـم | ونفيت انفـاسـي لكـي لا أغرق
فـاؤه الحـادي وقال لهـم قفـوا | فباثركـم لا شـك مـن يتعشـق
فاجبتهـم بانيـن صـوت خاشـع | قامت قيامة عبدكـم فتفـرقـوا
ردوا الضيـاء لناظـري فـلا ارى | الا سيـوف البيـن حولـي تبرق
فكانمـا امـراة العـزيـز تعلقـت | بقميص يوسف والقميص ممـزق

ثـم حل الركب بتكانة بازاء سوقها ، ثـم لافسفاس بين الجبال في وعـر ، ثـم لأسفل الجبل ، المعروف بثنية الوحل ، ثم افترع الجبل صاعدا الى نروتـه ، مـسنما كواهله واسنمته، ثم نزلت المحلة بقصبة الجلاوي(1)، وقاه الله المهاوي، وحماه من المساوي ، فحل بفنائه ، ونزل بازائه ، واقام به يومين ،لامر اوجب التواني ، في ضيافة صاحب القصبة ، أعلى الله قدره ومنصبه ، فاقام بذلك جهده وشد ازره وحده ، ثم لتسايوت ، اسم موضع ليس فيه للركب قوت ، اهله بلداء الطبع مشهورون بالنهب والقطع ، ثم لقصبة الشيخ علي الزينـبي ،

بـلاد وارزازات

ثـم لـبـلاد وارززات بـازاء قـصـبـة الـقـايـد احـمـد كـبـيـر قـومـه ، ورئيـس اهـلـه يـوم مـولـد الـرسـول ، فـتـلـقـانـا بالرحب والقبول ، وآلى عـلى نفسه ، الا نمـرق عليه ولا نزول ، فقمنا في ضيافته يومين ، كاننا في ديارنا شهرين ، زاد الله في معناه ، واخصب فيما يرضيه روض مرعاه ، ثم منها نزلنا لتفرنين ، منزل بين جبلين لا عمارة فيه ،

ثم نزلنـا بـلاد درعـة محل سكـون ودعة

جعله الله محفوف الجناب ، مامونا من المخاوف في المال والرقاب يا له مـن واد ما احسنه ، ومنزل خصب ما اطيبه ، وسكانه رقاق القلوب ، وغيوث الجدوب ، محبون لمن ينتسب لعلام الغيوب كرام السجايا ، رحاب العطايا ، ضاعف الله عليه نعماءه ، ووالى عليه آلاءه ، فأول منزلة منه مزكيطة(1) بازاء قصبة الشيخ محمد بن ناصر ، فقام صانه الله بضيافة الركب ، وانزلهم منه منزلا رحب ، فاقام لديه الركب يوما ، فاكرمهم بانعم عما ، ثم لتابرنوست حل الركب بها يوم سوقها ثم لزاويه سيدي موسى ،

1) بالقاف المعقودة المكتوبة جيما في الاولى وكافا في الثانية .

ثم لقصبة السلطان تينزولين

ثم لتن اردن زاوية المرابط ، الخير الدين البركة ، الميمون السكون والحركة ، سيدي احمد بن محمد ، فتلقاهم بالبشر المبذول وحمد الله على الالمام به والنزول ، وقدم من ضيافته ما جل وارضى به الكل ، فياله من سيد ارتدى من السيادة رداء جميلا ، ومن فاضل ما احسن شمائله جملة وتفصيلا ، ثم لموضع يعرف باستور ، على الوادي المنكور ، ثم لموضع يعرف بتحمدارت ، وقاه الله الافات ، ثم لزاوية المرابطين الانجاد ، اولى الفضل والرشاد ، ذرية السيد الصالح ، القدوة الناصح ، سيدي محمد بن ابراهيم المجروتي (1) فخيم الركب بفنائهم يومين ، في كرامة وقرة عين ، ثم لبني علي بازاء زاوية المرابط القدوة ، الشهير البركة والحرمة ، سيدي عبد العالي ، صانه الله فاكرم مثواه ، واحسن مرعاه، فركب صانه الله بغلته، وشد حزامه وعصابته، مع نفر من أهل تامجروت1 فسلكوا بالركب في وعر بين جبلين ، يقال له ، خنك (2) المكتاوة ، حرصا عليه واتقاء ان يصيبه مكروه من طائفة من اللصوص تجتمع فيه غالبا الى ان قطعوا الوعر ، فحلوا ببني حيون بلكتاوة فاقام هنالك الركب ثمانية ايام ، في نعمة هنية ، وعيشة مرضية ، لانتظار رسول الملك ثم لبني مسنان ، فمن ثم تاهب الركب للمسير ، وشدوا الازر لقطع الصحارى وركوب البعير ، وفيه يقال ، (شعر) :

ولقد جرى يوم النوى دمعي دما	حتى لقال الصحب انك فان
والله ان سمح الزمان بقربنا	لكففت من نكر النوى وكفان

ثم لموضع يعرف بالمنكوب (3) شعب كثير الآبار ، ومحل اقامة وقرار ، ذو مياه عذبة ، ومراع خصبة ثم منه لموضع بعل ، لا ماء فيه ولا نخل ، ثم لمورد يقال له زكد (3)، غدير تحت عصف (4) في أرض مرتفعة عذب ماؤه ، حلو،

---

1) بالكاف المعقودة المكتوبة هنا جيما نسبة لتامكروت

2) بالقاف المعقودة والخنق هو ممر ضيق في الجبل

3) بالقاف المعقودة (4) العصف ورق الزرع وحطام التبن. ولا أدري ما يعني بهذه الكلمة هنا ،

مذاقه ، ثم بعده مرحلتين صحرا ، وزيزاء (1) قفرا، ثم مورد يقال له الحمير، ويعرف بالدورة ، ينحدر اليه ماء وادي تافلالت كثير الرعـــي والكلا ، ثـــم لبئـــر يعرف بابي العظام بازاء شعبة عمقها في الأرض بعيد المرام، هناك التقينا بالقائد جوهر مملوك السلطان ، ثم مرحلتان صحرا ، لا ماء بها يرى ،

ثم لبلاد تابلبالت وهما مدشران

كثيرا الرعى والخصب، والماء الزلال العذب، ذات عيون جارية وحدائق مثمرة زاهية ، طلعها نضيد ، ورزقها مديد ، احدقت بها جبال عالية ، من رملة دقيقة صافية ، تديرها الرياح من نواحيها ، وتجمعها لمناحيها ، اهلها بربر اللســـان ، يفتقر في مخاطبهم الى ترجمان ، ثم مرحلة صحرا ، ثم مرحلة ذات مورد عـــذب وماء زلال في آبار قصار ، لا يفتقر فيها الى اجهار ، ثم منزل بعده صحرا ثم لمورد يعرف بعكلة (2) محمد موضع رحب، وسع الركب بين عروق رمل، لم ير مثله قبل ، كثير المياه والخصب ، ينشرح له القلب ، ثم مرحلتان صحراوان ، تـــاه في آخرهما الركب وتلف في اثنائهما الدليل مقدار ضحوة من النهار ، ثم من الكريم بالطريق ، وجاد على عباده المولى الرفيق ، في آخر الثلاث فنزل الركب على بئر تعرف بالمعيتك (2)، وانه لكذلك اعتق الركب بعد أن شارف، ثم منزل بعده بعل، ثم بعده مورد يعرف بالسيفر فيه نحو ثلاث آبار ماؤها ثقيل يمج ، ثم لمنزل ايضا صحرا .

ثم نزلنا لبلاد توات

بمدشر يعرف ببني اركان اول منزلة من البلاد المذكورة بلد طيبة كثيرة الزرع

---

1) الزيزاء بالفتح والكسر والزيزي بالفتح والزازية ما غلظ من الارض

2) بالقاف المعقودة وهي كثيرا ما ترد في المخطوط مكتوبة بكاف مع ثلاث نقط عـــلى طـــريقة المـــغاربة فـــي ذلك

والثمار المختلفة بالجنس والنوع ، ذات عيون جارية وانهار ، على مر الليالي والنهار ، ورئيس الموضع خير نجيب ، حسيب اريب ، يقال له الشيخ عافة ، لا تطرق من الـم به آفـة ، فاقام بها الركب سبعة عشر يوما في نعمة شاملة ، وآلاء الله عليه متواصلة ، وبيع وشراء ، واخذ وعطاء ، فيالها من بلدة ما احسنها جبر الله صدعها ، وادام للمسلمين نفعها ، فالتقينا بها ، مـع القائـد علـي بـن عبد القادر الشرقي باشة السودان ، رحمة الله عليه واسكنه فراديس الجنان ، قد عزم على الصعود مع الركب للحجاز ويسلك معه الطريق والمجاز ، فلم يـرد المولى تعالى الا تاخره بما سبق في سابق علمه وقدره ، وكان معه من صاحبه من ابـلاد السودانية ، السيد النجيـب ، الحسيـب الاريـب ، الاستاذ النجيـب ، سيدي محمد بن الفقيه الاكبر ، المحدث الاشهر ، العالم العلم الصدر الاوحد ، سيدي احمد بابا السوداني ، صب الله عليـه من جـلابيب رحمائـه ، وأسكنه بحبوحة جنانه ، والفقيـه النجيب السيد الاريب ، البركـة الصالـح ، القدوة الناصح ، سيدى محمد بن عبد العزيز الدرعي ، مـن تـلامذة الشيـخ المحدث سيدي احمد بابا المذكور ، ممن قرا عليه بالمدينة الحمراء مراكش صانها الله، وقرأ بفاس زمانا وذهب لدرعة ، والتحق بشيخه ببلاد السودان وصحبه الى ان مات ، ومعهما السعيد الكامل الولي الواصل ، ذو المناقب السنية ، والاحـوال المرضية ، سيدى احمد بن محمد السوداني ، ذو زهد وورع ، وصيام وقيام ، نفعنا الله به وبامثاله ، صحبوا الركب ابقى الله علاهم ، ورأينا منهم من السيادة ، ولزوم العبادة ، ما يضيق عن ذكره هذا التقييد وفيهم وفي امثالهم يقال (شعر)

عبقت بنشر هواهم ريـح الصبـا	والى شذاهم كـل قلب قد صبـا
وتضوعـت انفاسهم ولطـال مـا	صمت اللسـان فاصبـح معربـا
قـوم اذا نـزلـوا بـواد مجـدب	قفـر تـارج بالعبيـر واعـشبـا
واذا بـدا البحر الاجاج لشـارب	منهم يعود من المـدامـة اعذبـا
علم المحبة في هـواهـم مذهـب	فلذاك اصبح حبهـم لـي مذهبـا
وجـدوا فـؤادي منـزلا لهواهـم	فلـذاك خيـم في الفـؤاد وطنبـا
قـوم لهـم نـبـا وحـال يقتضـي	شرف الجلال اذا سئلت عن النبا
فيهـم يزول عن السقيـم سقامـه	لمـا غدا لجنـابهـم مـتحـببـا
يجزون بالفعل الجميـل مسيئهم	والصفح عن عبد لهـم قد اذنبـا
هم اولياء الله حقـا فـي الـورى	ولهم يقال غـدا جهـارا مرحبـا

ولقد لقينا من الباشة المذكور ، من الفرح والسرور ، والملاقاة والاكرام والبرور ، ما يطول ذكره بهذا المنشور ، حتى رضي الذكر والانثى ، ومن الناس شتى ، يومر على الشيخ من الهدايا والتحف ، ما لا يحيط به وصف .

ثـم انتقلنا لمدشر الدعامشة من البلد المذكورة فالتقينا به مع سيد صالح مشهور البركة والصلاح والدين والورع والفلاح ، اسمه سيدي علي بودربالـه ، عليه مـن مخائـل العبادة ، والسياحة والزهادة ، مـا لا يمكن ان يخفى ، رقـة جسمه ، وصفرة لونه ، وظهور الخير والصلاح بوجهه ، فالتمسنا الدعاء من تلك المثابة ، مستدرين اخلاف الاجابة ، ومن جملة ما رأيناه من حاله ، وسمعناه من نطقه ومقاله ، انه يتفكر ساعة فاذا به ينطق بكلامه ، هذه الدنيا للفنا ، ويكررها المرات ، هذا غالب كلامه ، في اكثر احواله ، رضي الله عنه وارضاه (شعر)

للــه في الخلــق اسـرار وانــوار	ويصطفـى من يرتضـي ويختـار
لا تحقـرن فقيـرا ان مـررت بـه	فقـد يكـون لـه حـظ ومـقـدار
والمـرء بالنفس لا باللبس تعرفـه	قـد يخلـق الغمـد والهند بتـار
والتبر في الترب قد تخفى مكانتـه	حتـى يخلصه بالسبـك مسبـار
ورب اشعـث ذى طمريـن مجتهد	له على اللـه في الاقسام ابـرار

ثم انتقلنا لبلاد كسطن (1)، وهو مدشر منحرف عـن الـطـريق الـجـادة ، قصدناهم لرغبتهم في التوجه معنا الى الحج ، وبه روضة المولى الصالح البركة سيدى محمد بن عمر ، وروضة والده سيدى عمر ، وصحبنا من هناك من اولاده ثلاثة سادات اجلاء اخيار صانهم الله .

صـحـراء ازكـر(1)

ثـم مرحـلة بعل بـيـن هـذا المـدشـر وبيـن مـدشـر واوكـروت (1) آخـر بـلاد تـوات مـن تـلك النـاحية ، اقمنـا بـه يوما للتهـيء لـدخول

---

1) أنـظر التعليـق رقم 2 ص. 28

الصحراء المعروفة بازكر (1) الذي هو خمسون يوما باقامتها وظعانها أولها ستة ايام صحرا ، يابسة غبرا ، فيها ست مراحل ثم بعدهـا واد يعـرف بافلسـاس كثير الشجر والكلا ليس فيه الا بئر واحدة وحفر اهل الركب بئرا اخـرى اقمنـا فيها يوما لرعي الجمال ثم سبع مراحل كبار ، لا ترى فيها الا العيس والغبار ، ثم في اليوم الثامن عرضت لنا ثنية ، ارتفعت في الجوعالية ، انحدرنا فيها قرب العشاء لعوينات ، نابعات ، مشهورات بعوينات الحجاج ، ثم ثلاث مراحل صحرا غبرا ، ثم في اليوم الرابع واد يعرف بواد ـ ارسم الليل ـ وفيه آبار وكلا وكثرة اشجار العذبة ، ثم ثلاث مراحل صحرا وفي اليوم الرابع مورد يعرف بالعيوج ، فيه بئر غامقة جدا قليلة الماء ، اقمنا عليها ثلاثة ايام في جهره وسقي مائه ، ثم ثلاث مراحل صحرا غبرا ثم مورد يقال له البيض عكلة (1) كثيرة الماء والأشجار بين عروق الرمل قائمـة (شعـر)

يا بانة الرمل هل مرت بك الابـل	وساحة السفح هل حطت بك الكلل
ويا عريب النقا هـل للقـا امـد	ويقتضى بحمـاكـم نلـك الامـل
رحلتم بفـؤادي يـوم رحلتكـم	وبين جنبـي قـد حلت لكم حلـل
وحقكـم ويمين الحـب صادقـة	قلـبي بغير هواكـم ليس يشتغـل
يا سائق البدن بالبطحاء قف نفسا	لعل عيني بحسن القـوم تكتحـل
بدورتـم من الاكـوار مطلـعهـا	في القلب والطرف قد حلوا وقد نزلوا
يا للرجال عسى خل يعين فتـى	حلف الغرام رمته الاعيـن النجـل
قد دارس الوجد حتى شاب مفرقه	ومارس الحب حتى جـاءه الاجـل

ثـم ثلاث مراحل صحرا ، وفي الرابعة مورد يعرف ببئر سيدى موسى بن معرف صاحب ركب فاس نفعنا الله به ، وقبله بئر آخر قريب منه ليس محطا للركب ثـم اربع مراحل صحرا وفي الخامسة مورد يقال له واد جـان تحت جـرف مرتفـع كثير الماء وفيه من الحمام البري ما لا يحصى عددا وجدنا فيه بعض العرب(2) من

---

1) أنظـر التعليـق رقم 2 ص. 28

2) العرب هنا بمعنى الاعراب الرحالة حسب الاستعمـال المغـربي وكـما عـند ابـن خلدون مما جعل المستشرفين ذوي النوايا السيئـة ضد العرب يقررون بـأن ابن خلدون ـ وقد تعرض للعيث الذي قام به أعراب بني هلال بالمغرب العربي وندد بـه ـ كان لا يعترف للعـرب بفضـل

التوارك (1)، تعاطينا معهم البيع والشراء ثم أربع مراحل صحرا وفي الخامسة نزلنا على مورد يقال له واد تاخمالت قريب الماء جدا ذي اشجار كثيرة مختلفة الاجناس ، وفيه من عود الاراك ما لا يحصى ، ثم يوم واحد صحرا والثاني مورد بئر واحدة بين عروق الرمل عليه نخيلات صغار ، ثم ثلاث مراحل صحرا ، وفي الرابع مورد يقال له الغربان ثم مرحلتان صحرا والثالثة مورد يعرف ، بسردلس ، فيه آبار كثيرة المياه ثم خمس مراحل صحرا وفي وسطها غابة الطلح هناك التقينا مع الركب المغربي مع سيدي محمد الحفيان ، امنه الله من غوائل الزمان واجاره من جميع الامتحان ببركة النبي العدنان

وفي اليوم السادس وصلنا بلاد فزان

وقد انتفضت الجراب ، وعجزت الركاب ، وماتت الرواحل ، لبعد المراحل ، وقد اشرف الناس فيها على المهالك ، لولا لطف الواحد المالك ، سبحانه ما اعظم شانه ، واعز سلطانه ، فأول منزل نزله الركب ، وجاد به المولى الرب ، قصر أبار صانه الباري ، وقد محيت بحول الله الذنوب ، فجادت البلاد بخيرها ، واظهرت للناس من برها ، فما غربت الشمس ، ولا ارتاحت النفس ، حتى اقبل الخبر من كل مكان وذلك اول منزل من بلاد فزان ، فاتصل الخبر باميرها ، وذكر له من كبر محلتها ، وعظيم رئيسها ، وان بها شريفا قرشيا ، ومملوكا فتيا حبشيا ، فحار امره لذلك ، وطاش عقله هنالك ، فوجه من فرسان دولته ، وخدام مملكته ، نحو اثنى عشر فارسا لتجسيس واختبار احوال المحلة ومن فيها من الرماة واصحاب التروس ، فطافوا بالمحلة واختبروها ، والتقوا بالشيخ وتبركوا منه بالدعاء فعادوا بسلام ، وتيقنوا انهم حجاج بيت الله الحرام ، فاقام به الركب يوما ثم انتقل بعده لقصر يقال له جرمة ، يا له من قصر ما احسنه ، اهله جياد وايامه اعياد ، اكثر لحومه الدجاج ، تتلاطم به الامواج ، ثم انتقل لقصر بريك ، على مقربة من قصبة الملك ثم بعده لقصر دجان ، قريب من دار السلطان ، ثم بعده مرحلة كثيرة الخصب ، واسعة السهب ، الا انها صحرا ، لا ماء بها يلفى

---

1) أنظر التعليق رقم 2 ص. 28

ثم لقصبة السلطان الجليل
الرئيس الامثل الامير محمد بن جميل

كان الله له في المعرس والمقيل، وهي المعروفة بمرزك (1) ما احسن سيرته في رعيته ، وانشر عدله في بريته ، واجزل في الخيرات صنيعه واعظم في المكرمات سجيته ، تاهب اعانه الله للقيا الحجيج ، وخرج في عسكر لـه دوى وضجيج ، فتلقاه بفرح وسرور، خارج الاجنة (2) حيث يلتقي الزائر والمزور، فترجل عن فرسه ، واقبل ساعيا على قدميه ، تواضعا منه واجلالا ، وتعظيما لزوار النبي صلى الله عليه وسلم واقبالا ، وامر قاضي عسكره ، وصاحب النوازل الشرعية ببلده ، سيد فقيه جليل عليه ملابس العفة والصيانة ، ان يستنفر لـه من الركب بدرره ، فاختار له عشرة ، فجالسهم بالحكمة ، وخاطبهم بالسكينة والرافة ، بما كان عنده، ثم أمر بمناد ينادي الا من ضيع لمغربي خروبة قطعت يده، ومن ضيع له مثقالا قطع راسه ، ويعنون بالخروبة وزن اربعة حبوب قمحا من التبر ، وربع مثقال معلوم ، وان الاسعار هي كذا وكذا ، ومن زاد أو استزاد فلا يلومن الا نفسه ، فاقام عنده خمسة عشر يوما في عيش رغد ، وبيع وشراء ، واخذ وعطاء ، واضافهم ثلاثة ايام بلياليها على ما حكمت به السنة من الضيافة ثلاثا ، واهدى له اهل الركب حللا فاخرة من ملابس الملوك فقر بذلك عينا وحمد وشكر ، واظهر من البر ما اظهر ، فكانت الاقامة تلك الايام لانتظار ما يرد من الابل والعدة فجاء المولى الكريم بقافلة من ترابلس ، قضيت منها الآراب

قال بعض الحكماء امير بلا عدل كغيم بلا مطر، وعالم بلا ورع كارض بلا نبات، ورجل بلا توبة كشجرة بلا ثمرة، وغني بلا سخاء، كقفل بلا مفتاح، وفقير

1) بالقاف المعقودة

2) اجنة جمع جمع عامي لان المفرد جنة لا يستعمل الا لدار النعيم وجمعها جنان مفرد في العامية بمعنى بستان ويجمعونه على أجنة غلطا بل يجمعون هذا الجمع الاخير جمع مؤنث سالم فيكتبون اجنات، كما هنا في ص. 35

بـلا صبـر كســراج بـلا دهـن وامـرأة بـلا حيـاء كطعـام بـلا مـلـح ، وقــال مـولانـا عـلـي رضـي اللـه عـنـه امــام عــادل ، خيـر مـن مطـر وابل ، واسـد حطـوم ، خير من سلطان ظلوم ، وسلطان ظلـوم ، خير من فتنة تدوم ، وقيل لا سلطان الا بجند ولا جند الا بمال ولا مال الا بجباية ، ولا جباية الا بعمارة ، ولا عمارة الا بعدل فالعدل اساس السياسة ، وقيل العدل ان دام عمر ، والجور ان دام دمر ، والفقر الموت الاحمر ، والاعمـى ميت وان لـم يقبر ، ومن لم يخلف ولدا ذكرا لم يذكر

ثـم ارتحل بعد ذلك الركاب فاتفق حينئذ الراي أن حل بقصر زني ثم نزلنـا بقصر تراغن قصر عظيم ، وخيره جسيم ، وفضله عميم ، قد حل به من السادات الاخيار ، من لـه في الفضل اشتهـار ، اربـاب علوم ومعـارف ، وخلفاء مكـارم وعوارف ، فمنهم الولي الأكبر ، والعماد الأشهر ، والسيد الذي لم يتقدم له نظير، في مكانه ولا تاخر ، عليـه مـن حلية الصلاح والوقار ، مـا يشهد بـه ذو العـز والافتخار ، سيدي عمر بن تامر التراغني ، افاض المولى علينا مـن بركاته ، وحشرنا واياه في عرصات جناته ، لما تنسم نسيم الركب الحجازي وتعطرت أرجاء تلك الاماكن بنشره، تاهب حفظه الله للقاء وقام بعياله وحشمه شوقا فالتقى الركب في نحوميل، فيكبكبة من ابل وخيل، فترجل عن جواده، ومعه أبناؤه وأحفاده واظهر من الفرح والسرور، مالا يحصيه منظوم ولا منثور، فاقسم ليتيمن الركب ثلاثا ، ولا ينتقل عنه صباحا ولا بياتا ، فجاد جود السحاب ، ومنح مما أعطاه الكريم الوهاب ، ووسع الناس بضيافته ، واكرمهم مـن جزيل نعماته ، فيالله ما أسخاه وأحلمه وفيه وفي أمثالـه يقال (شعر

خلاله عن طريق المجد حاسـرة	ومن يساجل صوب العارض الهطل
علم وحـلـم وراي مـحضر ويــد	سبحان جامع هذا الفضل في رجل

قد تولد هذا الفرع عن اصل طيب الاعـراق ، كريـم الاخلاق ، فنجب وانجـب ، وساد وشاد ، وجاد واجاد وافاد واستفاد ، يواجهك بالوجه الوسيم ، ويحادثك محادثة النسيم ، تثني عليه السنة الحمد من القاصد والوارد ، وحلته في سماء المجد بجمال المشتري وطرف عطارد ، فهو درة العصر ، ونخبة فضلاء ذلـك المـصر (شعـــر :

مـن حبك فـي حشاشتـي اوطار   ما مر بهـا العـدل ولا السلـوان
تالله لقد حـلوت في القلـب فلو   بالهجر مزجت طـاب لي المجـران

ثم لزاوية حميدة فيها رجال صلحاء ، وسادات نصحـاء ، اقمنا بها يـوما وصحبنا منها رجال فضلاء ثم لزويلة يحكـى انها كانت مـدينة عظيمـة كثيرة النخيل ، وفيها مزارات وءاثار تدل عليها ، ويذكر ان دفات ابوابها هي القائمة على باب زويلة احد ابواب مصر ، وسميت بذلك ، (شـعـر :

تركنا هـمنا ثم ارتحلنـا   كذا الدنيـا نـزول وارتحال
وما الدنيا على احد بباق   ولا يبقى على الانسان حال

ثم مرحلة بعدها صحرا ثم لمورد يقال له ابو اللفاع غابة من شجر ، وفيـه ءابار قصار قريبة الماء ثـم لقصر تمسة وهـو اعلى قصور فزان وآخرهـا ، كثيرة الماء والعيون بعضها اجاج ، كثيرة البعوض كالسحاب ، ثـم بـعده ثلاث مراحل صحرا ليـس فيها نبات ، ثم المرحلة الرابعـة مدشر يقال لـه بلاد الفقهاء ، بلدة منقطعة في صحرا بين جبلين فيها عيـون جارية ، ونخيـل قطوفها دانية ، ثم ثلاث مراحل صحرا ، والمرحلة الرابعة مـدشر قائم علـى ربوة مرتفعة يقال له زالة مدشر صغير جدا لا معاش عندهم ولا قوت الا مـاء يسمونه اكب يستخرجونه من النخيل ابيض حـلو ، ثم يطبخونه ويستخرجون منه شيئا يشبه الرب ، وسكانه عرب مـن عكارة ، ثم مرحلتـان صحرا ثم الثالثة مورد يقال له بالائم ، فيه بئر واحدة ماؤها ملح اجاج ، لا يستقر في البطن ساعة ، طعمه فيه رائحة الكبريت ثم مرحلتان صحرا ، ثم بعده مـورد يسمى بجبدة على وصف الاول ثم مرحلتان صحرا بعدهما

ثم نـزلـنا بـلاد وجلـة بلـدة رحبـة المـسعى، كثيـرة المـرعـى،

احدقت بها اجنات من الجوانب ، تسقى بالدوالـب ، زرعها كثير ، وخيرهـا غزير ، تجلب لها الارزاق من الاقـطار و الآفـاق ، كثيرة اللحـوم والسمـن

والشحم يجلب لها ذلك من الجبل الاخضر من برقة تاتي القـوافـل مـنـهـا كثير أهلها سماح الوجوه ، وبنيانها يشبه بنـاء المغرب في الشكل ، ولـهـا بابان احدهما لناحية المشرق ، والآخر لناحية المغرب ، واعـذب ءابارها بئر بباب البلد منها يسقون لان غيرها لا يشبهه في الطعم ، فكانت الاقامة بهـا سبعة ايام ، وكان اميرها حينئذ غائبا بناحية بـرقة في بعض طاعته ، فانفقت الازواد من هنالك ، وتاهب الركبان لسلوك المسالـك في كنـف السلامـة مـن من المهالك (شعر

قـد حضرنـا في ذا المكـان وغبنا   وكذا الـدهر غيـبة وحضـور
فـاذكرونـا يـا حاضرين بخيـر   واعلمـوا انهـا الليالـي تـدور

فارتحل الركب لمنهل قريب من البلاد ، يعرف بجراجر فيه ءابار تعتاد ثم لمنهل يعرف بقطمير ليس لمائه نظير ، ثم خمس مـراحل صحرا لا تـرى فـيـهـا الا رياحا تهب، وكثائب (1) الرمل جارية كانها رواحل تخب، يقال لـه الغرود ، تطيش له العقول ، ثم مورد يقال له الطرفاوى ، بئر واحدة ذات ماء راوى، ثم مورد يعرف ببعلاوة (2) فيه آبار صغار، ثم لمورد صحرا يعرف بالحريدة ثم لمورد يعرف بالكيكب (3) فيه آبـار قليلة الماء، ثـم لـمورد يعرف بشياطة ، ثم مرحلة صحرا وسهب بين جـبلين فيهـا كهوف ودور يقال انهـا لقوم عاد منحوتة في الجبال ، سرنا فيها أكثـر من نصف يـوم ووجدنا فـي آخرها احجارا في نعت الريال (4) الكبير والصغير مطبوعا بطابعه على هيئتـه الآن المعهودة

---

1) كثائب جمع كثيبة ولاكن الفصيح هو كثيب ويجمع على كثبان بالضـم وكثـب بضمتين وأكثبـة وهو التـل من الـرمل

2) أي أبـو عــلاوة

3) بقـافيـن معقـودتـيـن

4) هذا استعمال قديـم بالمغرب لهذه اللـفظة الاسبانية ومعناها مكي والتـي لا تـزال تدل بالمغرب على ما قيمته خمسة فـرنكات

ثم نزلنا لبلاد سيوة مدشر عظيم على ربوة

مرتفعة دورها بعضها فوق بعض كثيرة الاشجار و النخيل ، متفجرة العيون نشبه جناتها جنات بلدتنا مراكش حاطها الله ، فيها من جميع الفواكه مختلفة الاجناس ، متكاتفة الاغراس ، بأسفل الربوة عين جارية ، كثيرة المياه انبسطت بارض بسيطة ينتفع بها اهل البلد في الزروع والمقاتي يقال انها عين صالح على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، اقمنا بها ثلاثة أيام ، في اكل وشرب وبيع وشراء ، ولم تقع من اهل البلاد ضيافة للركب جلت ولا قلت ، ثم لموضع يقال له المرزك (1) أرض قفرا، ثم لموضع تحت ثنية قفرا لاماء ولا مرعى ،

ثم لمدشر ام الصغير وافى ذلك اليوم يوم عيد الفطر (2)، مدشر صغير كثير النخل والعيون فانفق الزاد منه واقيم به يوما ، ثم بعدها ثلاث مراحل صحرا كثيرة الاحجار، وفي اليوم الرابع دخلنا أرضا سبخا يقال لها بحر ثمود، تغوص فيها اخفاف الابل كثيرة المياه المرة ، كماء البحر نفسه تاه فيها الدليل وضل عن مورد يقال له أبو الغراتك ، كان قصد اليه ولم يبق للناس ماء واشتد العطش وحمي الوطيس ، وهبت ريح حارة فبقي من الركب ثلاثة عشر رجلا وهلكت كلها ولم يدر الناس أين يذهبون ، وايقن الناس بالموت فحط الركب مكانه عشية النهار فركب من اهل فزان ووجلة خمسة نفر مع الدليل ، وانطلقوا في البرية يطلبون الماء وتبعهم نحو مائة راحلة بقربها فتاهوا في الارض أي ثلث الميل ، فالفوا اثر آبار تعرف بالشكة (3) ، فحفروها وجهروها جدا واخرجوا ماءها وبات اهل المحلة في كرب عظيم ، وهم شديد ، يسبحون

1) بالقاف المعقودة وهي مكتوبة في المخطوط بكاف تحتها ثلاث نقط

2) الموافق لثالث مايه سنة 1631

3) بالقاف المعقودة

الله تعالى ويعظمونه ويهللونه ويجارون بـالدعاء والابتهـال لله تعالى ، فمـا اصبح حـتى جاء الفرج من المولى الكريم ، وانكشف الكـرب ، والحمد لله رب العالمين ، وجاءت البشائر ، واقبلت الرجال ، سالية البال والخواطر ، وجاءت الجمال موقورة بالماء كانها الدواء المسهل لملوحتها ومـرارتهـا ، فامر أمير الركب أن تصنـع الناس غداءها وتزيل عطشها وجـوعها ، فاقـام الناس هنالك ، وامنت من المهالك والحمـد لله على ذلك ، وأكـلوا وشـربوا وحمدوا الله على النجاة مما راقبوا ولسان حالهم يقول ، (شعر

انى اليك مع الساعـات في حاجـة ... لو كان في مبصري الاكليل والتاج
يـا فارج الهم فـرج ما بـليت به ... فمن سـواك لهذا الـهم فـراج

وقال ءاخر في المعنى ، شعر :

اذا ضاق بي صدري استعنت بخالقي ... قدير على تيسير كل عسير
فبيـن انـطباق الجفـن ثم ارتفاعه ... فكاك اسيـر وانـجبار كـسير

وفـي ذلك يـقال ، شعـر :

وكـم للـه مـن لـطف خـفـي ... يضيق خفـاه عن فهم الـذكـي
وكـم عـسر اعـاد اللـه يسـرا ... يفـرج كربـة القـلب الشجـي
وكـم أمـر تساءبـه الصبـاحـا ... وتاتيـك المســرة بـالعـشـي
اذا ضاقت بـك الاسبـاب يـوما ... فثـق بالواحـد الفـرد العـلي
تمسـك بـالنبـي فكـل خـطب ... يهـون اذا تمسـك بـالنـبـي

وخرج الخطيب ابو بكر في ترجمة القاضي صالح بن بيان احد أصحاب سفيان الثوري قال ، حدثنا سفيان عن علي بن أبي عبيد عن انس قـال ، قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سقى الناس في موضع لا يقدر على الماء فيه فله بكل شربة يشربها البر والفاجر عشر حسنات تكتب له ، وعشر درجات ترفع له ، وعشر سيئات تحط عنه ، ومن سقى الماء في موضع لا يقـدر على الـماء فيه فكانما أحيى الناس جميعا ، فقال اذا أحييت نفسك فثوابك الجنة ، وكذا من احيى الناس جميعا فثوابه الجنة ، وعن سعد بن عبادة رضي الله عنه ، ان رسول الله صلـى الله عليه وسلم قال ، افضل الصدقة سقي المـاء ، ومـن

حديث لابي هريرة رضي الله عنه ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، ليس من صدقة اعظم اجرا من ماء ، وقال بعض السادات الاخيار ، لا تزهد في معروف ، فان الدهر ذو صروف ، والايام ذوات نوائب ، على الشاهد والغائب ، فكم من راغب قد كان مرغوبا اليه ، وطالب اصبح مطلوبا ما لديه ، واعلم ان الزمان ذو الوان ، من يصحب الزمان ، يرى الهوان ، وكن اى بني كما قال ابو الأسود الدؤلي ، شعر :

وعد من الرحمان فضلا ونعمة عليك اذا ما جاء للعرف طالب
وان امرءا لا يرتجي الخير عنده يكن هينا ثقلا على من يصاحب
فلا تمنعن ذا حاجة جاء طالبا فانك لا تدرى متى انت راغب
رايت التوا هذا الزمان باهله وبينهم فيه تكون النوائب

ثم قال اى بني كن جوادا في موضع الحق ، بخيلا بالاسرار عن جميع الخلق ، فان احمد جداء للمرء الانفاق في وجه البر ، وان احمد بخل للحر الضن بمكتوم السر ، وعن ابن عباس رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من ادخل على مومن سرورا ، فقد سرني ومن سرني فقد اتخذ عند الله عهدا فلن تمسه النار ، وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل المعروف في الدنيا اهل المعروف في الآخرة ، واهل المنكر في الدنيا هم اهل المنكر في الآخرة وانشد (شعر

يا ءامر الناس بالمعروف مجتهدا وان راى عاملا بالمنكر انتهره
ابدأ بنفسك قبل الناس كلهم فاوصها واتل ما في سورة البقرة
اتامرون ببر تاركين له ناسين لذاك فعل الخيب الخسرة
وان امرت ببر كنت على خلافه لم تكن الا من الفجرة
من كان بالعرف امارا وتاركه فليس يسبق منه سيله مطره

وان غلبت يوما على المال ، فلا تدع الحيلة على كل حال ، فان الكريم محتال ، والدني عيال ، وكن احسن ما تكون في الظاهر حالا ، اقل ما تكون في الباطن مالا ، فان الكريم من كرمت طبيعته ، وظهرت عند الانفاد نعمته ، وكن كما قال ابن خراق العبدى (شعر

وجدت أبـي قـد أورثـه أبـوه خـلالا قـد تعـد مـن المعـالي
فـأكرم مـا تكون عـلي نفـسي اذا مـا قل في الأزمـات مـالي
فتحسن سيرتي واصـون عرضي وتجمل عنـد أهـل الرأي حـالي
وان نـلت الغنـى لم أغـل فيـه ولم أخصص بجفوتـي أموالـي

ثم انتقل الركب للمورد نفسه ، وخيم هنـالك بفنائه ، وكان اسمه الشكة (1) تقول العرب في مائها ، ألف تكة ، ولا شربة من الشكة ، هذا والركب باق في تيهه ، لم ينكشف له الطريق فركب الدليل مع عيون من اهل فزان يبحثون على الطريق الجادة التي تسلكها الركائب عادة ، فعادوا بسلام بعد العشاء كانهم ظفروا برشا وقد ظفروا بالمورد المعهود ، فشكروا المولى الكريـم العظيـم الجود، وهو المورد الشهير بابي الغراتق (2)، فيه آبار ملحة في فلاة من الارض رملة ، فانتقل الركب اليه غدوة ، وقام عليه الى العشية ، فسقينا منه الرواحل، وملئت القرب بعدد المنازل ، فصار الركب بعده ثلاث مراحل ، لا مقيم بها ولا راحل ، ثم المرحلة الرابعة نزلنا بمورد يقال لـه « المغرة » على بركة مـاء عظيمة جدا منقطعة من البحر المالح لا يرى لها حـد ، عليها من نبات القصب والطرفـة والسمار ، وغير ذلك من العشب فيها نزهة للابصار ، ومنظر رائق الحسـن لا نظير لـه في الاقاليم والامصار ، واجتمعت فيه اجنـاس الاطيـار تسبح للمولى الواحد القهار ، وحولها ءابار عذبة زلال ، وموارد طيبة المشرب في الحال والمئال ، ومنه يجلب السمار للبلاد المصرية اربعة ايـام ، وبحـر النيل منها ثلاث مراحل صحرا ، وفي الرابعة لبلدة صغيرة يقـال لها منشاة على بركة من ماء عظيمة ، يفيض فيها النيل ، وقـت وحامه ، عليهـا قنطـرة ممتدة كبيرة عالية عظيمة البنيان ، مشيدة الاركان ، لم ير الراؤون مثلهـا ، وهذه المدينة صغيرة فيها الجمعة والمنار ، واهلها من العرب اهـل الـزرع والضرع ، جوانبها كانها الزمرد الاخضر ، هنالك ارتاحت النفوس ، وذهب

1) أنـظر التعليـق رقـم 3 ص. 37

2) لعـل هذه الكلمة محرفة عن غرانق جمع غرنوق وهو طائر مائي أبيـض طويـل السـاق والـعنق والكلـمة بقـاف معقودة في المخطوطـة مكتوبـة بقـاف عـليـهـا ثـلاث نقـط

عـن القلوب حداها ، وازينت كانها عروس ، حـل الركـب بها عنـد العـشاء، والجراب منتفضة عن العشا ، فجاء الخير عاجلا ، وانبسط انبساطا كـاملا ، من غير أن يساله سائلا ، فـاقمنا بهـا ثـلاثة أيام في أكل هني ، وفـي نعمـة شاملة ، للاخذ في اهبة السفر بالانجاز ، والنهوض للسيـر لأرض الحجـاز ، فاشتريت الابل من هنالك المستراحة ، وبيعت العاجـزة أو تركـت للـراحة ، هذا كله ولم توقد لاهل الركب نار ، في الايام الثلاثة الليل والنهار ، وءالاء الله، تترى من دجاج وأرز ولحـوم الضان والبقر والجوامس واللبان ، ومن صيـد النهر المختلف المطاعم والالوان

ذكـرى النيـل المبـارك

وفي اليـوم الرابع رحنـا على النيـل وقـد سكنت لججه ، وركد مائجـه واقبلت الزوار تهفو بقوادم غربان ، وتعطو بسوالف غـزلان ، تخالهـا فوق ثبج البدر نجائب محدوة ، وتحسبها فوق مائه اعلاما وجبالا مجلوة ، وزورقنا بينها يسرع في اندفاعه ، ونحن تحت وارف ظل شراعه ، فحسبته من خـوف العواصف ، طائرا مد على بنيه جناحه ، فهذا البحر اعجب البحور شمـائل واعذبها واردا ، واطيبها نشرا ، واحسنها خبرا ، جعله الله تعالى دالا عـلى غرائب قدرته وعجائب حكمته ، فسبحان من خص به مصر ، فاعجب به بحرا في الصيف يفور ويفيض ، وفي الشتـاء يغور ويغيض ، فتامل كيـف اقبـلت قوافل مقياسه ، ونفـائس انفاسـه ، فكلما تنفـس نفسا مـن انفـاسه ، مـلأ الارض نجدا وغورا ، وافعمها بطنا وظهرا ، وعـم البلاد طيبا ونشرا فـلكم جبر بكسر خليجه كسرا ، ولكـم اطلق بانطلاقه عسرا ، وانشدوا في المعنى ،

تراه اذا هبت بـه نسمة الصبـا	تجعـده نظـما وتـرسلـه نثـرا
هـو النيـل الا انـه عنـد نيلـه	ترى كل قطر قد احل بـه بحـرا
يـجود اذا طـل السحاب بويلـه	فتهتز منه الارض ان حملت وقرا
يفيض اذا غـاض المياه كانهـا	مجدولة تسرى فسبحان من اسرا
حـكى ملكـا كـل الملوك رعيـة	يفرقهـم طـورا ويجمعهـم آخرا

فسبحان من قدرته لا تضاهي ، وحكمته لا تباهي ، ونعمته لا تتناهى ، نقل الحريفش رحمه الله حكاية لا باس بذكرها هنا، ان فرعون يتمرد وكان يضل قومه بهذا النيل فاذا كان يوم النيروز وقد وافى النيل اجله ، ويلغ نهايته ، امر بان ينادي في الناس ان فرعون قد وفى لكم نيلكم فاسجدوا له ، كان جهال قومه يعتقدون ذلك فلما كان بعض السنين قصر النيل في وفائه ولم يأذن الله له بالطلوع فاستشعر الناس الجوع واحسوا بالقحط فاجتمعوا الى فرعون وقالوا له قد هلكنا وهلكت مواشينا واولادنا فان كنت الاهنا فاجر لنا النيل ، فقال لكم ذلك ثم انه عمد الى مسح وقلنسوة شعر وكيس فيه رماد ومضى الى مكان المقياس في الخربة المعروفة بالمقياس ، فامر الا يتبعه أحد من قومه ولا من خدامه ، ودخل الخربة ونزع ثياب الملك وا تاج عن رأسه ولبس المسح والقلنسوة وفرش الرماد وجعل يتمرغ عليه ويبكي ويسجد لله عز وجل ويمرغ خده على الرماد وهو يقول ، الاهي وسيدي اعلم انك اله السماوات والأرض واله الأولين والآخرين ، ولكن غلبت علي شقوتي وزدت في عصياني وانت الاهي وانا عبدك ، وقد حكمت علي بما حكمت فلا تفضحني بين قومي وانت اكرم الاكرمين ، فما استتم كلامه حتى اذن الله تعالى للنيل ان يوفي تلك الساعة ، وان يسير معه حيث سار ، فكان فرعون يسير بين قومه والماء بين اذياله ، فكانوا يغمسون اكمامهم ويضرب بعضهم بعضا فرحا به ، فصارت سنة في مصر الى الآن ، ويقولون « نيروز » اى طلع الماء ، وكان لعنه الله في كل سنة اذا بدا وحم النيل يامر بابنة من بنات الملوك من اهل مصر يحلونها بانواع الحلي ويكسونها افخر الحلل ويزينونها بانواع الزينة كالعروس التي تزف الى زوجها ، ثم يلقونها في النيل ويفعل ذلك في كل سنة وكان جهال الناس يعتقدون أن النيل لا يطلع حتى يلقوا فيه العروس ، واستمر الامر على ذلك الى زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان نائبه بمصر عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، فأنكر عليهم ذلك فكتب كتابا الى عمر ابن الخطاب يخبره الخبر ، فكتب له عمر رضي الله عنه كتابا يرد الجواب ورقعة يقول فيها ، بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد ، من عبد الله عمر بن الخطاب الى نيل مصر ، اما بعد فان كنت تجرى من قبلك فلا

تجر ، وان كان الواحد القهار هو الذي يجريك فنسال الله ان يجريك ، وامره

ان يلقى البطاقة في النيل ، وكان اهل مصر قد ايقنوا بالغلاء فاصبحوا وقد اجرى الله النيل ، وطلع ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة ، وكان ذلك ببركة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، واراح المسلمين من تلك البدعة وامر عمرو ابن العاصي الناس بالشكر لله تعالى ، والثناء عليه ، والتوبة من المعاصي ، وابطال ما كانوا يفعلونه من المنكر ، من القاء البنات في الماء .

ثم عبرنا النيل للقاهرة ادامها الله دار الاسلام ، وصانها بحرمة نبيه عليه الصلاة والسلام ، حتى أشرفنا على ديارها وفيها يقول القائل :

نزلنا مصر وهي اجمل كاعب	فقيدة مثل زانها كرم الفعل
فلم ار امضى من حسام خليجها	يلوح على افرنده صدا الظل
اذا سال لا بل سل في متهالك	من الارض جدبا طل فيه دم المحل
غداة اجلا تبر الشفاع متونه	ولا شك ان الماء والنار في النصل
ولا مثل اعطاف الغصون كانها	شمائل معشوق تثنى من الدل
ينظم تغريدا لها شبح الدجى	وينثر اعجابا بها لؤلؤ الطل

بلاد مصر والقاهرة

فكان دخولنا لمصر ضحوة يوم الجمعة الثالث عشر من شوال احدى واربعين والف ، فيالها من قاهرة ما احسنها ، وابدع جمالها ، واوصافها ، أوفى البلاد طهرة، وأزكاها فطرة ، وافسحها رقعة ، وأمرعها نجعة ، واقومها قبلة ، واوسعها دجلة ، واكثرها نهرا ونخلة ، دهليز البلد الحرام ، وقبالة الباب والمقام ، واحد جناحي الدنيا ، والمصر المؤسس على التقوى، ذو المشاهد المشهورة والمساجد المقصودة ، والمعالم المشهورة ، والمقابر المزورة ، والآثار المحمودة ، قدجمعت اشتات المحاسن ، ويكفي في وصفها ما ذكر الله تعالى في كتابه العزيز من قوله تعالى (ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين) وقوله تعالى (لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض) وقوله تعالى ، (وان يظهر في الارض الفساد) وقوله تعالى (اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك وآلهتك) الى قوله (ان الارض لله يورثها من

يشاء من عباده) الى قوله (عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض) المراد بالارض في هذه الآيات كلها مصر ، وعن ابن عباس رضي الله عنه وقد ذكر مصر فقال ، سميت مصر بالارض كلها في عشر مواضع في القرآن ، قال الحافظ ، بل في اثنى عشر موضعاً او اكثر ، وقال تعالى (واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها) ، قال الليث بن سعد ، هي مصر بارك فيها بالنيل ، حكاه أبو حيان في تفسيره ، وقال القرطبي في هذه الآية ، الظاهر انهم ورثوا ارض مصر القبط وقيل هي ارض الشام ومصر ، قاله أبو اسحاق وقتادة وغيرهما ، وقال تعالى في سورتي الاعراف والشعراء (يريد ان يخرجكم من ارضكم) وقال تعالى (ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها) وقال تعالى (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) قال الكندى ، لا يعلم بلد في اقطار الارض اثنى الله عليه في القرآن بمثل هذا الثناء ، ولا وصف بمثل هذا الوصف، ولا شهد له بالكرم غير مصر، وقال تعالى (ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق) وقال القرطبي ، اى منزل صدق محمود مختار يعني مصر ، وقال ، يعني مصر والشام ، وقال تعالى ، (كمثل جنة بربوة) اورده ابن زولاق وقال تعالى (او لم يروا انا نسوق الماء الى الارض) قال قوم ، هي مصر ، وقواه ابن كثير في تفسيره وقال تعالى (وقدر فيها اقواتها) وقال عكرمة منها ارض القراطيس بمصر وقال تعالى (ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد) وقال محمد بن كعب القرظي هي الاسكندرية .

(لطيفة) قال الكندي حكاية عن يوسف عليه السلام (وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو) فجعل الشام بدوا وسمى مصر مصرا ومدينة ، اخرج ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وابن العاصي قال :خلقت الدنيا على خمس صور ، على صورة الطير براسه وصدره وجناحيه وذنبه ، فالراس مكة والمدينة واليمن ، والصدر الشام ومصر ، والجناح الايمن العراق ، والجناح الايسر السند والهند ، والذنب ، من ذات الحمام الى مغرب الشمس ، وشر ما في الطير الذنب (1) ،

---

1) وقال أحد ظرفاء المغرب في مجلس أحد خلفاء بني العباس ببغداد :
« ولاكن الطير طاووس »

ويكفي في وصفها ايضا ما نقل فيها من الأخبار الواردة والآثار العديدة فمن ذلك ما رواه ابن زولاق وغيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال ، لما خلق الله آدم مثل له الدنيا شرقها وغربها ، وجبالها وانهارها ، وبحارها وبناءها وخرابها ، ومن يسكنها من الامم ومن يملكها من الملـوك ، فلما رأى مصـر رأى ارضا سهلة ذات نهر جار مادته من الجنة تنحدر فيه البركة وتمـازجـه الرحمة ، ورأى جبلا من جبالها مكسوا نورا لا يخلو مـن نـظر الـرب اليـه بالرحمة، سفحه اشجاره مثمرة، فروعها في الجنة تسقى بماء الرحمة ، فدعا آدم في النيل بالبركة ، ودعا في ارض مصر بالرحمة والبر والتقوى ، وبـارك على نيلها وجبلها سبع مرات ، وقال ، يا أيها الجبل المرحوم ، سفحك جنـة ، وتربك مسكة يدفن فيها غراس الجنة ، أرض حافظة مطيعة رحيـمة ، لا خلتـك يا مصر بركة ، ولا يـزال بك حفظ ، ولا زال منـك ملك وعز بأرض مصر ، فيك الخبا والكنوز ولك البر والثروة ، سال نهرك عسلا ، كثر الله زرعك ، وزكى نباتك ، وعظمت بركتك ، ولا زال فيـك الخيـر ما لـم تتجبري أو تخونـي او تسخري ، فاذا فعلت ذلك عراك شر ، ثم يعود خيرك ، وكان ءادم اول من دعا لمصر بالرحمة والخصب ، والبركة والرافة ، واورده غيره عن عبد الله بن سلام قال ، مصر ام البركات ، تعم بركتها من حج بيت الله الحرام مـن اهـل المشرق والمغرب ، وان الله ليوحي الى نيلها في كل عام مرتين ، مـرة عـند جريانه فيوحي اليه ان الله يامرك ان تجرى كما تومر ، ثم يوحي اليه ثانيـة ، ان الله يامرك ان تغيض حميدا فيغيض ، مصر بـلد معـافى واهلـها اهـل عافية وهي ءامنة ممن يقصدها بسوء ، من أرادها بسوء أكبه الله على وجهه ، ونهرها نهر العسـل ، ومادته من الجنة ، وكفـى بالعسل طعاما وشـرابـا ويروى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، لـما بعث محمد بـن أبـي بـكر الصديق الى مصر رضي الله عنه قال له اني قد وجهتك الى فردوس الدنيا

وقد نقل في فضلها وشرفها اثار كثيرة ، واخبار جسيمة ، لا نطيـل بجلبها ، ولا نتعرض لسردها ، ومن عظيم شرفها ، وقوة فضلهـا ، ما نقل انه دخلها من انبياء الله الكرام عليهم افضل الصلاة وازكى السلام ، مـا يـنيف علـى الثلاثين ، وقد نظم بعضهم اسماءهم في ابيات خمسة وهي هذه :

قد حل مصر فيما قد رووا زمر — من النبيئين زادوا مصر تانيسا
فهاك يوسف والاسباط مع ابيه — وحافد وخليل الله ادريسا
لوطا وايوب ذا القرنين خضر سليمان ارميا يوشع هارون مع موسى
وامه سارة لقمان ءاسية — ودانيال يوشعا مريما عيسى
شيثا ونوحا اسماعيل قد ذكروا — مازال من اجلهم ذا المصر مانوسا

وذكر انه كان بمصر من الصديقين ، كماشطة ابنة فرعون ، وابنها ، ومومن ءال فرعون . اخرج احمد والبزار والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما كانت ليلة اسري بي اتيت على رائحة طيبة فقلت يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة ؟ قال هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها قلت وما شانها ؟ قال بينما هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم اذ سقط المذرى من يدها فقالت ، بسم الله ، فقالت ابنة فرعون ابي ؟ قالت لا ، ولكن ربي ورب ابيك الله ،قالت اخبره بذلك ؟ قالت نعم ، فاخبرته فدعاها فقال يا فلانة وان لك ربا غيري ؟ قالت نعم ربي وربك الله ، فامر بقدر من نحاس فاحميت ، ثم امر ان تلقى هي واولادها فيها ، فالقوا بين ايديها واحدا واحدا الى ان انتهى ذلك الى صبي لها مرضع كانها تقاعست من اجله ، فقال ياماه اقتحمي ، فان عذاب الدنيا اهون من عذاب الآخرة ، فاقتحمت . واخرج ابن اخي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى (وقال رجل مومن من آل فرعون يكتم ايمانه) قال لم يكن من آل فرعون غيره وغير امراة فرعون وغير المومن الذي انذر موسى قال له (ان الملأ ياتمرون بك ليقتلوك) الآية وبالجملة ففضلها عظيم ، وخيرها جسيم ، كانها جنات نعيم .

ثم حللنا مصر أعظم مصر ، ونزلنا منها اكرم منزل واسنى قطر، واجتليناها اوضح من البدر عند الفجر ، فنسي كل غريب وطنه ، وود ان لو فيها يقضي عمره وزمنه ، وفيها يقال :

لعمرك ما مصر بمصر وانما — هي الجنة الدنيا لمن يتبصر
فاولادها الولدان والحور عينها — وروضتها الفردوس والنيل كوثر

مسجد ابن طولون

ذكر أن باني ها أحمد بن طولون حين بنى المسجد المذكور رأى النبي صلى الله عليه وسلم وخط له قبلتها ، وانه بناها من كنز كان وجده ، وهو مسجد عظيم واسع الفناء ، مرتفع البناء ، خطيبها بليغ فصيح اللسان ، واسع الجنان ، عالم نحرير ، عليه من المهابة والوقار وحسن السمت يتقدمه رايتان ، ومن خلفه مؤذنون من داره الى منزله ، فتجعل راية عن يمين المنبر ، والاخرى عن يساره في زي عظيم ، فاذا فرغ من الخطبة الاولى قبل جلوسه يقول ، اللهم صل وسلم على من جاء بالرسالة ، وادى الامانة ، وبلغ الرسالة ، سيد العرب والعجم ، ابي القاسم محمد ، ياايها الراجون منه شفاعة ، صلوا عليه وسلموا تسليما ، يجلس ويقول عند تمام الخطبة الثانية (ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون)

واذا فرغ يذهبون به كذلك الى داره ، وهذا شان الخطباء بالديار المصرية ، وبامام المحراب تحت القوس المقابل له غرفة من العود يجتمع بها المؤذنون اذا ذكر الامام الله وحدوه بارفع صوت ، واذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يصلون عليه بارفع صوت ، وكذلك التكبير والاذان في جميع احوال الصلاة الى الفراغ منها

وكان بها حبر كبير ، عالم متفنن ، مجيد متقن حلو الشمائل ، كريم الفضائل ، مامون الغوائل ، فصيح اللسان ، جزيل العبارة بالطف بيان ، اسمه ابو علي المصرى الشافعي ، صان الله بمنه ايامه ، يقروء التذكرة للقرطبي بين المغرب والعشاء ، تسرد عليه ، ويتتبع احاديثها ويبينها احسن بيان ، ويتعرض لمعاني الحديث ، ويستخرج منه ما يتعلق به من الاحكام الشرعية وغيرها ، وله في ذلك سنن عجيبة ، حضرنا مجلسه صانه الله مدة اقامتنا بمصر واستفدنا منه فوائد ، بعد ان وقعت لنا معه مباحث فقربنا حفظه الله منه وادنانا وادخلنا في حلقته ، بعد الفراغ سالنا منه الدعاء فدعا لنا

وامن الطلبة والناس على دعائه ، وسال عنـا ومن اين اقبلنا ، واســم بلدنـا فعرفناه ومستغرب (1) منا اسم مراكش وقال، ما سمعت به قط ولا علمت انه كان ولا سمعت الا بفاس حيث قدم علينا العلامة النحرير سيدى احـمـد المقرى تغمـده الله بـرحـمـتـه

وفـي هذا المسجد من المصابيح مـا لا يحصى عددا ، عـددت في دائـرة اقواس صحنها من خارج مائة مصباح وثمانين ، كلها كاسات من الزجاج ، وما هو داخل عن الصحن لا اقدر على عده ولا احصائه .

الـجـامـع الازهـر

واعظم من هذا المسجد جامع الازهار ، المشرقـة الانـوار ، الشهيـرة الذكر ، في الحواضر والامصار ، لا مسجد يعدله في قطر ، ولا نظير يماثلـه في مصر ، لا يغلق لـه باب ، ولا يسدل لـه حجاب اوقاتـه معمـورة ، وبانـواع العلوم مغمورة ، قراءة وتقريرا لتفسير وحديث ، ونحو وبيان ، واصول فقـه ودين ، وتصوف ، ينبع العلم من حيطانه ، ويسلي الغريب عن اوطانه ، لا تجد سارية من سواريه خالية من معلم مفيد ، او متعلم مستفيد ، تجتنى من رياضه أزهار الكلام ، ويسمع في أرجائه اصارير الاقلام ، وفيه خمسة رواقات للغرباء من حملة القرآن ، ومن يتعاطى العلم من اهل المشارق والمغـارب ، تجـرى لهم الاقوات ، في جميع الاوقات ، من رغيف نظيف ، وحسو جريش ، وعـدس نضيج ، صباحا ومساء ، اساطين بلاطاته الداخليه من رخام منحوت سماوى في اللون ، وسقفها من ساج اخضر ، وفيه من المصابيح مـا لا يحصى عـددا ، وفيها اربعة مكاتب في كل واحد منها اربعون صبيا ، ولكل منها مؤدب ، ولهم اوقاف جارية ، لملبسهم وقوتهم ، يتعلمون حـروف القـرآن العظيـم ، ولهـا ميضات خارج المسجد ، كثيرة الصهاريج والمياه مشيـدة البنـاء ، واسعة الفناء وبينه وبين المسجد ممر مستطيل داخل في وسط المسجد

---

1) المستغرب حقا هو أن هـذا العـالم الذي وصفـه المؤلف بـأنه «حبر كبير وعـالم متفنن» لم يسمع قط باسم مراكش ولا علم انـه كـان .

حضور المؤلف مجلس تدريس الامام أبي الحسن الاجهوري

ومن اعظم مشايخ التعليم ، في هذا المسجد العظيم ، شيخ المقرئين ، وخيار عباد الله الصالحين فخر السنة والملة ، وامام الائمة والجلة ، ولي الله الكريم عليه ، المنقطع اليه ، المنتفع بالقراءة والتلاوة بين يديه ، الذي عظم الله شانه ، ورفع بالعلم والعمل مكانته ومكانه ، ورزق الناس الانتفاع به في البداية والنهاية ، العالم العامل سيدى ابو الحسن علي الاجهورى ادام الله حياته للاسلام ، وعمر به تلك الاماكن العظام ، وادام النفع به على مر الليالي والايام من مشايخ المالكية ، ادركناه وهو يقريء في رسالة ابي عبد الله محمد ابن ابي زيد القيرواني ، قراءة تحقيق ، وتدقيق ، وابحاث يعجز عن جوابها جهابذة التحقيق ، حضرت مجلسه صانه الله مع خل لي صديق ، وسمعت منه ابقاه الله مدة اقامتي بمصر العتيق

ومن اجلهم علما ، واعظمهم فهما ، اوحد زمانه ، وفريد اوانه ، درة العلا والمجد ، من جمع الله له بين العلم والعمل، ومنحه من كل فن بلوغ الغاية التي لا مزيد عليها ، ووهبه شرف الجلال بجميع خلال الشرف وجعل شرفه في الخير حجة على من قال لا خير الا في الشرف ، بيته احد البيوتات الرفيعة بالديارالمصرية ، وله فيها مزيد الرفعة ورفعة المزية ، محل السياسة ، ومعدن الرياسة ، السيد الميمون ، المبارك الحركة والسكون ، سيدي ابو العباس احمد الشهير بالكلبي صانه الله مالكي المذهب مسموع الكلمة مجاب الدعوة سيد لبيب ، يؤنس الغريب ، يقريء في كل فن من فنون العلم ، له أوراد كثيرة ، يحيى ليلة الاثنين والجمعة بجامع الازهار ويجتمع عليه خلق كثير ، وله اوراد صبيحة يوم الجمعة عند ضريح الامام العلامة سيدى ابي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه يحضره جم غفير من الناس ،

ومن السادات الجلة الاعلام ، الملازمين لبث العلم وتعليمه ، ونشره في اهله الشابان الخيران الدينان النجيبان ، المباركان ، سيدى احمد وسيدى محمد

ولدا العالم العلم الاوحد ، قدوة الزمان ، ومصباح المكــان سيــدى ابراهيــم اللقاني صان الله الجميع

وهذا الجامع المذكور أول جامع أسس بالقاهرة انشأه القــائــد جوهــر الكاتب الصقلي مولى المعز لدين الله ، لما اختط القاهرة وابتدأ بناءه لسبــع خلون من رمضان سنة احدى وستين (1) وكان به طلسم لا يسكنه عصفور ولا حمام ولا يمام وكذا سائر الطيور ثم جدده الحاكم بامر الله ووقف عليه اوقافا .

مشهد مولانا الحسين بن علي رضي الله عنه

وعلى مقربة من هذا الجامع العظيم شــاهدت المشهــد الرفيــع القــدر ، العظيم الشان والذكر ، حيث راس مولانا الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو تابوت مغشى بالحديد قد بني عليه بنيان محتفل ، يقصر الوصف عنه ، ويقصر الطرف فيه ، ولا يحيط الادراك به مجلل بانواع الديباج ، محفوف بعقائل من شمع ابيض ، موضوعة في قواعد فضة ، وصفف اعــلاه بأمثــال التفافيح ذهب في مصنع شبيه الروضة ، يقيد الابصار حسنا وجمالا ، فيه من الرخام المجزع الغريب الصنعة البديع الترصيع ، ما لا يتخيله المتخيلون ولا يلحق ادنى وصفه الواصفون ، والمدخل الى هذه الروضة المباركة على مسجد مثلها في الحسن والغرابة ، والناس من الازدحام علــى هــذا المشهــد الكريم والاحداق به والانكباب عليه والتبرك به ، والبكاء والتضرع لديه مــا لا يصفه الواصفون ، ولكن اختصرت القليل من الكثير ، ووقفت موقف العجز والتــقــصــيــر .

ولــد رضــي الله عنه سنة اربع ، وقيل سنة ثــلاث ، وعلقت فاطمــة بــه بعد اخيه الحسن بخمسين ليلة ، قيل ولد بعد الحسن بسنة وعشــرة اشهــر ،

---

1) أي وثلاثمائة الموافق 22 يــونيه 972 م

وقيل بخمس سنين وستة اشهر من التاريخ ، وعــق (1) عنه رسول اللــه صــلى الله عليه وسلم كما عق عن اخيه ، قتل يوم الجمعة يوم عاشوراء ، سنة احدى وستــين بموضع يقال له كربلاء من ارض العراق ، بناحية الكوفة ، ويــعرف الموضع ايضا بالطف ، قتله سنان بن انس النخعي ، وهو جد شريك القاضي وحز راسه لعنة الله عليه ، اللهم العن قاتلــه ومبغضه ومبغض جـده وابيــه وذريته آمين ، اللهم لا تنل لمبغضه شفاعة جده آمين ، اللهم احشرنا في زمرة آله ، وذكر بعض المؤرخين ان الحمرة التي تكون في السماء الآن لم تكن قبل موته الى ان مات ، فكانت تظهر الى يوم القيامة وذكر انه وجد على باب دير هذان الشطران مكتوبين بخط احمر وهما

اترجـو امــة قتلــت حسينـــا　　　شفــاعــة جــده يوم الحــساب

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال، رايت الرسول صلى الله عليه وسلم في منامي الليلة التي قتل فيها الحسين رضي الله عنه وفي يده قارورة وهو يلتقط شيئا من الارض ، فقلت يا رسول الله ما هذا ؟ قال قتل ولدي الحسين فها انــا التقط دمه من الارض واجعله في قارورة وارفعه الــى الله تعالــى ، وروي أن الجن ناحت على الحسين ناحت سبعة ايام حتى سمعت من تحت سبع ارضين ، وبكت عليه الملائكة ، قال عبد الله بن رباح القاضي ، ورايت رجلا مكفوفا قــد ذهب بصره فسالته عن ذلك فقال ، كنت في جيش بني امية يوم قتــل الحسين ، ولكن لم اضرب بسهم ولا برمح ولا بسيف ، فنمت تلك الليلة اتاني ءات فقال :أ اجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت مالي ولرسول الله صلى الله عــليه وسلم ، فاخذ بتلابيبي وجرني حتى اوقفني بين يديه ، فوجدته مغتما حاسرا عن ذراعيه ، قد جعل يده تحت خده ، وملك قائم بيده سيف من نــار ، وكــنا سبعة من الاصحاب فقتل اصحابي الستة ، كلما ضرب احدهم ضربة التهبت ، كلما قتلهم الملك رجعوا احياء فيقتلهم مرة بعد اخرى حتى قتلهم سبع مرات ، فدنوت منه فقلت السلام عليك يارسول الله ، ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم ، فقال صدقت ، ولكن كثرت العدد ادن مني ، فدنوت منه فاذا بطست مملوءة دما ، فقام الحسن فكحلني من ذلك الدم فانتبهت أعمى لا ابصر

1) عق عنه أي أقــام حفلة التسمية المسماة عقيقــة

شيئا . وقال الفضل بن الزبير ، كنت قاعدا عند السرى فجاء رجل فجلس اليه فاذا هو يشم منه رائحة القطران فقال له يـا عبد الله اتبيع القطـران ؟ قـال الرجل لا ، قال وما هذه الرائحة التي اشم منك ؟ قال شهدت في عسكر عمر بن سعد يوم قتل الحسين فرايت رسول الله صلـى الله عليه وسلـم وعلي بن ابـي طالب رضي الله عنه وهو يسقي لمن قتل من اصحابه فاستسقيته فقال لي انت ممن اعان على قتلنا ، فقلت يا رسول الله انما كنت ابيعهم اوتاد الحديد ، فقال لعلي اسقه قطرانا ، فناولني قدحا فشربت منه فمكثت ثلاثة ايام ابول القطران، ثم ذهب مني وبقيت هذه الرائحة . وروي أن رجلا آخر شهد قتل الحسين فقال على وجه الاستخفاف ما أكثر ما يكذب أهل العراق وانهم يقولون مـا شهـد موت الحسين أحد الا أصيب بمصيبة واني حضرت فلم يصبني شيء ، وكان الرجل ضيفا عند قوم فقام الى المصباح ليصلحه فتعلقت به شرارة فاشتعـل من ساعته نارا فاحترق ومات ، ويحكى عن الحسن البصرى رضي الله عنه انه قال ، رايت في المنام سليمان بن عبد الملك ورسول الله صلى الله عليه وسلـم يزفه ويلاطفه قال الحسن ، فقلت له لعلك فعلت الى اصله معروفا ، قال نعم ، اني وجدت راس الحسين في خزانة اليزيد بن معـاوية فكسوتـه خمسـا مـن الديباج ، وصليت عليه في جماعة ودفنته ، فقال له الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضي عنك بذلك ، فاحسن سليمان الى الحسـن وامـر لـه بجائزة من المال . وروي أن عمر بن الليث عرضت عليـه جنوده يومـا فلمـا نظر الى كثرة عساكره وجنوده وكان يحمل بين يديه اثنا عشر الف عمود من ذهب ، تحت كل عمود قائد تحت يده الف فارس فلمـا راى ذلك ذرفت عينـاه دموعا حتى بكى وقال في نفســه يا ليتني كنت يوم قتل الحسين بن علـي مـع هؤلاء لكنت افديه بنفسي ومالي وجيشي هذا كله ، فـرأى بعض الصالحيـن رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه فقال له ، قل لعمر بن الليث اطلعت على ما خطر ببالك وقلبك ، وقبلنا منك ، واعطاك الله عز وجل على نيتك الثواب الكثير ، والنعيم الجزيل ، فجاءه واخبره فبكى بكاء شديدا

قالت أم سلمة رضي الله عنها كان رسول الله صلـى الله عليه وسلم يوما مـع الحسـن والحسـين فـي مـنـزلـه فـدخلـت عـليـهـم مـن الـبـاب واذا الحسـين على صـدر رسـول الله صلـى الله عـليه وسـلـم يلعب وفـي يـد رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعة مـن طيـن ، ودموعـه

نجرى على خده ، فقالت ام سلمة فخرج الحسين ودخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت بابي انت وامي يا رسول الله ، رايتك وفي يدك قطعة من طين وانتتبكي والحسين على صدرك ، فقال صلى الله عليه وسلم ، انما لما فرحت به وهو يلعب على صدرى ، اتاني جبريل عليه السلام وناولني الطينة التي يقتل عليها الحسين فلذلك بكيت .

مشهد السيدة نفيسة بنت زين العابدين رضي الله عنهما وارضاهما

وبخارج القاهرة مشهد عظيم للسيدة نفيسة الطاهرة رضي الله عنها ، فرايت مسجدا عظيم الاحتفال ، فائقا في الحسن والجمال ، فيه من الذهب وانواع الصنعة ما لا يحصره الحد ، ولا يجمعهم الا ذلك النضد ، ينتهي الداخل بعد ثلاثة ابواب رائقة ، وفي حسنها فائقة بين كل باب وباب فضاء واتساع ، وفي قبلة المسجد باب من الحديد قافل ، فوقه مكتوب بالذهب ما نصه ، بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد ، هذا مشهد السيدة نفيسة الطاهرة بنت الحسين بن زيد بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم ، وفي داخله مسجد آخر صغير اصغر منه جرما ، واتم حسنا واتقانا وصنعة ، وفي قبلته باب بديع الى قبة عجيبة تتوقد ذهبا ، وتتلألا جمالا ، تكل الافهام وتحار الاوهام ، في حسنها وبهائها ، فمنها مشتبهات في النقوش ومؤتلفات ومختلفات في انواع الرقوم ، يقعد عندها الاعجاب ويقوم ، استنارت بالمضاوى بهاؤها ، وازداد جمالا سناؤها ، وتحت هذه القبة الضريح المبارك ، بساطها مرمر من بديع الاتساق ، وقف فيه الحسن على ساق ، وشبابيك العود البديع التخريم مكوكب بمسامير الفضة والذهب ، يقف عنده البصر ولا يذهب ، وسرج من نضار ، تقيد الابصار ، واستار الديباج البديعة السياج ، وعقائل من شمع قائمة ، على قواعد من ذهب وفضة ، تبهر العيون جمالا ، وتضاهي البدور كمالا (شعر :

آل النبي ذريعتي وهم اليه وسيلتي
ارجو بهم اعطى غدا بيدى اليمنى صحيفتي

وبمقربة من هذا المشهد العظيم ، روضة عظيمة البناء ، متقنة الصنعة في الحسن والجمال والبهاء والكمال ، مشهد اختها السيدة رقية بنت زين العابدين رضي الله عنها ، وصلى الله على جدها

مشهد العالم العلامة خليل بن اسحاق الجندي رحمه الله تعالى ورضي عنه

وبداخل القاهرة مدفن العالم العلامة خليل بن اسحاق الجندي ، أحد ائمة المالكية بالقاهرة ، وصاحب المختصر ، وله رضي الله عنه شرح مختصر ابن الحاجب ، ومناسك الحج وغيرها من الكتب ، تفقه بالشيخ ابى عبد الله المنوفي ، وكان ممن جمع بين العلم والعمل ، والزهد والتقشف مات سنة ست وسبعين وتسعمائة ، ومعه قبر شيخه العالم العلامة سيدي ابى عبد الله المنوفي رضي الله عنهما وارضاهما (شعر :

جسدي على حكم الضنا موقوف ابدا وطرفي بالبكا مطروف
والقلب حول حماكم وبأرضكم يسعى على قدم الصفا ويطوف
فبحسنكم قلبي يهيم صبابة وبحبكم ابدا انا موصوف
وبوصلكم قد عذت من هجرانكم فأنا الحزين وقلبي الملهوف
وبكم عرفت فكيف تنكر حالتي والفضل الا ينكر المعروف
مالي سوى ابوابكم يا سادتي والقلب من هجرانكم مرجوف
حاشاكم ان تطردوا عبدا لكم عن بابكم قد جاء وهو مخوف
يبغي الامان ومنكم يرجو الرضى والستر فهو لديكم مكشوف

زيارة القرافة وما فيها من المشاهد العظام

ثم قصدنا زيارة القرافة يوم الجمعة الثامن عشر من شوال ، وهي ما بين مصر والقاهرة ، وهي أحد العجائب بما تحتوي عليه من مشاهد الانبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم ، واهل البيت رضوان الله عليهم ، والصحابة والتابعين والعلماء ، والزهاد والاولياء ، ذوي الكرامات الشهيرة ، والانباء الغريبة ، نفعنا الله تعالى بمحبتهم ، وأفاض علينا من بركاتهم ، بمنه وكرمه .

ومما زرته فيها قبر نبي الله صالح على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، وقبر روبيل بن يعقوب اخي يوسفعليهم الصلاة والسلام ، وقبر آسية ، وقبور جماعة من اهل البيت رضوان الله عليهم ، على كل واحد منهم بناء حفيل ، بديع الاتقان ، عجيب البنيان ، عليها تواريخهم مكتوبة باسمائهم ، منها قبر علي السجاد زين العابدين بن الحسين بن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه ، وقبر القاسم بن محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن زين العابدين المذكور ، وقبر ابنه عبد الله بن القاسم رضي الله عنهما ، وقبر معاذ ابن جبل رضي الله عنه ، وقبر عقبة بن عامر الجهني حامل راية النبي صلى الله عليه وسلم ، وعليه قبة عجيبة وهي في طرف القرافة ، وقبر ابي الحسن صانع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنه ، وقبر سارية الجبل ، وقبر حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، وقبر عبد الله بن حذافة رضي الله عنه، وقبر محمد بن ابي بكر الصديق رضي الله عنه واولاده واخيه احمد بن ابي بكر رضي الله عنهم .

وقبر اشهب بن عبد العزيز بن داود بن ابراهيم القيسي ، وقبر ابن القاسم عبد الرحمن بن القاسم العتقي يكنى أبا عبد الله ، و بر أصبغ ، وقبر عبد الله ابن عبد الحكم وهم في روضة واحدة رضي الله عنهم ، ويسمونها روضة المغاربة

،وقبر محمد بن مسعود بن محمد بن هارون الرشيد رضي الله عنه وقبر الرجل الصالح المعروف بالاقطع المغربي رضي الله عنه ويعرف

بالتيناني ، أصله من المغرب وصحب أبا عبد الله بن الجلا ، وكان أوحد عصره في طريقة التوكل ، وكانت السباع والهوام تأنس به ، وله فراسة لا تكاد تخطيء ، وقبر بنان العابد رضي الله عنه ، وقبر القاضي عبد الوهاب ابن نصر البغدادي المالكي ، وهو قريب من قبر ابن القاسم ، وقبر القاضي الانباري ، وقبر ورش المقريء رضي الله عنه ، وقبر شيبان الراعي رضي الله عنه .

وقبر الطبرى رحمه الله تعالى ، وقبر الروذباري رضي الله عنه ، وقبر ذي النون بن ابراهيم المصري ، وقبر شيخه شقران رضي الله عنه ، وقبر الرجل الصالح الزاهد المعروف بصاحب الابريق ، وقصته عجيبة في الكرامة رضي الله عنه ، وقبر العالم العلامة ابي عبدالله محمد بن محمد العبدري (1)، صاحب كتاب المدخل رضي الله عنه وأرضاه ، وقبر الناطق الذي سمع عند وضعه في لحده وهو يقول ، اللهم أنزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين ، رضي الله تعالى عنه ونفعنا به ، وقبر الصامت (2) الذي يحكى أنه لم يتكلم أربعين سنة

وقبر العالم العلامة ابي الحسن طاهر بن احمد المصري الجوهري رضي الله عنه ، وقبور أصحابه بازائه رضي الله عنهم ، وقبر أصبغ بن الفرج رحمه الله تعالى ، وقبر عبد الله بن الحكم وابنه محمد رضي الله عنهما وقبر ابن النعمان الزاهد رحمه الله ، وقبر كمال الدين عبد الطاهر الهاشمي رحمه الله ، وقبر العالم العلامة عبد الغفار بن احمد المعروف بابن نوح رضي الله عنه ، وقبر الفقيه العالم تاج الدين ابن عطاء الله الجذامي ، وقبر العلامة عمر بن الفتوح الدمامني ، وقبر الولي الصالح القدوة الناصح ، سيدي يوسف العجمي نفعنا الله به وبامثاله .

وقبر الشيخ عبد الله الجبرتي رحمه الله تعالى ، وقبر أبي عبد الله محمد ابن حسن بن الشيخ مسلم السلمي رضي الله عنه ، وقبر أبي الحسن طاهر(3)

---

1) يعني ابن الحاج الفاسي وبه عرف

2) لعله المذكور بعده ص. 58 باسم ابن الترجمان محمد بن الحسين أبي القاسم الصامت.

3) ذكر مكررا بضعة سطور قبله

ابن أحمد المصري الجوهري ، وقبر الفقيه العلامة الاصبهاني شارح المحصول وقبر ابي جعفر احمد بن عبد الله بن قتيبة الدينوري ، وقبر عبد الرحمن بن احمد بن الحجاج ، وقبر ابي العباس احمد بن ابراهيم بن جامع ، وقبر أبي بكر احمد بن ابراهيم بن عطية البغدادي، وقبر ابيض بن محمد بن ابيض الفهري، وقبر أبي القاسم عبد الله بن محمد بن خلف البزاز ، ويعرف بابن غالب ، وقبر ابي الفتح ابراهيم بن علي البغدادي ، وقبر ابي الحسن بن برهان التميمي ، وقبر شرف الدين يعقوب بن حسين الامير .

وقبر العالم سبط السلفي ابي القاسم عبد الرحمن بن مكي ، وقبر الكرم ابن عبد المنعم الانصاري ، وقبر ابي الكرم لاحق بن عبد المنعم البصري اللبان ، به شهر .

وأيضا قبر عيسى بن سليمان بن رمضان الثعلبي رضي الله عنه ، وقبر اثير الدين عبد الغني بن سليمان البصري ، وقبر أبي بكر الحافظ الانماطي رحمه الله ، وقبر عز الدين عبد العزيز ،بن عبد المنعم الحراني ، وقبر ابن الحائط أبي الخطاب البغدادي رضي الله عنه ، وقبر الضيا السبتي الشافعي رضي الله عنه ، وقبر علاء الدين علي بن عبد الغني الشاهد رضي الله عنه ، وقبر الصاحب فتح الدين عبد الله بن محمد المخزومي رضي الله عنه ، وقبر محمد بن عبد المنعم شهاب الدين المصري ، وقبر الامة الصالحة زينب بنت سليمان الأسعردية ، وقبر شهاب بن علي رضي الله عنه ، وقبر العلامة نبيه الدين حسين بن حسين بن جبريل رضي الله عنه ، وقبر بهاء الدين علي بن الفقيه عيسى الثعلبي المصري رضي الله عنه ، وقبر جمال الدين محمد المعروف بالمنشى ، وقبر أبي الحسين علي بن محمد بن هارون الثعلبي .

وقبر الامة الصالحة العابدة فاطمة بنت عباس البغدادي العالمة ، وقبرها بقرب الامام الشافعي رضي الله عنهما ، وقبر عز الدين أبي الفتح موسى ابن علي بن ابي طالب العلوي رضي الله عنه ، وقبر شرف الدين يعقوب بن محمد الصابوني (1) رحمه الله ، وقبر العلامة فخر الدين أبي الهدى أحمد ابن

1) قد ذكر سطرين بعده مكررا

اسماعيل بن الخباب الكاتب رضي الله عنه ، وقبر شرف الدين يعقوب بن محمد الصابوني رحمه الله ، وقبر العلامة فخر الدين عثمان بن بلبال المقاتلي المعروف بالكردي رضي الله عنه ، وقبر تـاج الدين احمد بن محب الـدين الضرير العباسي ، وقبر تقي الدين بن عبد الرحمن بن ابي الفتح العمري ، وقبر بدر الدين يوسف بن عمر الحنشي المعروف بابن رواح ، وقبر شمـس الدين الحسن بن أسـد المصري ، وقبر موفق الدين احمد بن محمد رضـي الله عنه ، وقبر ابن الترجمان محمد بن الحسين ابي القاسم الصامت احـد الصالحين ، وعباد الله المخلصين .

وقبر الشيخ ابي العباس البصري المخزومي رضـي اللـه عنـه ، وقبـر العلامة ابن الفارض وهو بطرف القرافة بالجبل ، وعليه مقام كريم ومسجـد عظيم ، فيه بناء حفيل ، ومنار يظهر عن بعد رضي الله عنه ورحمه ، وقبـر أبي السعود بن أبي العشا رحمه الله ، وقبر القدوة ابن النعمان التلمساني ثم المرسى رضي الله عنه ، وقبر الشيخ الفاضل ، والولي الواصل ، شيخ الطريقة ، وامـام الخليقة ، تاج الدين ابـي العباس احمد بـن عطـاء اللـه ، صاحب كتاب التنوير ولطائف السنن والحكم وغيرها من الكتب رضي اللـه عنه ونفعنا به ءاميـن وقبر عمر ابن ابي الفتوح الدمـامني (1) رضي اللـه عنه وقبر الشيخ الفاضل سيدي عبد الله الجبرتي رضي الله عنه ، وقبر سيـدي عيسى بن مسعود بن منصور المالكي رضي الله عنه ،

وقبر سيدي عيسى بن مخلوف بن عيسى المغيلي ، وقبر عثمان بن الحكم المالكي ، وقبر أبي عبد الله محمد بن ابي زرعـة ، وقبر محمد بن احمد بـن ابي يوسف المعروف بابن الجلا رضي الله عنه ، وقبر محمد بن القاسم بن شعبان بن ربيعة رضي الله عنه ، وقبر سيدي ابي بكر البغال ويعرف ايضـا بالضرير ، وقبر أبي عبد الله محمد بن احمد بن عبد الله رحمه اللـه ورضي عنه ، وقبر أبي عبد الله محمد بن نضيف البزاز الافريقي ثم المصري رضـي

---

1) قد ذكر كذلك من قبل ص 56 حيث سقطت من اسمه لفظة أبي بين ابن والفتوح .

الله عنه ، وقبر ابي عبد الله محمد بن ابي القاسم بن عبد السلام شمس الدين ، وقبر القاضي نفيس الدين محمد بن هبة الله .

وقبر تقي الدين محمد بن بكر الدمياطي ، وقبر أبي عبد الله محمد بـن عمران الشريف الملقب شرف الدين ، وقبر هارون بن عبد الله العوفي ، وقبر ابي العباس احمد بن ادريس القرافي شهاب الدين ، وقبر الفقيه العلامة ابن دقيق العيد المصري ، وقبر العالم العلامة الحسين بن محمد بن فيروه(1) الصدفي وقبر ابي الحسن عتيق بـن حسين المعـروف بالجمـال ، وقبر حمديس بن ابراهيم بن ابي محمد اللـخمي ، وقبر روح ابـي الزنباع بن الفرج بن عبد الرحمن مولى الزبير بن العوام رضي الله عنه ، وقبر ابي عبد الله محمد بن القاسم بن شعبان بن محمد بن ربيعة بن داود بن سليمان بن ايوب الصقيل بن ابي عبيدة بن محمد .بن عمار بن ياسر هكذا حكوا عنه .

وقبر سليمان بن داود بن حماد المعروف بابن الافطس رحمه الله ، وقبر سعد بن عبد الله ابن سعيد ، وقبر عبد الرحمن بن محمد الغافقي رضي الله عنـه ، وقبر عبد الوهاب ابن نصر البغدادي رضـي الله عنه ، وقبر الفقيـه العلامة سيدي بكر بن العلا القشيري واسمه ابو الفضل مـن ولد عمران بـن حصين رضي الله عنهم ، وقبر العالم النحريـر المفسر سيدي ابي العبـاس سيدي احمد بن جزي الكلبي رضي الله عنه ، وقبر سيدي عبد اللـه بن وهب ابن مسلم القرشي رضي الله عنه ، وقبر العالم العلامة عـز الديـن بن عبد السلام رضي الله عنه ، وقبر ابي الحسن بن خطر النعماني رحمه الله ورضي عنه ، وقبر العالـم الناصح شهاب الديـن القرافي رضـي الله عنه ، وقبـر الزملكاني جمال الدين محمد بن علي ، دفن بقرب الشافعي رحمه الله تعالى ونفعنا بـه آميـن .

---

1) ابن فيره يكتب عادة بدون واو بيـن الـراء والهـاء ولاكـن الـراء تنطق مضمومة ويشار لذلك في اصطلاح المغاربة والاندلسيين بالهاء المهملة في الاخير ومعنى فيـره Fierro بالاسبانية القديمة الحديد واليوم تنطق الفاء في هذه الكلمة هاء Hierro

وقبر الشيخ عمر سراج الدين البلقيني رحمه الله ونفعنا به وبامثاله وقبر ابي علي الحسن ابن محمد النيسابوري رضي الله عنه ، وقبر ابي شيبة داود بن ابراهيم البغدادي رضي الله عنه، وقبر ابن النعمان الزاهد(1) أبي عبد الله محمد بن موسى التلمساني رضي الله عنه ، وقبر ابي الحسن طاهر بن أحمد المصري الجوهري الاصبهاني شارح المحصول (2) رضي الله عنه ، وقبر ابي جعفر احمد بن عبد الله بن قتيبة الدينوري رضي الله عنه ، وقبر سيدي عبد الرحمن بن احمد بن الحجاج ، وقبر ابي العباس احمد بن ابراهيم بن جامع رضي الله عنه ،

وقبر سعيد بن عبد الله بن سعيد المعافي ، وقبر سيدي ابي العباس احمد بن مروان بن محمد الدينوري ، وقبر ابي العباس احمد بن موسى بن عيسى بن صدقة الصدفي ويعرف بالزياتي ، وقبر القاضي ابي العباس احمد ابن الحارث بن مسكين ، وقبر أبي العباس احمد بن ميسرة رحمه الله ، وقبر محمد بن احمد بن عبد الله بن نصر بن يحيى بن صالح بن عبد الله بن أسامة المصري ، وقبر سيدي محمد بن عمران بن موسى بن عبد العزيز بن محمد الشريف الحسني رحمه الله ورضي عنه ونفعنا به .

ولو تتبعت احصاءهم رضي الله عنهم لكان كتابا مستقلا ، وفيما اوردته الكفاية والله المستعان ، وعليه التكلان ، لا رب غيره ، ولا معبود سواه ، نساله تعالى أن يرزقنا رضاهم ، ويحشرنا في زمرتهم انه سميع الدعاء :

اهيم بحبكم في كل وادي	واسئل عنكم في كل نادي
واندب كلما عاينت ربعا	جرى لهم بوصل البين حادي

---

1) ذكر ثلاث مرات كان له ثلاثة مقابر في ص. 56 و 58 وهنا .

2) تقدم ص. 57 وكرر هنا

مشهد الامام ابي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله

ومما شاهدته فيها من المشاهد العظيمة ، والمزارات الكريمة ، مشهد الامام ابي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه ، وهو مسجد عظيم متناهي الاحتفال ، في غاية الاتساع ، له اربعة ابواب ، بين كل باب وباب ، العبير او فضاء واسع ، والمسجد كله قبة كبيرة فائقة الحسن والجمال ، متقنة الصنعة والاحتفال ، فيها من الذهب الخالص ما يعشي الابصار، ويذهب الالباب ، فصارت غاية في السمو والارتفاع ، وبلغت النهاية في محاسن الابداع وفي وسط المسجد المبارك الضريح ، العظيم بالتلويح والتصريح فيه من الرخام المنمق المرصع ، والشبابك المفضضة المذهبة ، والاستار المدبجة المفوفة ، وفيه من الشمع الابيض امثال السواري الملولبة على قواعد الذهب والفضة ، ما يقصر عنهالوصف ويحار فيه العقل .

وبازائه قبور جلة ، وعند راس المشهد المكرم سارية من الرخام الابيض فيها منقوش بالخط الحسن ما نصه «بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله» (وان ليس للانسان الا ما سعى، وان سعيه سوف يرى، ثم يجزاه الجزاء الاوفى) هذا قبر الامام ابي عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن سائب بن عبيد بن عبد زيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف جد النبي صلى الله عليه وسلم ، وعنده يلتقي بالنبي صلى الله عليه وسلم ، سافر الى بغداد فاقام بها سنين ، وعاد الى مكة فاقام بها اشهرا ، ثم خرج الى مصر وبها مات رضي الله عنه ، وكان يقسم الليل على ثلاثة اقسام ، ثلث للعلم ، وثلث للصلاة ، وثلث للنوم» . ومن كلامه رضي الله عنه ، كيف يزهد في الدنيا من لا يعرف قدر الاخرة ، وكيف يخلص من الدنيا من لا يخلو من الطمع الكاذب ، وكيف يسلم من لا يسلم الناس من يده ولسانه ؟ وقال المدني : سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول : من نظف ثوبه

قل همه ، ومن طاب ريحه زاد عقله ، وحدث ابو الحسن يحيى بن الحسن الطلبي عن الشيخ الولي ابي بيان الاصبهاني قال ، رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله محمد بن ادريس الشافعي ابن عمك هل نفعته بشيء ؟ قال نعم ، سالت الله عز وجل ان لا يحاسبه ، فقلت بماذا يا رسول الله ؟ قال انه كان يصلي علي صلاة تامة ، وهي اللهم صل على محمد كلما ذكره الذاكرون وصل على محمد كلما غفل عن ذكره الغافلون ، وكان له رحمه الله في اهل البيت اعتقاد كريم ، وود سليم ، ومن كلامه رضي الله عنه وارضاه ، شعر :

ليت السباع لنا كانت مجاورة ... وليتنا لا نرى ممن نرى احدا
ان السباع لتهدا في مرابضها ... والناس ليس يهدا شرهم ابدا
فاهرب بنفسك واستانس بوحدتها ... تعش سليما اذا ما كنت منفردا

وحكى فخر الدين بن الخطيب عن الشافعي قال ، رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي يا غلام ممن انت ؟ فقلت من رهطك يا رسول الله ، فقال ادن مني ، فدنوت منه فاخذ من ريقه وجعله على فمي ولساني واسناني ، وقال امض بارك الله فيك ، ومن كلامه رضي الله عنه :

اذالم تصن عرضا ولم تخش خالقا ... ولم تستحي عبدا فما شئت فاصنع

وقوله رضي الله عنه :

كل العداوة قد ترجى مودتها ... الا عداوة من عاداك في الدين

ومن كلامه رضي الله عنه :

اليك اله العرش أرفع رغبتي ... وان كنت يا ذا المن والجود مجرما
ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت رجائي نحو عفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك اعظما
فما زلت ذا لطف وعلم ورحمة ... عن الذنب تعفو منة وتكرما
ولولاك لم ينج من ابليس عابد ... وكيف وقد اغوى صفيك آدما
فلله در العارف الندب انه ... تسح لفرط الوجد اجفانه دما
مقيم اذا ما الليل مد ظلامه ... على نفسه من شدة الخوف ما تما

فصيحا اذا ما كـان في ذكر ربه وفيما سواه في الورى كان اعجما
تـذكر اياما مضت مـن شبابه وما كان منهـا في الجهالة اجرما
فصار قرين الهـم طـول نهـاره ويخدم مـولاه اذا الليـل اظلمـا
يقول حبيبي انـت سؤلي ومنيتي كفى بك للراجيـن سولا ومغنمـا
الست الـذي غذيتني وكفلتنـي ومازلـت منانـا علـي ومنعمـا
عسى من له الاحسان يغفر زلتي ويستر اوزاري ومـا قـد تقدمـا
فان تعف عني تعف عـن متمرد ظـلوم غشـوم مـا يزال مـآثما
وان تنتقـم منـي فلست بيائـس ولو دخلت نفسي بجرمي جهنمـا
فجرمي عظيم من قديم وحـادث وعفوك ياذا العفو اعلى واجسما

ولد رضي الله عنه سنة خمسين ومائة ، وعاش الى سنة أربع ومائتـين ، ومات يوم الجمعة ءاخر يوم من رجب من السنة المذكورة ، ودفن من يومه بعد العصر رضي الله عنه وأرضاه ، وحشرنا في زمرته وحماه ، ءامين ، وعلى التابوت ست علامات من الديباج والمصاحف محدقـة بقبره عـلـى كراسي ، والقبـة كلها مفروشة بالزرابي من عمل الترك ، وعند منتهى اعلـى القبة من داخلها مكتوب بالدائرة بالخط العجيب ، والذهب الرائق ما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وءاله ،

الشافعـي امـام النـاس كلهـم في العلم والحلم والعلياء والباس
اصحـابه خيـر اصحاب ومذهبـه خير المذاهب عند الله والناس
لـه الامامة فـي الـدنيـا مسلمـة كما الخلافـة في أولاد عبـاس

ومما كتب في القبة المذكورة من نظم شرف الدين ابي عبد الله الدلاصـي البوصيـري شعـر

بـقـبـر الامـام الشافعي سفينـة رست من بناء محكم فوق جلمود
وقـد فاض طوفان العلوم بقبره فاستوى الفلك من ذا الضريح على الجودي

وانشد ابن الخطيب لأبي بـكر بن الحـسين بن دريد في مدح الشـافعي رضي الله عنـه :

الـم تر ءاثار ابن ادريـس بعـده	دلائلها فـي المشكلات لوامـع
معالم يفنى الدهر وهي خوالـد	وتنخفض الايـام وهي روافـع
مناهـج فيـه للـهدى متصـرف	مـوارد فيهـا للرشاد شـوارع
ظواهـر حـكم ومستنبطـاتهـا	لما حكم التفريق فيـها جوامـع
ورای ابـن ادريس بن عم محمـد	ضياء اذا ما أظلم الخطب ساطـع
اذا المعضلات المشكلات تشابهت	سما منه نور في دجى الليل لامع
أبـى اللـه الا رفـعـه وعـلـوه	وليس لما يعليه ذو العرش واضع
توخى الهدى واستنقذته يد التقى	من الزيغ ان الزيغ للمرء صادع
ولاذ بآثـار النبـي فحكمـه	لحكم رسول الله في الناس تابـع
وعـدل في احكامـه وقضـائـه	على ما قضى التنزيل والحق ناصع
فمن يـك علم الشافعي امـامـه	فمرتعه في ساحة العلـم واسـع
سلام على قبر تضمن جـسمـه	وجادت عليه الموجبات الهوامـع
لئن افجعتني الحادثات بشخصـه	وهن بمـا حكمن فيه فواجـع
واحكامـه فينـا بـذور زواهـر	وءاثـاره فينـا نجوم طوالـع

رحمه الله ورضي عنه ونفعنا ببركاته وفضله .

وبازاء هذا المسجد العظيم مدرسة متقنة الصنعة سامية البناء، واسعة الفناء، بارعة الاوصاف من مباني الاشراف ، والذي بني هذا المشهد ، الوزير جمال الدين أبو جعفر محمد بن علي ابن أبي منصور الملقب جمال الدين المعروف بالجواد الاصبهاني ، وبمقربة من هذه الروضة يفـصل بينهما براح اتـخـذ للاجتماع على الاوراد صبيحة يوم الجمعة ويوم الاثنين على الدوام روضـة الشيخ الامام ، قدوة الانام ، حجة الاسلام ، الشيخ الكلبي المفسر (1) ، رضي الله عنه ، فيالها من مشاهد ما احسنها ، ومـن مزارات ما أسناها ، ومـن منازل ما اجملها ، مأوى لأهل الدين والتقى ، وفيها وفي أمثالها يقال ، شعر :

منـازل سـادات ومثـوى ائـمـة	عزيز علينا أن نلاقي لهـم مثـلا
تلقاهم الرحمن بالفضل والمنـى	وحيتهم الامـلاك اهلا بكم سهـلا

---

1) اذا كان المقصود ابن جزي الكلبي صاحـب التفسير فقد ذكر من قبل ص. 9 أنه مدفـون بالقـرافـة .

هم جاهدوا في الله حق جهاده ... هم أحسنوا قولا وقد أحسنوا فعلا
اعد ذكرهم واستمل بعض حديثهم ... تجد خبرا يروى وحسن ثنا يقلا
وحق اعتقادي فيهم ومحبتي ... وقربي لهم شيخا وعهدي لهم طفلا
لقد علمت نفسي بهم حرقة الأسى ... نعم وجرى دمعي على فقدهم سجلا
فكم من مهمات الامور توجهت ... لدا بابهم عقدا فكانوا لها حلا
وكم هبة أعطوا وكم حاجة قضوا ... وكم مشكل قد أوضحوا بعد ما ولى
فمن نال من هذا وهذا تعارفا ... فلا غروان يرجو باحبابه وصلا
اذ القوم لا يشقى جليسهم ولا ... يخاف نزيل حل يوما بهم دملا
عليهم من الرحمن أزكى تحية ... تلازمهم طرا وترضيهم كلا

ذكر مدشر الولي الصالح ، القدوة الناصح ، سيدي احمد البدوي نفعنا الله بـه

ومن أعظم مشايخ مصر الذي يلهجون به في كل شدة الولي الصالح ، القدوة الناصح ، المتبرك به حيا وميتا سيدي أبو العباس احمد البدوي رضي الله عنه ، هو أبو الفتيان سيدي أحمد بن علي بن ابراهيم بن محمد ابن أبي بكر البدسي (1) الاصل الملثم ، ولد سنة ست وتسعين وخمسمائة، وحج في سنة تسع وستمائة مع أبيه وأهله ، واقام بمكة الى أن مات أبوه سنة سبع وعشرين ، وعرف بالبدوي لملازمته الشام ، ولبس لثامين لا يفارقهما ، وعرض عليه التزويج فأبى لاقباله على العبادة ، وكان حفظ القرآن وقرأ شيئا من الفقه على مذهب الشافعي واشتهر بالعطاب لكثرة ما كان بمن يوذيه من النـاس ، وكان يطوي اربعين يوما لا يتناول فيها طعاما ولا شرابا ولا ينام ، وهو في أكثر أحواله رضي الله عنه شاخص البصر وتؤثر عنه كرامات وخوارق للعادة ، من أشهرها المرأة التي أسر الفرنج ولدها فلاذت به فأحضره اليها في قيوده ، وله كرامات رضي الله عنه دفن بالريف ، توفي سنة خمس وسبعين وخمسمائة رضي الله عنه

ومما زرته أيضا بمقبرة المجاورين ، قبر السيد الفاضل ، والولي الصالح ، القدوة الناصح سيدي أبي عمرو القسطار ، المراكشي المنشا والدار ، مات رحمه الله وهو متوجه مع اخوته لحج بيت الله الحرام ، وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام .

---

1) المحقق انه ولد بفاس وما يسميه مدشره حيث مدفنه هو مدينة طنطا .

جامع عمرو بن العاصي رضي الله عنه

ومما شاهدته ايضا بمصر العتيق جامع عمرو بن العاصي رضي الله تعالى عنه ، ذكر انه اول ما بني في الاسلام وهو جامع متوسط عظيم البناء ، متسع الفناء ، حسن النقش محل للزيارة نقل انه وقف عند رصف قبلته ثمانون رجلا من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، منهم الزبير [1] بن العوام رضي الله عنه ، والمقداد بن الاسود وعبادة بن الصامت ، رضي الله عنهما ، وابو الدرداء رضي الله عنه ، وابو ذر رضي الله عنه ، وابو بصرة رضي الله عنه ، وصحيمة رضي الله عنه ونبيه بن الصواب رضي الله عنه ، ورافع بن مالك رضي الله عنه ، وفضالة بن عبيدة رضي الله عنه ، وعقبة بن عامر رضي الله عنه ، وغيرهم ، وقال في كتاب الحبر الغربي ان مسلمة نقض جميع ما كان عمرو بناه وزاد فيه من شرقيه وبنى فيه أربع صوامع في اركانه الاربعة برسم الاذان ، ثم هدمه عبد العزيز بن مروان ايام امارته بمصر سنة تسع وسبعين وزاد فيه من ناحية ، وادخل فيه الرحبة التي كانت بقريه ثم في سنة تسع وثمانين أمر الوليد نائبه بمصر برفع سقفه وكان منخفضا ثم هدمه قرة بن شريك بأمر الوليد سنة اثنتين وتسعين ، وبناه ونصب فيه منبرا جديدا ، وعمل فيه المحراب المجوف وعمل للجامع أربعة أبواب ، ولم يكن له قبل الا بابان ، ولم تزل الخلفاء تزيد فيه الى زمان برهان الدين ابراهيم ابن عمر المحلي وهو الموجود الآن ، قال ابن المتوج ، قدر هذا الجامع اثنان واربعون الف ذراع بالذراع المستمر المعروف الآن بمصر ، وعدد ابوابه ثلاثة عشر بابا ، وذكر بعضهم انه كان يوقد في المسجد في كل ليلة ثمانية عشر الف نبالة وزيته في كل ليلة احد عشر قنطارا زيتا طيبا ، وذكر ان المورخ ناصر الدين بن محمد بن عبد الرحيم بن الفرات قال ، اخبرنا العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفي انه ادرك بجامع عمرو قبل الوباء الكائن في سنة تسع واربعين وسبعمائة بضعا وأربعين حلقة لاقراء العلم .

ذكر المارستان بالقاهرة

وفي داخل القاهرة المارستان ، وهو قصر عظيم من القصور الرائعة حسنا وجمالا واتساعا ، لم يعهد مثله في قطر من الاقطار احسن بناء ولا ابدع انشاء ولا اكمل انتهاء في الحسن والجمال ، قد رويت جوانبه وجمعت في شرعته السارية والغادية ، فهاهو حسنه بادي الغرر وضاح ، منبجس بالماء القراح ، شعر :

تمايل بالحسن كيف لحظته ... ما شئت من أرض به وسماء
ينساب زورقه فتحسب انه ... متسربل بنتيجة من ماء
لما رأى ابيض الزلال اديمه ... طلب الغؤور به من استحياء
فاراك منه دمعة ضاحك ... لم تنحدر في مقلة حوراء
ليس الذي يجري هنالك سلسلا ... لكن ذاك ترقرق الاهواء

نقل عن الشيخ العالم المؤرخ شمس الدين الكركي انه كان يكمل فيه في كل يوم من المرضى الداخلين اليه والناهضين الخارجين منه اربعة ءالاف نفس ، ونارة يزيدون وتارة ينقصون ، ولا يخرج منه كل من يبرأ فيه من مرضه حتى يعطى احسانا اليه وانعاما عليه كسوة للباسه ودراهم لنفقته ، وله اطباء يعالجون المرضى فيه وفيه من قناطير الاشربة المقنطرة ، والاكحال الرفيعة المصيبة التي تسحق فيها دنانير الذهب وفصوص اليواقيت النفيسة وانواع اللؤلوء الثمين شيء يهول السمع ، ويعم ذلك الجمع ، الى ما يضاف الى ذلك كله من لحوم الطيور والاغنام على اختلافها ، وتباين اصنافها مع ما يحتاج اليه كل واحد لفراشه ، ومعالجته من غطاء ووطاء ، ومشموم ومدرور وشبه ذلك ، على ما هو معد على اكماله هنالك ، وما ليس مثله الا في منزل امير او خليفة وقد رتب على ذلك كله من الاطباء الماهرين كل من هو في معالجته موثوق بعدالته ، مسلم له في معرفته ، غير مقصر في تصرفه وخدمته ، ولو اطلقت العنان في الكلام على هذا المارستان ، لم يف به مجلد ، وله بابان احدهما منفتح لسوق السفارين ، والآخر بزنقة البطانية ، بداخل الباب الاول مسجد مشيد الاركان ، عظيم البنيان ، ذو مياه جارية ، وبرك مملوة ، وتقام فيه خطبة الجمعة دائما مستمرا

وبمصر العتيق مارستان آخر على شكله ، ولكن ليست حاله كحـاله ، فما كل صهباء خمرة ولا كل سوداء تمرة ولا كل حيوان انسان ولا كل مارستان مـارسـتـــان .

ذكـر الاهـرام وصـفـتـهـا

ووقفت على الاهرام على شاطيء نهر النيل من ناحية المغرب عـددت ثلاثة عشر شكلا ، اكبرها اثنان يقصر الجو بهما سموا واتساعا ، نكـر ان ارتفاع أحدهما مائة ذراع بالذراع الكبير ، ومن احد اركانه الى الركن الثاني ثلاثمائة خطوة وست وستون خطوة ، وأقيمت من الصخور العظام ، تركيبها بديع الاتقان ، وهي محدودة الاطراف ، لا سبيل الى الصعود اليها الا على خطر ومشقة ، فتلقى اطرافها محدودة كاوسع ما يكون من الرحاب ، لو رام اهل الارض بناءها لاعجزهم ذلك ، وبها كان يجعل الطعام ، في زمان يوسف عليه السلام ، قال ابن عبد الحكم بنيت في زمان شداد بن عاد كما ذكر عـن بعـض المحدثين ، وفيها يقول الشاعر

حيـرت عقول اهل النهى الاهرام	واستصغـرت لعظامـها الاحـلام
ملـس منمقـة الـبنـاء شواهـق	قـصـرت لـرام دونهـن سهـام
لم أدر حين كـبا التفكر دونهـــا	واستوهمـت لعجيـبها الأوهـام
اقبور امـلاك الاعاجـم هـــن ام	طـلاسـم رمـل كـن ام اعـلام ؛

ولنرجع الى ما كنا بصدده ، من ذكر الانتقال والاقامة وما لقينا يوم دخولنا القاهرة ، ادامها الله للاسلام ، وصانها بحرمة نبيه عليه الصلاة والسلام ، فممن لقينا بها بعض اجنادها في احتفال العرض وتاهب للسفر وقطع المفاوز ، فبحثنا عن سبب ذلك ، فذكر لنا أن بعض من شق العصا من الاتراك مـــن ناحية اليمن اجتمع على شريف ، وصالوا على الحرم الشريف ، ونهـبـوا الاموال وسلبوا النساء والرجال ، فنهض امير مصر لحماية البيت ونصرته ، ودفع المهاجم عليه ومقاتلته ومن معه ، فاقمنا الايام المذكورة ، واخـــذ الناس في الاحتفال والاستعداد وجمع الحشود والاجناد ، فخرج مـــن

القواد خمسة ، مع كل قائد الف رجل من الجند الاتراك ، وثمانية من الأنفاض وطبول وغوائط ، وبنود عالية ، وتتقدم امام كل قائد ثمانية من سوابق الخيل ، وبقربس كل منها سيف وطرس هذا وزيادة امير الركب رضوان عليهم خارجا في زي عظيم ، واحتفال جسيم ، برايات تخفق ، وعلامات (1) تشرق ، وخيول جياد ، ورجال كالآساد ، قد ملؤوا السهول والاوعار ، كأنه السيل اذا سال ، أم البحر اذا مال ، فلا ترى الا خيولا عتاق ، ونجائب سباق ، شعر

بجيش لا يضيء الصبح فيه	مخافة أن تبدده العيون
يسيل على البسيطة منه سيل	عباباه الحوادث والشؤون
به خدع المنا ورقا المنايا	وصرف الدهر يخشن او يلين
وما تدعو الرماح وما تلبي	وما تخفي الصدور وما تبين
وما نمت الهمارى أو المهارى	وما اجتلت الفيول أو القيون
سماء علا تلوح بها العوالي	نجوما بردها الحرب الزبون
وقد هبت عنا والخيل فيها	عواصف لا يتاح لها سكون

ابقاهم الله للاسلام .

خروج الركب من القاهرة

فخرجنا يوم السابع والعشرين من شوال ، منصرفين عن مصر ، قاصدين للحرم الشريف ، برسم اداء الفرض والنفل ، والتماس الرحمة والفضل ، فاول منزل نزلته الاركاب ، موضع يعرف بالبركة خارج المدينة على شاطيء بركة من برك النيل وفيه محل اجتماع الركبان ، فاتفق رأى اميرنا السيد الجليل ، الرئيس المثيل ، البركة العظمى ، والوسيلة التي لها المجد الصميم

1) علامات جمع عامي لعلم بمعنى الراية وفي كثير من الكلمات المغربية يستعمل الجمع بمعنى المفرد فنقول اعلام وجنان وأحراض ورياض الخ. وتجمع كلها جمع مؤنث سالم وهي في الاصل علم وجنة وحرض وروض .

قدما ، سيدي الحاج محمد بن السيد العفيف ، العلي القدر المنيف ، سيدي الحاج عبد العزيز بن السيد الخطيب العلم الشهير ، سيدي محمد الكبير ، ابن المولى الصالح والقدوة الناصح ، امام المغرب وقدوته ، وقطب اوليـاء الله تعـالى وحجته ، قد خاض من الاحوال بحارا ، ونال من المعـــروف أسرارا ، وانتهى الى مقام لا يبلغه آحاد الاولياء ، سيدا صالحا ، حافظا ورعا متواضعا ، مجاب الدعوة ، المراكشي الدار ، سيدي ابي عمرو القسطار ، من اكابر الاولياء ، رضي الله عنه ونفعنا به ءامين ، مع انجاب أصحابه الابرار، ان سلموا أمر الركب المغربي ، للسيد العالم العلم حجة الانـام ، وشيـخ العلماء الأعلام، السيد الجليل الفاضل الأصيل ، المقدم في الراي والتدبير، الذي ليس له من دون الله ولي ولا نصير . مفتي الاسلام بالديار المصرية ابـقـاه الله للاسلام ، سيدي ابي الحسن البقاني ، لما اتصف صانه الله به من العلم والعمل وكبر السن وفصاحة اللسان ، وقوة الحزم والضبط ، والتيقظ للامور ، فقبل ذلك صانه الله بعد أن تواضع واستحقر نفسه واقر للسيد أميرنا بالفضل وانه اولى بالتقدم ، رعيا لاسلافه الكرام ، واستدل بقوله تعالى ، (وكـــان ابوهما صالحا) فكلف ذلك صانه الله تعالى فالتزمه ، بعد أن تابى عنه وما قبله ، وكان حفظه الله لا يبرم أمرا حتى يستشير اميرنـا ويشير عـليـه ، ويأتيه الى فسطاطه ، ويتواضع ويستصغر نفسه بين يديه ، فهذه حـالـه معـه حفظهمـا اللـه

ثم جـد السير بالركائب فانتقلنا للـدار الحمراء ، أرض متسعة غبراء ، تقشعر لها الاجسام ، وتطيش لها الاوهام ، وترتعد من خوفها الاقدام ، ليس بها رزق لطالب ، ولا مطعم لراكب ، ولا ماء لشارب ، قد امرت الشمس عليهـا لعابها ، واحدقت عليها شدة الوهج اطنابها .

ثم لقصبة عجرود ، لتحمل منها الماء الوفود .

ثـم لـواد الرمـــل .

ثـم لمنـزل بعـل ،

ثـم لـواد الخـروبـة ،

ثـم لقصبة النخيل ، في فضاء من الارض متسع بنيت على مورد عذب ، ومنها مبدا تيه بني اسـرائيـل ،

ثـم لبيـر العلاية في وسط التيـه ،
ثـم لسطح العقبة الكبرى ، ارض بسيطة متسعة النواحي وهي الـتـي

تسمـى عقبـة ايـلـة ،

ثـم لقصبتها وبها تلتقي الركبان من ارض الشام وغزة وغيرها ،

ثـم لمورد يعرف بمويه المعيز على شاطيء بحر سويس وبه نخيـل الا انـه خال من العمـران

ثـم لام العـظام صحـراء ،

ثـم لمقابر سيدنا شعيب على نبينا وعليه افضل الصلاة والـسلام وفيه موضع تعبده ، وجب شربه ، واد كثير النبات واشجار الطرفة ، المتكاثفة ، قريب المياه العذبة جدا وبقربه ربوة ، يظهر منها نخيل مدين المـذكـورة في كتاب الله تعالى على يمين الطريق هكذا ذكر بعضهم لاكن مدين المذكورة في كتاب الله تعالى وهي بناحية الشام على الأصح ، وذكر بعضهم انه كـان ينزل هذا المكان في بعض السنين دون بعض والله أعلم بصحة ذلك ،

ثـم لمورد يعرف بعيون القصب ، وفيها روضة قائمة ، ذكروا انها لسيدي سـلامة ، يقصدها الـــزوار ،

ثـم لقصبة المويلح على شاطيء البحر ثغر من الثغور ترسو به القوارب،

ثـم لموضع صحرا يعرف بشق العجوز وبمقربة منه قبر الولي الصالح ، سيدي مرزوق الكفافي نفع الله به على شاطيء بحر سويس قريب منه جـدا ورائحة تراب قبر هذا السيد انكى من رائحة المسك ،

ثـم لقصبـة الازلـم ،

ثـم لبـئر عـنتر ،

ثــم لقصبة الوجه بين جبال خارجة عنها الآبــار الكثيرة ،

ثــم لموضع صحرا يقال له بين الدركيــن ،

ثــم لمــاء الحــورة ،

ثــم للعقبــة الســوداء بــراس واد ،
ومنهـــا لمــاء النبــط ،

ثــم لسبع وعــرات بين جبال رواسي براس واد النار ولا ماء بها ،

فمن ثــم بان لنا نور النبي صلى الله عليه وسلم ظهر لنــا بعد صــلاة العشاء كالاعلام ينتشر ويظهر ثم يخفى على يسار الطريق لناحية المــدينــة على ساكنها افضل الصلاة وازكى الــسلام ،

ثــم للينبوع وفيه كثرة النخيل والعمارة والاسواق .

ثــم لدار الوقدة موضع صحرا سميت بذلك لوقد النبي صلى الله عليه وسلم كثرة النار فيها حيث توجه لغزوة بــدر .

مــوضــع وقــعــة بــدر

ثم لبدر كثير العمارة والدشور (1) والمياه والنخيل ، وفيه مسجد الغمامة المعلوم تقام فيه الجمعة .

ثــم لسبيل السلطان حصــن فيه نــوائل (2) وسقــاية كبيرة مبنيــة وعليهــا احباس لمن يعمرها بالماء يجلب لها على ظهور الابل .

---

1) جمع دشر ويقال دشرة ومدشر وهي القرية والاصل من الجشر بفتحتين وهــو المحل الذي يبيت فيه الرعاة مع مــاشيتهــم

2) جمع نوالة وتجمع على نوالات كذلك وهي الكوخ من لفظة بربرية أنوال بــسكون النون ويجمع على انلان بكسر الهمزة وضم النون وهو جمع تكسير .

ميقات اهل مصر والمغاربة

ثم لرابغ فيه واد وابار كثيرة قريبة الماء ، وفيه قوافل ، وهو ميقات اهل مصر والمغاربة على خلاف في ذلك ، وهو قبل الجحفة ، لكن ينبغي للحاج اذا اغتسل برابغ أن يؤخر الاحرام الى الجحفة فيحرم منها فيحصل السنة والمستحب ، ليلا يبتديء الحج بفعل المكروه وهو الاحرام قبل الميقات .

فرائض الحج وسننه وفضائله

وفرائض الحج خمس ، وهي النية ، والاحرام ، والطواف للافاضة ، والسعي بين الصفا والمروة ، والوقوف بعرفة ، زاد ابن الماجشون ، الوقوف بالمشعر الحرام ، ورمي جمرة العقبة ، وسننه الواجبة (1) لدم على من ترك واحدة اربع عشرة ، افراد الحج ، والاحرام من مكان الميقات ، وترك التمتع، والتلبية ، وطواف القدوم ، وركعتا الطواف ، وان لا يقف بعرفة بليل مختارا لذلك ، والمبيت بالمزدلفة ، ورمي الجمار بليل ، والمبيت بمنى ليالي الجمار، والحلق ، والتقصير ، وان لا يفعل ذلك قبل الرمي ، ووقوع طواف الافاضة يوم النحر في أيام التشريق على اختلاف قول مالك في ذلك ، وفضائله عشرون وهي ان يحرم في اشهر الحج ، لبس البياض في الاحرام ، واغتسالات الحج ، والاكثار من التلبية ، والرمل في الاشواط الثلاثة من أول الطواف ، والسعي في باقيه ، والرمل بين العمودين في السعي ، والاسراع في واد محسر ، وهو ما بين مزدلفة ومنى ، وان يمر في طريق المازمين وهما جبلان بين مزدلفة وعرفة ، والتطوع بالهدي ، والجمع بين الصلاتين في عرفة ومزدلفة ، والوقوف بأرض عرفة دون جبلها ، وأن يبدأ يوم النحر برمي جمرة العقبة ثم ينحر أو يحلق أو يقصر ، وتأخير النحر الثاني الى آخر ايام التشريق ، والصلاة بالمحصب ، وطواف الوداع ، وتقبيل الركن الاسود، واستلام الركن اليمني ، ودخول البيت ، والركوع في المقام .

1) الصواب الموجبة .

وافضل ما في الحج بعد فرائضه نحر الهدي ، لانه سنة قل فاعلها في هذا الزمان ، وفيها النفع المتعدي ، وكيفية ما يفعله في مذهب مالك رحمه الله عند الاحرام يشعره ويقلده ويكسره ، كما فعل صلى الله عليه وسلم وذلك مختص بالابل ، وأما البقر فتقلد ولا تشعر ، ثم يستصحبه الى عرفة ثم يأتي الى منى وهو موضع النحر ، وهذه سنة قد تركت وقل العلم والعمل بها فتتعين المبادرة الى فعلها حتى تحيى هذه السنة ، شعر :

لما رأيت مناديهم الم بنا ... شددت مئزر احرامي ولبيت
وقلت للنفس جدى الآن واجتهدى ... وساعديني فهذا ما تمنيت
لو جئتكم قاصدا اسعى على بصر ... لم اؤد حقا واى حق اديت

المنسك الاول في الميقات

وما يفعله الحاج في الميقات من نزع مخيط الثياب والتنظيف بحلق العانة ونتف الابط ، قص الشارب ، الاغتسال بعد ذلك ،

اغتسالات الحج ثلاثة ، الاول للاحرام ويتدلك لهذا الغسل ويزيل الوسخ بخلاف ما بعده فليس فيها الا امرار اليد مع الماء ، والثاني ، لدخول مكة ، والثالث ، للوقوف بعرفة ولبس الازار والرداء والنعلين وصلاة ركعتين في مصلاه أو أكثر ان اتفقت صلاة الفريضة في الوقت اجزات عن ركعتي الاحرام، فاذا خرج من مصلاه احرم حينئذ بقلبه ، ملبيا بلسانه ، رافعا صوته رفعا متوسطا ، راكبا كان أو راجلا ، ولفظ التلبية معلوم في محله ، وهي لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك ، يروى بكسر همزة ان وفتحها ، والمختار الاول ، واختار بعضهم الوقف على والملك ويبتدي بلا شريك - ويستحب الاقتصار على تلبيته صلى الله عليه وسلم ، ويكره الزيادة عليها وزاد عمر لبيك ذا النعماء والفضل الحسن ، لبيك لبيك وسعديك ، والخير كله بيديك ، مرهوبا منك ومرغوبا اليك ، وزاد ابن عمر ، لبيك لبيك وسعديك ، والخير كله بيديك ، والرغباء اليك والعمل ، زاد أنس لبيك حقا حقا ، تعبدا ورقا ، ويحضر قلبه عند التلبية انه يجيب مولاه .

المنسك الثاني في الاحرام

والاحرام بالحج يمنع خمس عشرة مسالة ، لبس المخيط ، وتغطية الراس ، ولبس الخفين وحلق شعر الرأس ، وازالة الشعث ، وقص الاظفار، والطيب ، وقتل الصيد ، والخطبة ، وعقد النكاح ، ومغيب الحشفة ، وانزال الماء الدافق ، وحكمة ذلك على ما روى عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ، ليس من افعال الحج ولوازمه شيء الا وفيه حكمة بالغة ، ونعمة سابغة ، فاما الحكمة في التجرد للاحرام ، فاظهار للانقياد والاستسلام للقهر، وامتثال الامر عكس عادة الناس ، فان من عادة الناس اذا قصدوا أبواب المخلوقين لبسوا افخر ثيابهم من اللباس ، فان الحق سبحانه وتعالى يقول، القصد الى بابي خلاف القصد الى أبوابهم لاضاعف لهم اجرهم وثوابهم ، وفيه ايضا ان يتذكر العبد بالتجرد عند الاحرام التجرد عن الدنيا عند نزول الحمام ، كما كان أولا حيث أخرجه من بطن أمه مجردا عن الثياب ، وفيه ايضا شبه بالموقف يوم الحساب ، كما قال تعالى (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة) شعر

تجرد من الدنيا فانك انما خرجت الى الدنيا وأنت مجرد
وتب من ذنوب موبقات جنيتها فما انت في دنياك هذا مخلد

واما الاغتسال عند الاحرام ، فلان الله يعرض الحجاج على الملائكة ليباهي الملائكة بالانام ، ولا يعرضون على الملائكة الكرام ، الا وهم مطهرون من الادناس والآثام ، ولان الحجاج ايضا يضعون اقدامهم على مواضع أقدام الانبياء الابرار ، والحكمة في التلبية لان الانسان اذا ناداه انسان جليل القدر اجاب بالتلبية وحسن الكلام ، فكيف اذا ناداه الملك السلام ، فاذا قال العبد لبيك ، يقول الله تعالى ها انا دان اليك ، ومتجل عليك ، فاسأل ما تريد ، فانا أقرب اليك من حبل الوريد ، أخرج الترمذى : «ما من عبد مومن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه»

ثم انتقلنا لخليص فيه عين جارية يجتمع ماؤها في بركة عظيمة ذات أركان أربعة مبنية ببناء مرصوص ، على وجه مخصوص .

ثـم لعقبة السكر موضع صحرا ثم لبئر عسفان الذي بصق فيه النبـي صلى الله عليه وسلم ، ماؤه عذب فرات ، شعـر

يا صاحبي سلا الاطلال والد منا — متى يعود الى عسفان من ظعنا
ان الليالي التي كنا نصرفهـا — بدا بذكرى لها في مهجتي حزنا
استودع الله قوما ما ذكرتهـم — الا تحدر مـن عيني مـا حـزنـا
كان الزمان بنا غرا فما بـرحت — أيـدي الليالي حتـى فطنته بنـا

ثـم لوادي الشريف ، واد مبارك محفوف باليمن والبركة ، والخـير الظاهر السكون والحركة ، رحب الراحتين ، حسن الحافتين ، كثير الثمار والنخيل ، والماء الزلال والظل الظليل ، لقـربه من بيت الله ونسبـته الـى الشرف العـظيم والتوقيـر والاحتـرام ، ويسمى أيضـا بوادي فـاطمة رضي الله عنهـا ، شعـر

الخيـام الخيـام وسـط الـوادي — لاحـت النار من ذرى الاطـوادى
هـذه الـدار فالتمس يا خليلـي — منزلا بين نخيـل ذاك الـوادى
فـلـكـم ليـلـة اتـيـت اليهـا — وظلام الدجى علـى الكـون بادى
عندمـا أسفرت تبـدت ضيـاء — دونـه الشمـس اذ تـلوح تنادى
ودعتني لهـا فـصارت عظامـي — مسمعا مصغيا تجيب المنـادى
عجب العاشقون من فرط شوقـي — لحـبـيـب قـراره بـفـؤادى
يا أهيل الحمـى ملكتـم قـلبـي — وسلبتم تصبري من حبكم وسهادى
وانـاذا الغريق في لـج بـحـر — يكثر الشرب وهـو ظمآن صادى
كلمـا تفعلونـه فهـو سـؤلـي — لا أبـالـي اذا تكونـوا مـرادى

ثـم لسبيل الجوخى قريب من العمرة فيه نوائل للقهرة في ايام الحج

ثم دخلنا مكة شرفها الله تعالى
يوم الجمعة السابـع من ذي الحجة السنة المذكورة

بـعـد الاغتسـال المستحـب لـدخولها ، فـكان دخـولنـا اليهـا من كداء الثنية التي باعلاها ، والاصوات تصافح المسامع بالتلبية ، والالسنة تضج بالرغبات والادعية فلو رأيتهم نفعنا الله بهم حين طبقوا الآفاق

بالتلبية والتكبير ، وتمجيد العلي الكبير ، واستعلوا تلك الربى الفاضلة ربوة ، ربوة ، وسعوا بأفضل مسعى بين الصفا والمروة ، وطافوا للمقدوم بالبيت الكريم ، ووقفوا بالمحصب العظيم ، ودخلوا الحجر ابتغاء الفضل الاعود ، واستلموا الحجر الابيض المسمى بالاسود ، فياله يوما طرز به العمر ، وانشرح به الصدر ، ووضع فيه الوزر ، واجزل الثواب والاجر فتمثلت بهذين البيتين

انخنا ببابك يا الاهي	اليك مفوضين بلا اعتلال
فسسنا كيف شئت ولا تكلنا	الى تدبيرنا ياذا الافضال

فاعظم بحرم حرمه ، وأعظم بكافور صباحه ، وبخلوق رواحه وعنبر ليله، ومسك سحره ، وفي ذلك يقال

ليلة الوصال بالمليحة اهلا	بك يا غاية الاماني وسهلا
طال عمر الصدود دونك حتى	كدت أقضي أسى وأغرم نكلا
قد أشاب الفراق راسي حتى	ظنني الناس في الشبيبة كهلا
ياليالي الوصال لا صرم الدهـ	ـر لنا بعد ما بلغناك حبلا
كم بكيناك بالدموع اشتياقا	لا أبالي في ذاك لوما وعذلا
وركبنا قبائب السهو نطوي	من قفار الافكار وعرا وسهلا
ولعمري جميع ذلك حلو	غير أن الوصال والله احلا
يا جفوني بك الاماني تقضي	زمن البعد والجفاء تخلا
فتملي بما تمنيت هذا	ربع مي وهذه مي تجلا
فاجعلي دمعك المصون نثارا	فهو اعلى من اللآلي واغلا
اترى هذه منازل مي	عن يقين وهذه مي أم لا
وهل الدهر جامع لمحب	بك يا حلوة الشمائل شملا
لا تلومي على الجهالة صبا	لا يرى غير شغله بك شغلا
كان قبل الهوى عزيزا فلما	ذاق طعم الهوى استكان وذلا
فغدا يبصر الشقاء نعيما	ويعد الملام في الحب جهلا
طاب ياربة الستور سقامي	عندما طال في هواك وجلا
واذاب البعاد جسمي نحلا	وانقضى بالصدود عمري وولا

ثـم زال الشقـا وفزت بـوصـل منـك اغلى مـن الحياة واحـلى
وبلغـت المنـــى فلست ابـالـي أقبـل الدهـر بعـد ذا أو تـــولا

وحين حمدنا السرى ، ووصلنا الى ام القـرى ، وعلمنـا اننا اضياف الله فظفرنا منــه بحســن القرى وتبـدت لنا الكعبة الغراء فـي استـارهـا وتجلت لنـا المليحة بانوارها ، وهي تقول بلسان حالها ، شعـر

الـي الـي يـا عشاق حـسنـي فـهذا الوقـت وقـت لا يضـاها
فكاس وصلهـا قـد دار صرفـا وشمس جـمالهـا ابـدت سناها
وقـامت دونكم وصلـي وقـربي فحلوا تـحرزوا عـزا وجـاهـا
فأيـن يصاب مثـل عروس حسنى وما فـي الكـون معشوق سواها
وقد سعـدت عيـون قـد رأتهـا وقـد شقيـت عيـون لا تـراهـا

ولـلـه در القـائل حيـث قـــال

وبدا من ربى نجد شذا عرف رباها فاحيا قلوب العاشقيـن وحياهـا
وذكرها تلك العهود التي مضـت على انها محفوظة ليس ينساهـا
وروح أرواح المحبيـن روحـهـا فتاهت بهم وجدا ووجدا بهم تاها
وهاموا فهامت عند ذاك رحالهـم ترى عملت في احشائهم حشاياها
فيا سائق الاظعان مهلا فـانهـــا بها منعظيم الشوقما عنك اعناها
تراءت لنا من جانب الطور نـاره فطارت فلم تدر السرى اين مسراها
حنينا الـى تلك الديـار لانـهـا متيمة تهوى الـديـار وتهواهـا
الـم ترها مـدت اليك رقـابـهـا وترمي مئاقيها وتـذرف عيناهـا
طواها السرى طي السجل كتابـه فعادت عروسا تقر العين معناهـا

فسبحان من شرف الكعبة البيت الحرام ، بالاجلال والاعظام ، وأصطفاها وجعل حماها مباحا رحبا لمن حام حول حماها ، وحرما آمنا لمن دخـل اليه ووفى ما عليه حين وافاها ، هذا كله والتلبية تتجدد عند كل صعـود وهبوط ، وخلف الصلوات الخمس وعند سماع الملبين ، ولا يلح في ذلـك ولا يسكت عنه الى أن يدخل بيوت مكة على قول وشهر ، او الى أن يبتدىء بالطواف على مذهب المدونـة

ثـم دخلنا المسجـد الحرام الشريف من باب بني شيبة المعروف الآن بباب السلام ويستحب أن يقدم رجله اليمنى عند دخوله ويقول ، اللهم صل عـلـى سـيـدنـا مـحـمـد وعـلـى ءال سـيـدنـا مـحـمـد الـلـهـم اغفرلي ذنوبي ، وافتح لي ابواب رحمتك ، ويستحب له اذا وقع بصره على البيت ان يقول ، اللهم انت السلام ، ومنك السلام ، فحينا ربنا بالسلام اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما ومهابة وتكريما ويستحضر عند البيت ما امكنه من الخشوع ، فحيث وقع نظرى عليها ادركتني العـبرة وسرت اقطع الزفرة ، تمثلت بقول القائل

الاهي هـذا البيـت بيتك جئتـــه	وعادة رب البيت ان يكرم الضيفا
فهب لـي قرى فيه رضاك وانني	من النار خوفي فلتؤمنني الخوفـا

طواف القدوم عند الوصول الى البيت

واخذنا نطوف طواف القدوم ، نتعرف مـن آلائـه مـا يستمر ويدوم ، فابتدانـا الطواف مـن الحجـر الاسعـد بعد استلامـه ، وتحيـة مسجـد مـكـة .

الـطـواف

والطواف في الحج ثلاثة ، طواف القدوم وهـو سنـة ، وطواف الافاضـة وهو فرض ، وطواف الوداع ، وهو مندوب اليه ، واخذنا في الطواف والبيت عـن اليسار الى الركـن اليماني فاستلمناه ثم الـى الحجر الاسعد سبعـة اشواط ، يفعـل فـي كل شـوط مـا فعـل فـي الاول عـلى مـا اقـتـضته السنة في ذلك ، ثم ركعتين في المقام ويرمل في الاشواط الثلاثـة الاول ، وواجبات الطواف ستة ، يشترط فيه ما يشترط في الصلاة من الطهارة وستر العورة ، وجعل البيت على اليسار ، وأن يطوف سبعا ، وأن يكون بجـميع

بدنه خارج البيت ، وأن يطوف داخل المسجد ويركع عقبه ، فاذا فرغ استلم الحجر ، ثم يخرج من باب الصفا لكونه اقرب ، يقدم رجله اليسرى في الخروج ، ثم ياتي الى الصفا فيسرع في الصعود عليه ، ثم يقف مستقبل القبلة ويطيل الوقوف عليه للدعاء ثم يقول ، الله أكبر ثلاثا لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا اله الا الله انجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ، يقول ذلك ثلاث مرات ، قال ابن حبيب ، ولا يدع الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم ينزل فيخب بين الميلين الاخضرين ، ثم يمشي الى المروة فيفعل عليها كالصفا فذلك شوط ، ثم يكمل سبعة اشواط ، يعد البداة شوطا والرجعة شوطا ، فذلك أربع وقفات على الصفا ، واربع على المروة .

فقضينا الطواف والسعي وعدنا الى البيت في اطيب عيش وارغده نطوف ونستلم ، ونقبل أركانه ونلتزم ، ونصبر عند تقبيل الحجر على اصطلاء الازدحام ، ونتجسم ما نناله من نصب وعناء عند ورود منهله ، المنهل العذب كثير الازدحام نشرب من ماء زمزم ما يذهب الاوام ويريح الآلام ويقوم مقام الطعام ، والقلب يتشبث باهداب تلك الخيام ، ويوصي نفسه على المقام ، ويرسل الطرف لمشاهدة رونق البيت فلله در القائل

يرق لي منظر البيت العتيق اذا بدا لطرفي في الاصباح والطفل
كان حلته السوداء قد نسجت من حبة القلب او من أسود المقل

الكعبة المشرفة وبناؤها

ذكر صاحب كتاب الروض الانف أن الكعبة المشرفة ، كان ارتفاعها في عهد اسماعيل عليه السلام تسعة أذرع ولم يكن لها سقف فلما بنتها قريش قبل الاسلام زادوا فيها تسعة أذرع فكانت ثمان عشرة ذراعا ورفعوا بابها عن الارض فكان لا يصعد اليه الا في درج أو سلم ، ثم لما بناها ابن الزبير زاد فيها تسعة اذرع ، فصارت سبعا وعشرين ذراعا ،

وبناؤها في الدهر الأول خمس مرات :

الاولى حين بناها شيت بن ءادم عليه السلام ،

والثانية حين بناها ابراهيم على القواعد الاولى ،

والثالثة حين بنتها قريش قبل الاسلام بخمسة اعوام ،

والرابعة حين احترقت في عهد ابن الزبير بشرارة طارت من ابـــي قبيـس فوقعت في أستارها وقيـل ان امرأة أرادت تجمرها فطارت شــرارة من الجمر في استارها فاحترقت ، فشاور ابن الزبير في هدمها من حضر، فهابوا هدمها فقالوا نرى أن تصلح ما وهي ولا تهدم ، فقال لو أن بـيت احدكم احترق لم يرض له الا باكمل صلاح ولا يكمل اصلاحها الا بــهدمها فهدمها حتى افضى الى قواعد ابراهيم عليه السلام ، فامرهم أن يزيدوا في الحفر فحركوا حجرا منها فراوا تحته نارا وهولا افزعهم فأمرهــم أن يقروا القواعد وأن يبنوا من حيث انتهى الحفــر ، والصق بابها بــالارض وعمل لها خلفا أى بابا آخر من ورائها ، وادخل الحجر فيها لحديث عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قــال ، الــم تــرى قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا على قواعد ابراهيم عليه السلام ، حيــن عجزت بهم النفقة ؟ ثم قال عليه السلام لولا حدثان عهد قومك بالجاهلية لهدمتها ، وجعلت لها خلفا ، والصقت بابها بالارض ، وادخلت فـيــهــا الحجر أو كما قال صلى الله عليه وسلم

فلما قــدم عبد الملك بن مروان قــال : لسنا من تخليط ابي خبيب في شيء فهدمها وبناهــا (1) على ما كانت عليه فــي عهد رسول الله صلى عليه وسلم ،

فلما قام ابو جعفر المنصور أراد أن يبنيها على ما بناها ابن الزبير وشاور في ذلك فقال له مالك انشدك الله يا امير المومنين أن لا تجعل هذا البيت ملعبة الملوك بعدك فتذهب هيبته من قلوب الناس ، فصرفه عن رايه .

وقيــل انه بني في ايام جرهم مرة أو مرتين لأن السيل كان قد صــدع حائطه ولم يكن ذلك بنيانا ، وانما كان ذلك اصلاحا لما وهي منه ، وقــد كانت الكعبة قبل أن يبنيها شيت عليه السلام خيمة من ياقوتة حمراء يــطوف

---

1) وهذا هو البناء الخامس وان كان لم يصرح به كما فعل في المرات الاربع السابقة

بها ءادم ويانس بهـا ، لانها انزلت اليه مـن الجنة ، وكـان قد حج الـى موضعها من الهند ، وروي ايضـا أن الملائكة حين اسست الكعبـة انشقت الارض الى منتهاها ، وقذفت فيها الحجارة امثال الابل ، فتلك القواعد من البيت التي رفع عليها اسماعيل وابراهيم عليه السلام

بيت الله الحرام

والبيت المكرم له اربعة اركان ، وهو قريب من التربيع ، وذكـر ان ارتفاعه في الهواء من الصفح الـذي يقابل الصفا وهو مـا بـين الحجر الاسود والركن اليماني تسعـة وعشرون ذراعـا ، وسائر الجوانب ثمـانيـة وعشرون بسبب انصباب السيل الى الميزاب :

فاول أركانه الركن الذي فيه الحجر الاسود ، ومنه ابتداء الطـواف ، واذا أراد الطائف ان يستلـم الحجر المعظم فان كـان طويـلا تماطى كـي يلمسه ، وأول ما بنى بعده الركن العراقي وهو ناظر الى جهة الشمال .

ثـم الركن الشامي وهو ناظر الى جهة الغرب .

ثـم الركن اليماني وهو ناظر الى حيز الجنوب

ثـم يعود الى ركن الحجر الاسود ، وهو ناظر الى جهة المـشرق ، وعند ذلك يتم الطائف شوطا واحدا ، ومن الركن الذي فيه الحجر الاسود الى العراقي اربعة وعشرون شبرا ، ومن الركن العراقي الـى الشامـي ثمانية وعشرون شبرا ، وذلك داخل الحجر ، واما من خارجه فمن الركن العراقي الى الشامي اربعون خطوة ، وهي مائة وعشرون شبراً (1) ، ومـن خارجه يكون الطواف من الركن الشامـي الـى الركن اليماني وما مـن الاسود الى العراقي الـى الشامـي داخل الحجر ، لانه الصفـح الـذي يـقابله ايـضـا

---

1) يستفاد من هذا أن الخطوة نحو 70 سنتيما لان الشبر من 22 الـى 24 سنتيمـا

وباب البيت المكرم في الصفح الذي بين ركن الحجر الاسود والركن لعراقي ، وهو قريب من الحجر الاسود بعشرة اشبار ، وذلك الموضع لذي بينهما من سطح يسمى الملتزم وهو موضع استجابة الدعاء على ما ورد ن النبي صلى الله عليه وسلم

ومن الحجر الاسود الى الارض ستة اشبار فالطويل يتماطى لتقبيله ، والقصير يتطاول له ، وللحجر الاسود مرأى بديع يقيد الابصار حسنا وجمالا، وفي وسطه مما يلي جانبه الذي على يمين المستلم له اذا وقف ، نقطة بيضاء صغيرة مشرقة ، تلوح كانها خال في تلك الصفحة المباركة ، وفي هذه الشامة البيضاء اثر ينبغي للمقبل أن يقصد تقبيله في موضع الشامة المذكورة ما استطاع ، وللحجر عند تقبيله لدونة ورطوبة يتنعم بها الفم ، حتى يود اللاثم أن لا يرفعه عنه ، وتلك من خواص العناية الالاهية فيه ، روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : نزل الحجر من الجنة اشد بياضا من اللبن ، فسودته خطايا بني آدم ، وروى الترمذي ايضا من طريق عبد الله بن عمر ان الحجر الاسود والركن اليماني ياقوتتان من الجنة ، ولولا ما طمس من نورهما لاضاءتا ما بين المشرق والمغرب ، وفي رواية غيره ، ولابراء من استعملهما من الخرص ، الجذام والبرص ، ومن حديث ابن عباس رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجر ، والله ليبعثه الله يوم القيامة له عينان يبصر بهما ، ولسان ينطق به ، يشهد لمن استلمه بوفاء وصدق ، وروى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال ، كنت طائفا مع النبي صلى الله عليه وسلم ببيت الله الحرام ، فقلت : فداك ابي وأمي يا رسول الله، ما هذا البيت ؟ فقال يا علي أسس الله هذا البيت في دار الدنيا كفارة للذنوب قلت ـ فداك أبي وأمي يا رسول الله ـ ما هذا الحجر الاسود ؟ قال تلك جوهرة كانت في الجنة أهبطها الله الى الدنيا ، لها شعاع كشعاع الشمس ، فاشتد سوادها ، وتغير لونها بما مسها من ايدي المشركين ، وفي حديث اخر قال دحيت الارض من مكة ، وأول من طاف بالبيت الملائكة ، وما من نبي هرب من قرية الا هرب الى الله تعالى بمكة يعبده بها حتى يموت ، وان قبر نوح وهود وصالح وشعيب واسماعيل فيما بين زمزم والمقام ، وفي حديث آخر ، أن حول الكعبة من قبور الانبياء ثلاثمائة قبر نبي ، وأن ما

بين الركن اليماني والركن الاسود لقبور سبعين نبيا ، وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : الكعبة مخفوفة بسبعين الفا من الملائكة يستغفرون لمن طاف بها ويصلون عليه ، وحدث ابن رشيد (1) في رحلته عن الشيخ ابي البركات شعبان الصوفي بسنده عن الاصمعي قال ، خرجت حاجا الى بيت الله الحرام ، فسمعت اعرابيا متعلقا باستار الكعبة وهو يقول اللهم انك مضيف لمن ورد عليك ، وانا ضيف ، اللهم واني راجع الى اهلي وهم سائلون بماذا اضفتني ، اللهم واني مخبرهم انك قد اقريتني الجنة واجرتني من النار ، وافعل أنت بعده ما تشاء ، وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : من مات في احد الحرمين غفر له ، وفي الموطا ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول ، اللهم ارزقني شهادة في سبيلك ، ووفاة ببلد نبيك ، وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : الركن يمين الله في الارض يصافح بها عباده كما يصافح احدكم اخاه ، فمن لم يدرك بيعة رسول الله فمسح الحجر فقد بايع الله ورسوله ، وان الركن والمقام ياتيان يوم القيامة كل واحد منهما مثل ابي قبيس لهما عينان وشفتان يشهدان لمن وافاهما بالوفاء ، وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : ما اتيت الركن اليماني قط الا وجدت عنده جبريل عليه السلام وهو يقول ، يا واحد يا ماجد ، لا تسلبني نعمة انعمت بها علي ، ومن حديث ابن عباس رضي الله عنه قال ، وقف جبريل عليه السلام وعليه عصابة خضراء قد علاها الغبار ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا الغبار الذي على عصابتك ايها الروح ؟ فقال ان الملائكة امرت بزيارة هذا البيت فازدحمت على الركن فهذا الغبار الذي ترى ما تثير الملائكة باجنحتها ، وروى ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان الله عز وجل ينزل كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة على هذا البيت ، ستون للطائفين واربعون

---

1) هذا النقل عن رحلة ابن رشيد مباشرة يدل كغيره من النقول عنها قبل هذا التاريخ وبعده على أن نسخها التي فقدت اليوم من المغرب كانت منتشرة أنطر بحثنا عن أبن رشيد ورحلته المنشور في مجلة معهد المخطوطات العربية القاهرة مايه 1959 ص. 31–42 وينقل عنه مرة أخرى ص. 124 ويقول انه عن خطه نقل

للمصلين ، وعشرون للناظرين ، فسبحان من جلا عروس الكعبة البيت الحرام على من كان لها اهلا ، وخص بزمزم والمقام من اقام بواجبه فرضا ونفلا ، اصطفى للمروة والصفا ، من سعى على قدم الوفا ، واستبدل من الجفا وصلا، بالها من عروس ، حنت اليها النفوس ، فراح المحبون في حبها أسرى وقتلى.

وحج ابن الموفق ثلاثا وثلاثين حجة فلما كان في آخرها وهو واقف بعرفة ، قال : اللهم انك تعلم اني قد وقفت في موضعي هذا ثلاثا وثلاثين حجة ، فواحدة عن فرضي ، والاخرى عن ابي والثالثة عن امي ، واشهدك يا رب اني قد وهبت الثلاثين لمن وقف هذا ولم يتقبل منه ، قال فرايت الحق سبحانه وتعالى في المنام فقال لي : يا ابن الموفق اتتسخى علي وأنا خلقت السخاء ؟ اتجود علي وانا خلقت الجود ، اتتكرم علي وانا خلقت الكرم ؟ اما علمت يا ابن الموفق اني غفرت لمن وقف بعرفات قبل أن اخلق عرفات بالفي عام ؟ وروى أن من حج حجة ادى فرضه ، ومن حج ثانية داين ربه ، ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار .

ويستحب للحاج ان يستقبل القبلة في وقوفه والمشعر على يساره وان يكبر ويثني على الله تعالى ويصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم ويدعو لنفسه ولوالديه ولجميع المسلمين الى الاسفار على ما في المدونة والمختصر، او قبله بيسير .

وبات الناس بالمشعر الحرام هذه الليلة وهي ليلة الاثنين العاشر لذى الحجة (1) فلما صلوا الصبح غدوا منه الى منى بعد الوقوف والدعاء الى الاسفار والحكمة في الذكر عند المشعر الحرام ، لما فيه من الاجور العظام ، امتثالا لقول الخالق سبحانه وتعالى (2)، (اذكروني اذكركم) من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه ، فاذا ذكرتموني عند المشعر الحرام ، ذكرتكم بين ملائكتي الكرام ، وكتبت لكم توقيع الامن والامان من حلول الانتقام ، شعر :

---

1) الموافق 28 يونيه 1632 وكان عاشر ذي الحجة 1041 يوم اثنين كما ذكر.

2) ما بين هلالين من قوله تعالى في سورة البقرة آية 152 وما بعده حديث قدسي

ذكرتك يا سؤلي ويا غاية مقصدي وانت لديه سيـدي خيـر ذاكـــر
فجد بقبول منك ارجو بـه المنى وذكرك في قلبي وسرى وناظـــر

ثم يهرول في بطن محسر حتى يخرج منه ومن مزدلفة ، يحمل الناس حصيات الجمار وهو المستحب ، ومنهم من يلتقطها حول مسجد الخيف بمنى ، فلما انتهى الناس الى منى بادروا لرمي جمرة العقبة بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة ، ويستحب له أن يستقبلها حال الرمي ، ومنى عن يمينه وطريق مكة عن يساره ، ويستحب في الرمي في هذا اليوم وفيما بعده أن يكون بالاصابع، وأن يكون باليد اليمنى ، فاذا رمى جمرة العقبة فقد حصل له التحليل الاول، ثم ينحر او يذبح وحلقوا وحلوا من كل شيء الا النساء والطيب حتى يطوفوا طواف الافاضة ، وحلق الراس بمنى ، فيه حكمة يبلغ بها العبد جميع المنى ، وقيل : ذلك ان فيه يقظة وتذكيرا لا يفهمه الا العالم ، لأن الحاج اذا وقف بعرفة وذكر الله عند المشعر الحرام ، وضحى بمنى وحلق راسه وطهر بدنـه من الادناس والاثام ، كتب الله له ثوابا وضاعف له اجورا ، ووقاه جحيـمـا وسعيرا ، وكان له بكل شعرة يوم القيامة نور ، واعطى توقيع الامان ، كما قال تعالى في كتابه المكنون ، (محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون)

الى بابكم اسعـى وقصدي اليـكم فقير اليكم فارحموا ذلة العبـــد
فان تطردوني ليس لي غير بابكم وان انتم عنـي رضيتم فيا سعدى

المنسك السابع في طواف الافاضة وما يتعلق به من دخول البيت

وردت الى البيت العتيق وفودنا ، فجئنا له كالطير حن لماواه ، ثم توجهنا لطواف الافاضة والسعي ، فطفنا وسعينا كما هو مشروع ، ورجعنا من يومنا لمنى ، اقمنا بها يوميـن ولا يترك التكبير عـقب الصلوات ، وكـذلك لا يـدع التكبير بمنى طول مقامه فيها ، ساعة بعد ساعة ، ويرفع صوته بالتكبيـــر

رفعا متوسطا بحيث لا يعقر حلقـه ، وهذا مـن المواضع التـي شرع فيهـا الـذكـر بالجهـر .

فلما كان اليوم الثالث تعجلنا في الانحدار الى مكة ، قال الله العظيم ، (فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ، ومن تاخر فلا اثم عليه) .قال الامـام ابو بكر بن العربي رحمه الله تعالى ، خفف عند الرجوع الى الاهل والوطن، لما علم من علاقة قلوبهم بهم ، فاعادهم بابدانهم وعلق قلوبهم بما عاينـوا من مكانهم ، وذلك قوله تعالى (واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا) فلا يراه أحد الا تمنى أن ينجر اليه وان حمله شوق الاهل وحب الوطن عـلـى ان يفارقه ، وقد رايت الفراق وذقته ، واكلته وشربته ، وساورني وساورته، فما رايت فراقا أشق على النفوس واصعب على القلوب من فراق المحصب ،

فريق منهم جازع بـطن نخـلـة   وءاخر منهـم قاطع نجـد كبكـب

منهم مشرق الى الغاية ، ومغرب الى النهاية ، وشمالي بغير موعد ، وجنوبي ولات حين مرصد ، ولا شك والله اعلم انه معيار لفراق يوم القيامة ، وأنه بين آخذ الى الجنة ومحمول الى النار ، ولا ملتقى ابدا

وخرجنا من منى بعد رمي الجمرة الاخيرة وصلاة الظهر من يوم الاربعاء الثالث من يوم النحر ، فاذا رحل الحاج من منى قاصدا مكة فليحذر ان يترك النزول بالمحصب والصلاة فيه ، لان النبي صلى الله عليه وسلم كذلك فعل ، يصلي فيها الظهر والعصر والمغرب والعشاء بعد دخول وقتهن وأفعـال الحج غالبها التعبد ، فيفعل كفعله صلى الله عليه وسلم ، وهذه سنة ماضية قد تركت ، فمن أحياها حصل له من الثواب ما تقدم بيانه ، والغالب عـلـى اكثرهم في هذا الزمان أنهم اذا رحلوا من منزل لا ينزلون الا بمكة ، ويتعللون بان الصلاة فيها بمائة الف صلاة ، وهذا ليس فيه حجة لان الـذي اخبرنـا بالصلاة في المسجد الحرام بمائة الف صلاة ، هو الذي نزل بالمحصب وصلى فيه وهو المشرع لامته صلى الله عليه وسلم والعالم بما هو الافضل فتتعين المبادرة الى تقديم ما قدم ، والتاخير لما اخر صلى الله عليه وسلم .

فنزلنا مكة شرفها الله ، واقمنا بها يومين ، وفي اليوم الثالث خرجنا الى الحل لمسجد عائشة رضي الله عنها بعد طلـوع الشمس ، واحرمنـا

بالعمرة ، واتينا بها على هيئتها من طواف وسعي وعدنا بعد الفراغ الى مكة فاقمنا بها عشرة ايام للاخذ في اهبة السفـر .

ثـم خرجنا قاصدين المدينة المشرفة مع الركب المغربي ، وتخلف من عـداه مـن سائر الركبان مع الجيش المتقدم الذكر ، لما هـم بصدده من قتال العـدو الباغي ، الصائل على الحرم الشريف بعد أن طفنا طواف الوداع وتعين العـزم والازمـاع .

ذكر طواف الوداع وما يتعلق به من مفارقة البيت الحرام

فاذا فرغ الحاج من طواف الوداع ، صلى ركعتين خلف المقام ، وشـرب من ماء زمزم ، ثم ياتي الملتزم ، ويدعو ويتضرع ، ويقول : اللهم ان البيت بيتك ، والعبد عبدك وابن عبدك وابن امتك ، حملتني على ما سخرتلي من خلقك ،حتى صيرتني في بلادك ، وبلغتني بنعمتك حتى اعنتني على قـضاء ملكك ، فان كنت رضيت عني فازدد عني رضى ، والا فمن الان قبـل تبـاعدي عن بيتك هذا او انصرافي ، فان اذنت لي غير مستبدل بك أو ببيتك ولا راغبـا عنه ولا عن بيتك ، اللهم أصحبني العافية في بدني ، والغنيمة في دينـي ، واحسن منقلبي ، وارزقني طاعتك ما ابقيتني ، واجمع لي خير الدنيا والآخرة انك على كل شيء قدير، اللهم لا تجعل هذا آخر عهدي ببيتك الحرام، وان جعلته آخر عهد فعوضني عنه الجنة . والاحب الا يصرف بصره عن البيت حـتى ينصـرف ،

وودعنا البيت الحرام ، والدموع تنسجم وتنهمل ، والقلب لا يطيق وداعا، ولا تملك محبته انتزاعا ، ثم ودعنا ساعتئذ وخرجنا وانصرفنا وقد كمـل لنـا الـحج والعمرة والحمد للـه رب العالميـن ، وسرت وانا اكفكف سيل العبرات ، واستقيل العثرات ، وانشد هذه الابيات :

ايـا شعب مكـة نومـي حـــرام ... متى قوضت عـن رباك الخيـــام
الفنـاك الف الرضيـع الرضـاع ... وقد يـولمن الـرضيع الفطـــام
سـابكيـك مـا بكـت الثاكـلاث ... وهـيـهـات يـبـدو منـي اوام
ايـا ساكنين الحمى هل يعود لنا ... بعـد وقـع الشتـات الـتـئــام
إحـن اليك حنيـن النـيـــاق ... لهـن بـاكنـاف نـجد غـــرام
عليهـم وان شط منـى المــرام ... سـلام وجهد المـقـل الســلام

ولما استقلت نجائد الرفاق ، وتجانبنا اهداف الاشتياق ، وتشاكيت لـوعة الفراق ، اخذنا يسرة ، ونسير ليلا ونهارا ، ونجوب بالنجائب فدافد وقفـارا ، وانجادا وانحدارا ، ولسان الحال يقول :

يـا كعبـة اللـه لـي غـــرام ... الـيـك لـم ينـقـه غـــــرام
انـت لـنـا تشفعـيـن حـقـــا ... عـنـد حـبـيـب لـه نمـــام

ذكر الرحيل بعد الوداع الى طيبة والزيارة لقبر النبي صلى الله عليه وسلم

واذا خرج الحاج من مكة يستحب له ان يخرج من كدى ، ولتكن نيته وعزيمته وكليته فـي زيارة النبي صلى اللـه عليه وسلـم وزيارة مسـجده ، والصلاة فيه ، وما يتعلق بذلك ، لا يشرك معه غيره ، فان زيارته صلى الله عليه وسلم سنة مجمع عليهـا ، وفضيلة مرغب فيها ، وعن ابـي عمـران ان زيارته صلى الله عليه وسلم واجبة ، قال عبد الحق في تهذيبه ، يعني وجوب السنن ، وليكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في طريقـه ، ويكبر على كل شرف ولا يشرك معه غيره من الرجوع الى مقصده ، او قضاء شيء من حوائجه ، او ما اشبه ذلك ، لانه صلى الله عليه وسلم متبوع لا تابع ، فهو راس الامر المطلوب والماجد الاعظم ، فاذا وصل المدينة المشرفة على ساكنها افضل الصلاة والسلام ، يستحب له ان ينزل بالمعرس وهو موضع خارج المدينة ، حتى يتاهب للدخول علـى النبي صلـى الله عليه وسلـم ويتطهر ويركع ويلبس احسن ثيابه ، ويتطيب ويجدد التوبة ، والسنة ان ينزل

بالبطحاء التي بالحليفة ، قال ابن فرحون فاذا وصلت المعرس وهي البطحاء التي بالحليفة فلا تجاوزه حتى تنيخ به وتقيم وتصلي فيه ركعتين ، فان كان الوقت لا تحل فيه النافلة فاقم حتى تحل ، ثم صل ثم ارحل ، وكـان ابن عمر يفعله ، وقال ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح له ويصلي فيه ، قال مالك ولا احب لاحد أن يترك ذلك ، والتعريس به والصلاة فيه من السنة ، انتهى كلامه ، ثم يدخل وهو ماش على رجليه وعليه الذلة والمسكنة والاحتياج والاضطرار وقد كان مالك رحمه الله تعالى يلهج بهذا البيت :

وخير أمور الدين ما كان سنـــة وشر الامور المحدثات البدائــع

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم ،

فكم من بعيد الـدار نال منزلـــة وكم من قريب الـدار مات كئيبـا

وينبغي للزائر اذا توجه للمدينة المشرفة ان يكثر في طريقه من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فاذا وقع بصره على جدرانها واشجارها كبر ثلاثا ثم يقـول ، اللهم فان هذا حرم رسولك ونبيك المختـار ، فاجعله بفضلك وقاية من النار ، واماناً من العذاب ، وسوء الحساب ، يا عزيز ، يا جبار ، اللهم افتح لي ابـواب رحمتك ، وارزقني من زيـارة نبيـك ، مـا رزقت أهـل طاعتك واغفر لي ، وارحمني ، واهدني وارزقني ، شعـر :

اشتاقكم ويحول العجز دونـكـم واشتكـى منـكم بعـدا واعتـذر
وادعى خـطرا بينـي وبينـكـم وآيـة الشوق أن يستصغر الخطر

فاول منزلة نزلناهـا ، ودار كـرامة حللناها ، وادي الـشريف عـشاء ، فنـادى امير الركب بالمحلة . الا وان الرحيل نصـف الليل فخذوا في أهبتـه من سقي الماء وغيره ، فما تم نصف الليل حتى رحلنا وجد السير باقـــي ليلتنا وغدونا الى ان وقفت الشمس واشتد الحر ، فنزل الـركب للمقيـل ، لقوله صلى الله عليه وسلم قيلوا فان الشياطين لا تقيل ، ثم سرنا الى المغرب فما نزلنا ببئر عسفان المتقدم الذكر الى نصف الليل على العادة ، ثم استقينا الماء ورحلنا لقديد ثم منه لرابغ ، ثم مرحلة صحرا ، ثم لسبيل حـسن ، ثم

لبدر ، ثم للجديدة ، مدشر عامر احدثت به أجنة من انواع الفواكه صيفية وخريفية اجتمع ذلك كله في الوقت ، ذات عيون جارية فتزودنا من ثمارها واخذنا من مياهها ، ثم لقبور الشهداء بين جبال واوعار وبين هذين المرحلتين علـى قـارعة الطـريـق ،

مسجد الغزالة وهو مسجد محوط مفروش برملة دقيقة

وله محراب يتبرك الناس به ويصلون فيه ويدعون وينصرفون ، عن أم سلمة رضي الله عنها قالت ، كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك ؟ قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب فأرضعهما وارجع ، قال وتفعلين ؟ قـالت نعم ، فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها ، فانتبه الاعرابي وقال يا رسول الله لك حاجة ؟ قال تطلق هذه الظبية ، فاطلقها وخرجت تعدو في الصحراء وتقول، اشهد ان لا اله الا الله وانـك رسول الله ، شعر

يا حادي العيس عرج نحو مربعه ... لله عرج على ذاك المحل عـج
له قوم الى مغناك قد وصـلـوا ... بالعزم اذ قطعوا الروحات للحج
ساروا وزاروا وفرط الدمع ابعدني ... وقد مـزجت دموعـي كل ممتزج
وكم عصيت من الاحكام منك وكم ... نرجو حنانك والغفران منك رجي
وكل صلاة على المختار من مضر ... ما لاحت الشمس بالانوار كالسرج

وهذه قريبة من الجبل المفرح سمي بذلك لان الصاعد فوقه يشاهد سواد نخيل يثرب فيدركه الفرح التام لـذلك ، شعر :

قالوا غـدا ندنو فـوا حسرتـا ... لـو كان بالعمـر غـد يشتـرى
يـا ليلة قد بقيت هـل نـرى ... أحمد فـي صبح دجاك السـرى
اسمحـي بـالقـرب لا تـهـنـى ... لا تـطـفـى نـارى حتـى أرى

ثم نزلنا آبار مولانا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهي ثلاثة آبار مشيدة البناء ، واسعة الفناء كثيرة المياه ولها أدراج من أعلاها الى أسفلها ، وبقربها مسجد عظيم وعليه نخيل فهنالك تطهرنا واغتسلنا لدخول المدينة المشرفة وبينها وبين المدينة خمسة أميال ، والمحل المذكور منخفض وهو قريب من ذى الحليفة ، وهو واد العقيق من بلاد مزينة ، ونسبة ماء ذى الحليفة لغير مزينة وهـم ، واختلف في القدر الذي بينها وبين المدينة قال في خلاصة الوفاء ، وقد اختبرته من عتبة باب المسجد النبوى المعروف بباب السلام الى عتبة مسجد الشجرة بذى الحليفة تسعة عشر الف ذراع ، وتسعمائة ذراع واثنان وثلاثون ذراعا ونصف ذراع ، وذلك خمسة اميال وثلث ميل ، ومنه كان احرام النبي صلى الله عليه وسلم لحجة الفريضة ، ومنه استنشقنا أرج المصطفى ، وطاب لنا العيش وصفا

ولله در الامام أبي اسحاق ابراهيم بن شهاب الدين أبي الثناء محمود بن سليمان الحلبي حيث يقول في قصيدته المشهورة ، وقد ضربت في هدف الابداع بسهم مصيب ، واجتازت من فنون البراعة أوفى حظ ونصيب :

قصيدة أبي اسحاق الحلبي

وصلنا السرى وهجرنا الديـ ـار وجئنا اليك نطوي القفارا
أتيناك نجري البكا والركـ ـاب ونبعث اثر انحصار قطارا
اذا اخذت هذه في الربـ ـى صعودا أبى ذاك الا انحدارا
وان فاض ماء لفرط الحنيـ ـن ورجع حادى السرى عاد نارا
كأنى بها وهي تجري دما وقوفا على الخيف يرمي الجمارا
أتيناك سعيا ننادي البـدارا الى سيد المرسلين البدارا
الى أشرف الخلق من محتد وأحسن جار وأعلى نجارا
الى من به الله أسرى اليـ ـه وما زاغ ناظره حين زارا
ولما نزعنا شعار الرقـ ـاد لبسنا الدجى وادرعنا النهارا
نميل من الشوق فوق الرحـ ـال كأنا سكارى ولسنا سكارا

نجـافي من الطيـف اجفاننـــا ... فـلا نطعم الـنـوم الا غـــرارا
ونسري مـع الشـوق انى سرى ... ونتبـع حادي السرى حيث سارا
ونسال والـدار تـدنو بـنـــا ... عن القرب في كل يوم مـــرارا
وما ذاك انـا سئمنـا السـرى ... ولكـن دنونـا فزدنـا انتظـارا
اذا البـدر عـارضنا مـن هنـا ... حسبنا سنـا طيبة قـد انـــارا
فنفـرى بـاذرع تـلك النيـــاق ... اديـم الفـلا غـدوة وابتكـــارا
ونرمي بهـن صـدور الفـجـاج ... كـانـا نشـق عـليها معـــارا
اذا رقصت في الفـلاة المطـى ... جعلنـا الدمـوع عليها نثـــارا
تسابـق ارجلنـا فـي السـرى ... يديهـا وتشكو اليميـن اليسـارا
ونجمع بيـن السـرى والمسيـر ... ونجفو الكـرى ونعـاف القـرارا
وكيـف القـرار الـى ان نـــ ... ـراك وتدني المطى اليك المـزارا
ومـن كـان يامـل منك الـدنـو ... ايملـك دون اللقـاء اصطبـارا
ترى تنظر العين هـذا البشيـر ... يدنـي على البعد تلك الديـارا
لاعطـي روحـي سـرورا بـهـا ... وأوطي طرفـي وخدي اعتـذارا
وامسح عـن ارجـل اليعمـــلات ... بأجفـان عيـنـي ذاك الغبـــارا
وأهدي على القـرب مني السلام ... وحسبي بهـا رتبـة وافتخـــارا
واكتب شوقي بمـاء الـدمـــوع ... بسيطا اذا اللفـظ كان اختصارا
وافدي بمـا طـال مـن مـدتـي ... بطيبة تلـك الليالـي القـصـارا
ترى هل انـاجي هناك الرسـول ... جهارا كما نرتجـي أو سـرارا
واعـلـم انـي عـلـى بـابـه ... وقفـت وقبـلت ذاك الجـدارا
ومـاذا اقـــول وكـل الـــورى ... نشاوى هنـالـك مثلـي حـيـارا
وانشـد يـا شافـع المذنبيـــن ... أجر مـن ببـاب حماك استجارا
اقلني قد جئت اشكو الـذنـــو ... ب اليك وأنت تقيل العثـــارا
فكن شافعي يـوم لا شـافـــع ... سـواك يفـك العنـاة الاســـارا
فمالي سوى حق هـذا الجـوار ... اليـك ومثـلك يرعـى الجـوارا
واني قطعـت اليـك القفـــارا ... فقيرا اقـل لـي ذنوبـا غـرارا
وفي قطعها لك فـضـل عـلـي ... ولـو خضت دون القفار البحارا
ولو استطيـع قـطعت الـزمـان ... وأنت المنى حجـة واعتـمـــارا
ومـا كنـت اظعـن الا الـيـــك ... اذا ما ملكت لـروحي اختيـارا

حتى حل فيه نبـي الـهـــدى فاضحى بمــا شرف الارض دارا
فيـا فـوز مــن كل عام اتــاه ويافوت من غــاب عنــه خسارا
شممنا الشذا من مبادي الحجاز فخلنا العبير أعــار العــــرارا
فـواهــا لهـا نفـحـة اذكـرت هواي فانكت بقلبـي الســـوارا
اذا خـطرت فـي الـربى سحرة وجدت نيـولا على النار عــارا
يـمـانـيـة رابـهـــا أنـهـــا بطـيـبـة مـرت وجـرت ازارا
على مــن سرت من حماه السلام وحيــا الحيــا ذلـك الربــع دارا

ثم ارتحلنا من الموضع المذكور وصعدنا الثنية المشرفة ، فمن هناك تراءت لنا أعلام المدينة الغرا ولاحــت للناظرين الروضة الكـريمة كأنها فـي سمــاء الفخر كوكب الزهرا ، وشاهدنا نورا خارقا للعادة اشراقه ، وعز على ضوء النيرين لحاقه ، وطاب اصباحه واغباقه ، وعرفتــه البصائر قبل الآثــار ، لما لاح على مرقبة الاشتهــار فسرحت طرفي فــي ذلك الافــق خيالا وارسلت دمعي سجالا ، وتمثلت بهذه الابيات

اللــه اكـبـر حـبـذا اكبـــاره لاح الهـدى وبـدت لنـا انـواره
لاحت معالــم يثرب وربوعـهـــا مثـوى الرسول وداره وقـــراره
هذا النخيل وطيبــة ومـحـمـد خير الورى طرا وها انــا جــاره
هذا المصلي والبقيع وهـا هنـا ربــع الحبيــب وهــذه ءاثــاره
هــذى منــازله المقدسة التـــي جبريـل ردد بينـهـا تـكـراره
هذى مواضع مهبط الوحي الذي تشفي الصدور من العمى اسطاره
هذى مواطيء خير من وطيء الثرى وعلا على السبع العلى استقراره(1)
ملأ الوجود حقيقة اشـراقهـــا فاضــاء منــه ليـلـه ونهـــاره
والروضة الفيحاء هب نسيمهـــا والبــان بــان ونــم عنــه عراره

---

1) بين الورقة في المخطوط التي في آخرها هذا البيت هذي مواضع مهبـط الوحـي الذي البيت والورقة التي تليها وأولها هذى مواطيء خير من وطيء الثرى البيت سقطت ورقتان لان هذا الكراس لا يحتوي على عشر ورقات كما هــو الشأن وانما على ثمان فقط بخلاف الكراريس الاخرى كلها وحيث أن الكلام في هذه القصيدة منسجم متتابع فيترجح أن الورقتين سقطا قبل النسخ ولم ينتبــه لــذلك النـــاسخ

وتعطرت سلع فسل عـن طيبهـا — لم لا تطيب وحولهـا مختـاره
بشراك يا قلبـي فقد نلت المنـى — وبلغت مـا تهوى ومـا تختـاره
قد امكن الوصل الـذي املتـه — وكذاك حبـي امكنـت اسـراره
قـد كان عندي لوعة قبل اللقـا — فالان ضاعف لوعـتي ابصـاره
رفقا قليلا يا دموعي فاقصـدي — فالدمع يحسن في الورى اقصاره
لو كانت الدمن الكريمة في غنـى — عن أن يفيض بتربها تـيـاره
ايضيع من زار الحبيب وقد درى — ان الـمـزور بـبـالـه زواره
ايخيب من قصد الكـريم وعنـده — حسن الوفاء شعـاره ودثـاره
ايـؤم بـابـك مستقيـل عـاثـر — فيرد عنك ولا تـقـال عثـاره
حـاشا وكـلا أن تخيب ءامـلا — فيعود صفرا خيبـت اصفـاره
يـا سيد الارسال ظهري مثـقـل — فعسى تخـف بجاهكم اوقـاره
رحماك فيمـن أوبقتـه ذنـوبـه — فكـانـمـا اقبـالـه ادبـاره
لبـس الصغار وقد تعاظـم وزره — والعـفـو تصغـر عنـده أوزاره
شط المزار ولا مـزار وشد مـا — يلقى محب شط عنـك مـزاره
وافى حماك يفـر من زلاتـه — واليك يا خـير الانـام فـراره
واتـاك يلتمس الشفاعة والرجـا — يقتـاده وظنـونـه انـصـاره
والعبد معتذر ذليـل خـاضـع — ومقـصـر قـد طـولت اعـذاره
متوسـل قد اغرقتـه ذنـوبـه — متنصـل قـد احـرقتـه نـاره
قذفـت به في غربة أوطـانـه — ورمت بـه لعـلائـكم أوطـاره
فامنن و سامح واعف واصفحن — واغتفر فلانت ماح للخطايا غفاره
صلى عليك الله ما حيى الحيـا — روض الربـى وتـرنمت أطيـاره

ثم انحدرنا من الهضاب، وقد فشى بطون الأودية من افواه الشعاب، ولاحت لنا الانوار النبوية من تلك القباب ، وشرفنـا الجباه ، بلثم ذلك التـراب ، ووصلنا الى المدينة النبوية الكريمة ونفوسنا مسرورة بالاتصـال وماسوفة بما تتوقعه بعد ذلك من قرب الارتحال

واذا وقع بصر الحاج على حيطان المدينة فليقل

اللهم هـذا حرم رسولك فاجعله لـي وقاية من النار ، وأمانا مـن العـذاب ، وسوء الحساب ، ويقول عند دخـوله ، بسم الله وعـلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعـل لـي من لدنك سلطانـا نصيـرا

ودخلنا المدينة المشرفة
يوم الجمعة الثالث من المحرم

فاتح سنة اثنتين واربعين وألف ، واليوم قد ولى شبابه ، والمساء قد استحكمت اسبابه ، والشمس تجنح للغروب مريضة ، والليل نحو مغيبها يتطلع ، ولما راينا ربع من لم يدع لنا فؤادا لعرفان الرسوم ولاالبا ، نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة لمن بان عنه ان نلم به ركبا ، ولسان الحال يقول :

يا أهل طيبة هل تقضى ديون فتى ... عليه في أرضكم للترب تقبيل
يا سيد الرسل عبدكم اتى وله ... من سالف الدهر تخويف وتخجيل
من نور شفاعتك العظمى اذا ... اشعلت نار على من عصى منها سرابيل
صلى عليه اله العرش ما سجعت ... ورق لهن من الاغصان تهديل
أزكى صلاة مع الال واصلة ... صحبا هم للورى زين وتجميل

وكان دخولنا اليها من باب القصري ، وقد خرج أهل المدينة لملاقاتنا بالتعظيم والاجلال والترحيب والاقبال أبقاهم الله بأحسن شمائلهم وأجزل في المكرمات فواضلهم وكيف لا وقد جاوزوا طبيب القلوب ، المصطفى لدا علام الغيوب ، فتخلقوا أبقاهم الله باخلاقه ، وتادبوا من حسن آدابه صلى الله عليه وسلم وعلى ءاله ، شعر

بلاد بها الحصباء در وتربها ... عبير وانفاس الرياح شمول
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق ... وصح نسيم الروض وهو عليل

ثم من اداب الزائر اذا اشرف على المدينة والبيت أن يترجل ، نقل عن أبي الفضل الجوهري رضي الله عنه أنه لما قدم المدينة المشرفة ترجل وجعل يقول :

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر ... قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطي بنا بلغن محمدا ... فظهورهن على الرجال حرام
بلغتنا لخير من وطىء الثرى ... فلها علينا حرمة وذمام

ومشى حتى بلغ المسجد وهو يقول

هذه دارهم وأنت محب	ما احتباس الدموع في الآماق
والمغاني للصب فيها معان	فهي لديه (1) العشاق
حل عقد الدموع واحلل رباها	واهجر الصب واقض حق الفراق

حكي عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال : هل العبد الآبق يأتي الى بيت مولاه راكبا لو قدرت أن أمشي على رأسي ما مشيت راكبا ، قال القاضي أبو الفضل رحمه الله وجدير لمواطىء عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل ، وعرجت منها الملائكة والروح ، وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على جسد سيد البشر ، وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر ، مدارس آيات ، ومساجد صلوات ، ومشاهد الفضائل والخيرات ، ومعاهد البراهين والمعجزات ، ومناسك الدين ، ومشاهد المسلمين ، ومواقف سيد المرسلين ، ومتبوأ خاتم النبيئين. حيث انفجرت النبوءة وأين فاض عبابها، ومواطن صدرت منها الرسالة، وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها ، أن تعظم عرصاتها وتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدراتها ، وانشدوا

يا دار خير المرسلين ومن به	هدي الانام وخص بالايات
عني لاجلك لوعة وصبابة	وتشوق متوقد الجمرات
وعلي عهد ان ملأت محاجرى	من تلكم الجدرات والعرصات
لاعفرن صون شيبتي بينها	من كثرة التقبيل والرشفات
لولا الاعادي والعوادي زرتها	أبدا ولو سحبا على الوجنات
لكن ساهدي من حفيل تحيتي	لقطين تلك الدار والحجرات
اذكى من المسك المفتق نفحة	تغشاه بالاصال والبكرات
وتخصه بزواكي الصلوات	ونوامي التسليم والبركات

المسجد النبوي على ساكنه أفضل الصلاة والسلام

وكنا حين نزلنا المدينة النبوية ، الكريمة المقدسة الشريفة المخصوصة بالمنظر البهيج ، والنشر الاريج ، فابتدرنا الى الحرام الشريف ، والكريم

1) بياض بالاصل ويمكن أن يكون "منية"

قد فتح الباب ، ورفع الحجاب ، وملأ بالبر الرحاب ، فغشيتنا هيبة المقام ، وخرس اللسان ، من كل انسان ، عن النثر والنظام ، فعبرت العبرات عن الكلام ، فاستنشقنا أرج اللقا ، ووقفنا بباب الكرم الاتقى ، والعروة الوثقى والاصعد الارقى ، فحييناه تحية أعظام واكبار ، تناسب ما له من الجلال والوقار ، فيالها تحية أرق من النسيم ، اذا صافح الروض الوسيم ، شعر

ولما وقفت للسلام تبادرت دموعي الى ان كدت بالدمع اغرق
فقلت لعيني هل مع الوصل عبرة فقالت السنا بعد ذا نتفرق

فقلت السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا نبي الله ، السلام عليك يا حبيب الله ، السلام عليك يا خير خلق الله ، السلام عليك يا نور عرش الله ، السلام عليك يا صفوة الله ، السلام عليك يا أمين الله ، السلام عليك يا سيد المرسلين ، السلام عليك يا خاتم النبيئين ، السلام عليك يا قائد الغر المحجلين ، السلام عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين السلام عليك وعلى ءالك واصحابك الطيبين اتيناك زائرين وقصدناك راغبين وببابك واقفين ، وبحقك عارفين ، وبدينك مستمسكين وبك الى الله عز وجل مستشفعين ، لا تردنا خائبين ، ولا عن بابك مطرودين السلام عليك وعلى أزواجك أمهات المومنين جزاك الله تعالى عنا يا رسول الله افضل ما جزى نبيا عن قومه ، ورسولا عن امته ، وصلى الله عليك كلما ذكرك وذكره الذاكرون ، وكلما غفل عن ذكرك وذكره الغافلون ، وصلى الله عليك في الاولين والآخرين ، اشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنك عبده ورسوله وامينه وصفيه ، وخيرته من خلقه ، واشهد انك قد بلغت الرسالة ، واديت الامانة ، ونصحت الامة ، وجاهدت في الله حق جهاده ، وهديت امتك ، وعبدت ربك حتى اتاك اليقين ، اللهم بلغه نهاية ما ينبغي أن يساله له السائلون ، وخصه بالمقام المحمود ، والوسيلة والفضيلة ، والدرجة الرفيعة ، يا رب العالمين ، أنت الذي أنزل الله عليك ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) وقد ظلمت نفسي ، وها انا قد اتيتك استغفر من ذنوبي ، وأستقيل من عثراتي ، واستشفع بك فاشفع لي عند ربي ، ثم انشا يقول :

يا خير من دفنت في المقام اعظمه   فطاب من طيبهن القـاع والاكـم
نفسي الفـداء لقبر انت سـاكنه   فيه العفاف وفيـه الجود والكرم
انت النبي الذي ترجى شفاعتـه   عند الصراط اذا ما زلت القـدم
انت البشير النذير المستضاء بـه   وشافع الخلق اذ يغشاهم الندم
يخصهم بنعيم لا نفـاد لـــه   والحور في جنة الماوى لهم خدم
يعطي الوسيلة يوم العرض مغتبطا   عند المهيمن لما تحـشر الامـم
والحوض قد خصك الله الكريم به   يوما عليه جميع الخلق تزدحـم
تسقي لمن شئت يا خير الانام وكم   قوم لعظيم الشقا والبعد قد حرموا
صلى عليك اله العرش ما طلعت   شمس وما انبجست من غيمها ديم

واخذنا بعد السلام في شرح ما فعلت الاشواق ، وان كانت الاحاطة بوصفها تكليف ما لا يطاق ، ولسان الحال يـقول

اليكـم رحلنا لاربـع ومعـاهـد   فانتم محل الانس فـي كل مشهد
نزوركم لو لم ننل غير نظـــرة   لكانت لنـا البشرى بانجاز موعد

اسكان الروضة (كذا) المنبر المبارك الذي لم ير الراؤون مثله ، حسن الانتزاع، جميل الابداع ، اصله من رخـام وترصيعه مـن الصندل الاحمر والابيض والاصفر ، وما بينهما روضة من رياض الجنة كما جاء في الحـديث روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ، ما بين روضتي ومنبري روضـة من رياض الجنة ، يتسابق الناس اليه رغبة في الصلاة فيه ، ومما كتب في المنبر في جانبه الايمـن (والذيـن آمنوا وعملوا الصالحات فـي روضات الجنات) الى ــ الكبيـر ، وفي الجانب الايسر روى البخاري في صحيحه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، ما بين روضتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي ، وعلى بابه الذي يدخل الامام منه مكتـوب (ان الله يامر بالعدل والاحسان الـى تذكـرون . ونون تـذكرون عرقها الكاتب في الرخامة البيضاء من الخد الأيسر ، ومما كتب في قفـــاه من ناحية القبلة (بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا اذا نـودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ، ذلـكم خيـر لـكم ان كنتم تعلمون) ومما كـتب في اعلى المحراب (التائبون العابدون) الـى

(وبشر المومنين) مكتوب كله بالذهب . ومما كتب فـي سقف الروضة المشرفة بين الحجرة والمنبر الشريف هذه القصيدة وهي

لمهبط الوحي حقا ترحل النجـب — وعند هذا المرجى ينتهي الطلب
بـه تحـط السـائلون ومـــــا — لسائل الدمع لا يمضيه ما يجب
قف وقفة الذل والاطراق ذا ادب — فعنـد حضرتـه يستلـزم الادب
وخذ ذماما من المختـار ان لـه — ذمام جاه بـه تستنجد العـــرب
فما به لاذ يوما من بـه سغـب — الا واطفىء عنه ذلـك السغـب
ولابه لاذ يوما مـن بـه وصـب — الا وزال وحق المصطفى الوصب
راحة راحة كم روحت بـــشرا — حبات هباتـه يحــي به التـرب
لا يعرف الجود الا من سماحتـه — والثغر مبتسم والكف منسـكـب
ولا يجيب بـلا ولكن بـلا ونعـم — وكم بلاء جلا عن من به وصـب
لـه الملاحة خلقا والنـدا خلق — (1)
يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي — فانت سؤلي وانت القصد والارب
يا صاحب النجدة العليا لمعتكف — بجاهـه لنـداك اليـوم أرتقـــب
عبيدك ابن مليك سائل أربـــا — ودمعـه سائل والقـلب مكتئـب
فاشفـع لـه ولاهلـه وعتـرتـه — فانت حسبي ومنك يعرف الحسب
صلى عليك اله العرش ما طلعت — شمس وما لاح نجم ثـم يغترب

وبازاء الجهة القبلية عمود يقال ان في باطنه بقية الجذع الذي حن للنبي صلى الله عليه وسلم وبكى لفراقه يقبله الناس ويتبركون بلمسه ويمسحون خدودهم وجباههم عليه ، وفي رواية آن الجذع مدفون تحت المنبر والله اعلم .

وطول المسجد الكريم مائة خطوة وهو بالذراع ثلاثمائة ذراع طولا ومائتان عرضا ، وتكسيره من المراجع الغربية اربعة وعشرون مربعا ، وعدد سواريه ثلاثمائة سارية ، وتحفه من جهاته الاربع بلاطات مستديرة به ، ووسطه كله مفروش بالرمل والحصى ، وفـي صحنه قبـة بيضاء كبيرة امامها نخـلة واحدة عددت عراجينها فوجدتها سبعة ، ونصف جدار القبلة الاسفل مـؤزر برخام مركب بعضه على بعض مختلف الهيئة واللون ، والنصف الاعلى من الجدار مرقوم كله بالذهب ومموه به ، وموشى كله بانواع التوريق الانيـق ،

---

1) هـذا الشطر بيـاض بالاصـل

فيها صور اشجار ذات افنان ، وباقي جدرات المسجد المعظم مموه بالذهب كلـه الا انـه دون جدار القبـلة فـي رقمه ووشيه ، وما بيـن الـروضـة والمنبر اساطينه مزلجة بالزليج الاخضر لتتميز عما عداها من اماكن المسجد، وفرشها زرابي فوق حصائر تذهل البصائر ، ويقال انه المسجد القديم ومـا عداه مفروش برمل، وفي قبلة المسجد المبـارك حديقة وهي المعروفة ببـرحا ذكره البخـــاري

عدد ابواب المسجد الكريم

وللمسجد الكريم أربعة ابواب ، المفتوح في ناحية المغرب منها بابان ، يسمى احدهما باب السلام ، والاخر باب الرحمة وبابان لناحية المشرق يسمى احدهما باب جبريل ، والآخر باب النساء ، والثاني باب المنيـــة ، والثالث بـاب جبريل والرابع باب الرخا ويقابل باب جبريل عليـه السـلام ، دار عثمان رضي الله عنه ، وهي التي استشهد بها وهي المعروفة الآن برواق سيدنا عثمان رضي اللـه عنه ، وبازاء المحـراب من جهة الشرق خزانتـان كبيرتان تحتوي على كتب علمية ، ومصاحف قرآنية موقوفة عـلى المسجد الـمـبـــارك

وبخارجه لجهة الشرق دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وبازائها دار عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ودار ابنه عبد الله رضي الله عنهما ، وللمسجد الشريف خـمس صوامع ، فـي الاربعة الجوانب أربع والخـامسة ملتصقة بالروضة المشرفة المباركة ، وهي المتقدمة في الاذان ، وتحتهـا يبيت القيم في جميع شهر رمضان حتى ينصرم الشهر

عز التراب لكون الهاشمي بـــه ... كأنه لؤلؤ فـي التـرب مكنـــون
من ظن ان رسول الله غيـــره ... طول المقام بلحد فهـو ملعـون
الجسم غض بلا شك ولا كـــذب ... وا وجه كالبدر تحتالدجى مـ(١)رون
والطرف احور كحيل دون ما كحل ... والقوس حاجبه في شكله نـون
وورد خديه لـم يعبث بـه كفـن ... فورد كـل ريـاض دونه نـــون
يا حسن غرته من تـحت وفـرتـه ... ليل وصبح به ذو اللـب مفتـون

(١) هكـذا فـي الاصـل .

ما في السماوات خلق ليس يذكره ولا يعظمه حتى الشياطين
محمد خير خلق الله كلهم ومن يقل غير هذا فهو مجنون
بانت فضائله عن ان يحيط بها وصف فيحصرها بالجمع تدوين
وما عسى ان ينال الوصف من رجل يحبه الخالق الباري وجبرين
يا امة فضلت هذا نبيكم صلوا عليه فهذا الفخر والدين
صلوا عليه لكي تعطوا شفاعته من خاب منه رجاه فهو مغبون

ذكر ابواب المدينة المشرفة

وللمدينة المكرمة اربعة ابواب وهي مسورة بسورين ، في كل منهما باب يقابل الاخر ، الخارج منها مصفح بالحديد ، واحد الابواب يقال له باب الحديد ، ويقال له باب الشريعة ايضا ، ويليه باب البقيع ، وبداخل هذا الباب روضة مالك بن سنان حامل راية النبي صلى الله عليه وسلم يتبرك الناس بزيارته والوقوف عند ضريحه رضي الله تعالى عنه ونفعنا به آمين ، ويليه الباب الشامي ، والباب المصري ، والذي سور المدينة الكريمة بسورين واتقنها الوزير جمال الدين ابو جعفر محمد بن علي بن أبي منصور المعروف بالجواد الاصبهاني ، وللمدينة المكرمة ثلاث سقايات داخل باب الحديد ينزل اليها على ادراج وماؤها معين وهي على مقربة من المسجد الشريف ، وهذا المسجد المبارك أفضل المساجد ، وبلده أفضل البلاد بالاجماع ، فيما عدا مكة وعلى احد القولين فيها وهو المختار وتربتها مومنة وغبارها يطفىء الجذام ، ولا يدخلها الدجال ولا الطاعون ، وصرف الحمى عنها اول قدومه اليها ونقلها الى الجحفة ، ثم لما اتاه جبريل بالحمى والطاعون امسك الحمى بالمدينة وارسل الطاعون الى الشام وفضلها كثير من بركة النبي صلى الله عليه وسلم .

صفة الهدية التي بعثها السلطان

وفي صبيحة يوم السبت الثاني لدخولنا المدينة المشرفة دفـع القـائـد جوهر الهدية العظيمة ، والتحفة الجسيمة ، التي بعثها صحبته الامام الاعظم، والملاذ الاعصم ، ومالك رقاب العرب والعجم ، الذي شمخت به انوف الاعتزاز، في جواثم المعالي ، وشدخت به مقانب الاعداء فاصبحت ناكسة الـرؤوس لصدور العوالـي ، مولانا السلطـان ابن السلطان ابن السلطان مولانا الوليد ابن مولانا زيدان ابن مولانا احمد المنصور ابن مولانا المهدي مولانا محمد الشيخ الشريف الحسني رحمهم الله واسكنهم فراديس الجنان ، رحمه الله وقدسه ، وحياه بنفحات رضوانه الطيبة وانسه ، وسقى تربته بسحائـــب مغفرته الصيبة ، وبشئابيب عفوه المنبجسة ، والهدية حسكتان (1) من عسجد ، مركبتان على يواقيت من زبرجد ، وزن كل واحدة منهما اربعة أرطال من ذهب، وحسكتان من فضة خالصة ، وزن كل واحدة منهما عشرة أرطال ، وصندوقان مملوآن بشمع العنبر ، الذي مثله لم يبصر ، وعشرة آلاف من الذهب المطبوع، ورسالة وقصيدة عجيبة التركيب بارعة الاطراء ، تزدهي بأفنان فنون الثناء ، تشنف الاسماع ، من محاسن الابداع ، ففتح له باب الروضة فدخل حتى وضع جميع ذلك بداخل الروضة ، ووضع الرسالة والقصيدة ، بعد فض ختامها وقرئت بمرأى من سيد البشر بمحضـر اهـل البدو والحضر ، وانتشـر بذكر مهديها ما انتشر ، وكان له بذلك أعظم مفخر ، تقبل الله عمله ، وبلغه أمله ، ودفع المال لحراس الروضة وسدنتها ، وفي كل ليلة يركب شمع العنبر فـي تلك الحسك التي لم يهد مثلها مملوك ولا ملك ، وتوقد من المغرب الى الصباح، ونورها مشرق على الربى والبطاح ، ونشرها عابق فائح ، يستنشقه الغادي والرائح ، يصعد مع جوانب الروضة عصار نشـره ، ويحيط بأرجائـها ارج عطره ، تقبل الله عمله ، ويبلغه في الدارين امله ، ومما كتب في دائرة حسكة الذهب هاذان البيتـان بخـط اخضر في ذهـب أصفر في غايـة ما يكـون من الجمـــال :

---

1) الحسكة عند المغاربة هي الشمعدان أي ما يثبت فيه الشمع للانارة

متع لحاظك في محاسن منظري — لترى عجائب مثلها لم يعهد
قمر على غصن الزبرجد جاثم — ينبيك عن حب الوليد لاحمد

هذا كله ولسان الحال يقول

على العبد حق هو لا شك فاعله — وان عظم المولى وجلت فضائله
الم ترنا نهدي الى الله ماله — وان كان عنا ذاغنى فهو قابله
فلو كان يهدى للجليل بقدره — لقصر ماء البحر عنا مناهله
ولاكننا نهدي الى من نحبه — ولو لم يكن في وسعنا ما يشاكله

وقال آخر في المعنى

يا نبي الله معذرة ا — ن الهدية على قدر مهديها
ان الله يقبل مثقال ذرة — وهو غني عن الدنيا ومن فيها

زيارة مسجد قبا

وبعد ذلك خرجنا لزيارة مسجد قبا وهو بظاهر المدينة الكريمة من جهة القبلة على نحو ميلين اثنين ، وهو مسجد حسن ، معتدل التربيع ، مستوى الطول والعرض ، ظاهر البركة ، كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتيه راكبا وماشيا ، وروى الترمذي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من توضأ فاحسن وضوءه ثم جاء مسجد قبا فركع فيه أربع ركعات كان ذلك عدل عمرة ، وفي وسطه مبرك الناقة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وعليه قبة صغيرة من عود يتبرك بها الناس بالصلاة فيها ، وفي صحنه مما يلي القبلة محراب، هو موضع ركوب النبي صلى اله عليه وسلم وباعلى المحراب مكتوب ما نصه ، بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد واله ، (لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا ، والله يحب المطهرين) :

هذا مقام النبي صلى الله عليه وسلم (1)

جدد هذا المسجد المبارك في احدى وسبعين وستمائة .

وطول هذا المسجد المبارك مائة وعشرون خطوة ، وعرضه كذلك ، وله باب واحد من جهة الغرب ، وصومعة عالية جدا تظهر على بعد ، وامام بابه في صحنه بئر كبيرة عذبة ، وفيه خمسة محارب ، والبئر المذكورة ياتي الماء منها للمدينة ، شعر في المعنى :

سكان قبا أفديكم من سكن	ما أطرب وقع ذكركم في اذن
لم انس وقد قضيت معكم زمنا	ابغي بدلا يا ليت شعري بمن

وفي قبلة المسجد دار أبي أيوب الانصاري ، وهي دار بني النجار ، ودار عائشة رضي الله عنها ودار أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وقبا هذه كانت مدينة كبيرة ، والطريق اليها بين حدائق النخل المتصلة، وبقربه ومقربة من هذا المسجد على الطريق بئر اريس ، وفيها كان وقع خاتم النبي صلى الله عليه وسلم ، روي عن نافع وابن عمر رضي الله عنهما قال اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ورق نقشه محمد رسول الله وكان بعده في يد ابي بكر ثم في يد عمر بعده ، ثم في يد عثمان رضي الله عنهم حتى وقع في بئر أريس ولم يزل يتبركون به الى الآن ، ونسبته الى رجل من يهود كان اسمه أريس ، وهو الفلاح بلغة أهل الشام ، وقد صرح ابن النجار والغزالي وتبعهما من بعدهما ان بئر اريس هي المقابلة لمسجد قبا في غربيه ولما بنى متولي العمارة السبيل والبركة المقابلين لمسجد قبا رفع قفا البئر المذكورة بنحو ثلاثة اذرع ، وله درج وبقربه روض الشمس الذي فيه النخلة التي سجدت للنبي صلى الله عليه وسلم لاكنها اندرست وبقي نباتها الى الآن ، وهن مبسوطات على الارض.

1) تركنا هذا كعنوان كبير كما وضعه المؤلف بحروف مذهبة وان كان الظاهر أنه من تمام ما كتب على المحراب

والنخيل محدق بالمدينة من نواحيها الاربع واعظمها نخلا جهة القبلة (1) وجــهة المشــرق

وعند قفولنا من قبا قصدنا مسجد الفتح الذي نزلت فيه سورة الفتح على النبي صلى الله عليه وسلم فتبرك الناس برؤيته والتنقل فيه .

زيارة احد وحمزة رضي الله عنه

وبظاهر المدينة الكريمة من جهــة الجوف (1) على مقدار ثــلاثة أميال جبــل احــد وهــو الــذي عنى رســول الله صلى الله عليــه وســلم بقــوله ، هذا جبل يحبنا ونحبه ، وفيه روضة سيد الشهداء سيدنا حمزة بن عبـــد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وصنوابيه رضي الله عنه ، وعليه بناء عظيم ، وهو رضي الله عنه وأرضاه مدفون في قبة ، ومعه مصعب بن عمير ، وشماس بن عثمان ، وعبد الله بن جحش رضي الله عنهــم فــي قبر واحد . فاذا وقفت على القديم قلت ، السلام عليك يا سيدنا حمزة يــا ابن عبد المطلب السلام عليك يا عم رسول الله ، السلام عليك يا عم نبــي الله ، السلام عليك يا عم المصطفى ، السلام عليك يا سيد الشهداء ، السلام عليك يا سيد السعداء السلام عليك يا أسد الله واسد رسوله ، الســلام عليك يا سيدنا مصعب بن عمير ، السلام عليك يا شماس بن عثمان ، السلام عليك يا من قال الله في حقهم (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله) الآية وفي المستدرك عن انس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على حمزة ولم يصل على أحد من الشهداء وفي حديث أنه كبر عليه سبعين تكبيرة ، وفــي حديث آخر أنه صلى عليه سبعين صلاة ، وفــي الصحيحين وغيرهما مــن حديث عقبة بن عامر أنه خرج يوما فصلى على أهل احد صلاته على الميت ، وذلك قرب موته بعد ثماني سنين من دفنهــم ، وفي الصحيح أنه خــرج الــى أهل البقيع فصلى عليهم ، قال القاضي عياض : « يحتمل أن تــكون الصــلاة

1) في اصطلاح المغاربة هي الجنوب لان العرب الذين فتحوا المغرب كان أكثرهم مــن أهل الشام والقبلة جنوبهم فاطلقوا على جهة الجنوب لفظة القبلة وتبعهم أهــل المغرب رغم أن قبلتنا هي الشرق والجوف في اصطلاح المغاربة هو الشمال

المعلومة على الموتى أو يكون هذا خصوصا له ، ويكون أراد أن يعمـهم بصلاته ، اذ فيهم من دفن وهو غائب أو لم يعلم به فلم يصل عليه فأراد أن تعمهم بـركتـه » .

وهو رضي الله عنه يكنى بابي يعلى وقيل ابـا عمارة وكان أسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم باربع سنين ، وهو أحد الرجلين اللذين أعز الله بهما الاسلام لما اسلم هو وعمر بن الخطاب أظهروا الديـن وبرحوا الخفاء اسلما رضي الله عنهما في السنة الثانية من البعث ، وقيل بل كان اسـلامه في السنة السادسة ، وقال ابن عبد البر ، ولا يصح عندي أن يكون أكبر من رسول الله صلى الله عليه وسلم باربع سنين ، لانه أخوه فـي الرضاع ، ارضعته ثويبة مولاة أبي لهب ولم تدرك الاسلام الا أن تكون أرضعتهما فـي زمانين ، وقيل كان أسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين ، شهد بدرا وابلى فيها بلاء حسنا ، وقتل يوم أحد شهيدا ، قتله وحشي بن حرب الحبشي مولى جبير بن مطعم بن عدي ، غدره بحربة انفذها فمات سريعا ، فمثلت به هند فشقت عن كبده فأكلتها نية على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة ، وكان يوم قتل ابن تسع وخمسين سنة ، وحزن عليه رسول اللـه صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا ، حتى قال لوحشي يوم اسلم ، غيب وجهك عني وقال صلى الله عليه وسلم : « حمـزة سيد الشهداء ، ولولا أن تجـزع صفية لتركت دفنه حتى يحشره الله تعالى من بطون الطيور والسباع »

وفي القبة المقابلة للقبة التي دفن فيها قوس عربية وسيف ودبوز معلقة، ذكروا انها لحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ، وقبور الشهداء حافون بـهـم خارج البناء ، وبقربه سقاية للماء ، وفي طريقه بينه وبين المدينة مسجد علـي ابن أبي طالب رضي الله عنه ومسجد سلمان الفارسي رضي الله عنه .

زيارة البقيع وما فيه من المشاهد

ويخارج المدينة المباركة بقيـع الغرقد من جهة الشرق ، فاول ما يلقـى الخارج من باب البقيع على يساره روضة صفية عمة النبي صلى الله عليـه وسلم أم الزبير بن العوام رضي الله عنهما

روضة الامام مالك وترجمته

وامامها روضة الامام مالك بن انس بن ابي عمر الاصبحي رضي الله عنه، كان امام دار الهجرة ، ويسمى عالم المدينة ، وانتشر علمه في الامصار ، واشتهر في جميع الاقطار ، وضربت له اكباد الابل ، وانتصب لتدريس العلم وهو ابن سبع عشرة سنة ، واحتاج اشياخه اليه وعاش قريبا من تسعين سنة، وشهد له التابعون بالفقه والحديث رضي الله عنه ، وكان الاوزاعي رضي الله عنه معظما لمالك واذا ذكره يقول : « قال عالم العلماء ، قال عالم المدينة ، قال مفتي الحرمين » . وقال المثنى بن سعد سمعت مالك رضي الله عنه قال : « ما بت ليلة واحدة الا ورايت النبي صلى الله عليه وسلم فيها » . وقال الشافعي رضي الله عنه : « رأيت على باب مالك دواب من افراس خراسان ، جاءت هدية، وقيل من مصر، ما رايت احسن منها، فقال هذه هدية مني اليك فقلت له لنفسك منها دابة تركبها، فقال اني أستحي من الله عز وجل ان اطأتربة فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة». ورآه بعض الصالحين في المنام بعد موته فقال له ما فعل الله بك ؟ قال غفر لي قلت بماذا ؟ قال بكلمة سمعتها عن عثمان ابن عفان رضي الله عنه انه كان اذا رأى ميتا قال لا اله الا الله الا هو الحي القيوم الذي لا يموت ، فأدمت قولها فادخلني الله الجنة قال عبد العزيز توفي مالك لعشرة ايام خلون من ربيع الاول سنة تسع وسبعين من الهجرة ، ورأى عمر بن يحيى بن سعد الانصاري رحمه الله في الليلة التي توفى فيها مالك رحمه الله قائلا يقول هذين البيتين

لقد أصبح الاسلام زعزع ركنــه ... غداة ثوى المهدي لدى ملحد القبر

امام الهدى ما زال للعلم صائنـا ... عليه سلام الله في آخر الدهــر

قال وانتبهت وكتبت الابيات بالسراج ، واذا بصارخة مالك رحمه الله تعالى ورضي عنه وحشرنا في زمرته وعليه قبة مختصرة البناء

وامامه روضة السلالة الطاهرة النبوية سيدنا ومولانا ابراهيم بن محمد صلى الله عليه وسلم وعليه قبة بيضاء ، فاذا وقفت على الضريح المبارك قلت ، السلام

عليك يا سيدنا ابراهيم يا ابن رسول الله ، السلام عليك يا ابن نبي الله ، السلام عليك يا ابن حبيب الله ، السلام عليك يا ابن المصطفى ، أعاد الله علينا من بركاتك وبركات علومك في الدنيا والاخرة ، السلام عليك ورحمة الله وبركاته ثم تدعو بما شئت

روضة سيدنا العباس وترجمته

وبقرب منه روضة عظيمة فيها بنات النبي صلى الله عليه وسلم وتليها روضة سيدنا العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وصنو ابيه عليه السلام ، وكنيته رضي الله عنه ابو الفضل وامه أم ضرار ، كان أسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين ، اسم امه قتيلة بنت حبان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه ويكرمه وكان بمكة مع المشركين مومنا يكتم ايمانه رضي الله عنه ، وأخذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم البيعة على أهل العقبة من الانصار والعهود وكان رضي الله عنه جوادا كريما وثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وهو بركابه رضي الله عنه وأرضاه وفيه قال حسان شاعر النبي صلى الله عليه وسلم

سأل الامام وقد تتابع جدبنا ... فسقى الغمام بغرة العباس
عم النبي وصنو والده الذي ... ورث النبي بذاك دون الناس
أحيى الاله به البلاد فاصبحت ... مخضرة الجنات بعد ايـاس

الحسن والحسين رضي الله عنهما

والحسن بن علي رضي الله عنه الى رجلي العباس رضي الله عنهما ، وفي طبقات ابن سعد عن عمرو بن سليم قال الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل الجنة ، لم يكونوا في الجاهلية وان الحسن رضي الله عنه

ولد سنة ثلاث من الهجرة وعق عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبش وحلق راسه وراس الحسين وتصدق بزنة شعرهما فضة على المساكين وقيل ولد منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر ، وروي بعد أحد ، لان عليا رضي الله عنه بنى بفاطمة رضي الله عنها بعد احد وأهدى جبريل اسم الحسن في سرقة (1) من حرير الجنة ، واشتق الحسين من اسم الحسن وكان الحسين أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم من راسه الى صدره وكان فوق الربعة ودون الطويل ، بويع له في شهر رمضان سنة أربعين بعد قتل أبيه وخوطب بامارة المومنين وصالح معاوية لخمس بقين من ربيع الاول سنة احدى وأربعين ، وكانت مدة خلافته ستة اشهر وعشرين يوما ، وسم وشكا أربعين يوما ، وعليها قبة مرتفعة السمك والقبران مرتفعان من الارض متسعان مغشيان بالواح ملصقة ابدع الصاق مرصعة بصفائح الصفر ومكوكب بمسامره على أبدع صفة وأجمل منظر ، وعلى هذا الشكل قبر سيدنا ومولانا ابراهيم بن محمد طلى الله عليه وسلم.

ومعهم قبر سيدنا جعفر الصادق، وسيدنا محمد الباقر، وسيدنا زين العابدين ، وهم اهل بيت النبوءة ومعدن الرسالة من قال الله في حقهم (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا).

ترجمة محمد الباقر

وسيدنا محمد الباقر هو سيدنا محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كان رضي الله عنه ولي الاولياء ، وكبير الاتقياء ، واسطة عقد اولياء الله ، مدون حقائق الصوفية بالاشارة الشافية والمواعظ الكافية ، والوصايا الرشيدة ومعروف بالزهد في هذه الدار ، وغاية في الكرم والايثار، وعرف بالباقر سمي بذلك رضي الله عنه لانه بقر على العلم وأظهره

1) السرقة بفتحتين شقة الحرير

واقام مناره ، ونشره ، وكيف لا يكون بهذه الاوصاف ووالده زين العابدين الذي به كنى جعفر الصادق الامين ، قال الجوهري في التاج بقرت الشيء بقرا فتحته ووسعته والتبقر التوسع في العلم واخبار هذا السيد كثيرة ، وكراماته شهيرة ، وكانت وفاته رحمه الله تعالى ونفعنا به سنة سبع عشرة ومائة وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ، وأوصى أن يكفن في قميصه الذي كان يصلي فيه رحمه الله تعالى ونفعنا به ، وبآبائه الكرام .

مشهد الامام محمد بن الحنفية

ومشهد السلالة الطاهرة سيدنا محمد بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه كنيته ابو القاسم وعرف بابن الحنفية من أعلام أهل البيت رضي الله عنهم واكابر أولياء الله تعالى ورثها عن ابيه رضي الله عنهم وسمي بابن الحنفية لان أمه كانت من بني حنيفة ، واختلف هل كانت حرة زوجة او امة سرية حدث أبو داود في سننه أن عليا كرم الله وجهه قال يا رسول الله ارايت أن ولد لي ولد بعدك أأسميه باسمك واكنيه بكنيتك ؟ قال نعم ، فولد له محمد هذا وكناه بابي القاسم ، وشهر بابن الحنفية ، كان رحمه الله من أزهد الناس اهل زمانه ، واكثرهم عبادة ، وأكرمهم نفسا ، واعلاهم همة ، وكان شيخ مشائخ اهل المدينة في وقته ، ولما توفي حبر القرآن عبد الله بن عباس رحمه الله ، سنة ثمان وستين وهو ابن احدى وسبعين سنة ، وقع اجماع من حضر من أهل البيت الكريم ان قدموا للصلاة بالناس عليه هذا الولي محمد بن الحنفية ، ولما فرغ من الصلاة عليه بكى ثم قال مات اليوم رباني هذه الامة ، وضرب على قبره فسطاطا وأقام عليه اياما ، وفاته رضي الله عنه سنة احدى وثمانين من الهجرة وهو ابن خمس وستين سنة ، وقبره بالمدينة من المزارات العظيمة ، والمشاهد الكريمة ، نفعنا الله به وببركة ابيه

خرج الثعلبي في تفسيره قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من مات على حب آل محمد مات شهيدا، الا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت

بالجنة ثم منكر ونكير، الا ومن مات على حب آل محمد فتح الله له في قبره بابين الى الجنة ،الاومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ، الا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا ، الا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة» . وروي في كتاب المعجم لابي القاسم البتراني لما نزل قوله تعالى (قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى) قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال: «علي وفاطمة وابناهما». وحدث الخطيب ابن ثابت في ترجمة عثمان بن محمد بن ابي شيبة بسنده عن فاطمة بنت الحسين عن فاطمة الكبرى قالت : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل بني ام ينتمون الى عصبتهم الا ولد فاطمة فاني أنا ابوهم وعصبتهم » . وفيهم وفي امثالهم يقال :

يا عترة المختار يا من غدا	فؤاد كل صب يهواهم
أعرف في الحشر بحبي لكم	اذ يعرف الناس بسيماهم
نعم واخرى أرتجي نفعها	اذا لواء الحمد يغشاهم
واذ يقول الله للمصطفى	اسال فترضى واشفع تعطاهم
كأنني ذو صبوة فيهم	وهم لدعى الحب احظاهم
وان احسانهم يافتى	يعم من بالود يرعاهم
هناك يا سعدي ويا غبطتي	ويا سروري يوم القاهم
اذ يرجع الفرع الى أصله	وبالاولى يلحق اخراهم
فعند ذا افوز بوصلهم	لجنة الفردوس سكناهم

روضة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه وترجمته

وفي آخر البقيع المبارك روضة ذى النورين نجي الرحمن وولي القرآن ، سيدنا عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، فاذا وقفت ببابه فقل ، السلام عليك يا سيدنا عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، السلام عليك يا جامع القرآن ، السلام عليك يا من استحيت منه ملائكة الرحمن ، السلام عليك يا من نور المحراب بامامته ، وزين القرآن بتلاوته ، فهو سراج الله في جنته ،

وثالث الخلفاء على أمته ، اعاد الله علينا من بركاتك وبركات علومك في الدنيا والآخرة ، السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وتدعو بما شئت . روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في قول الله عز وجل (امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه) انما انزلت في عثمان رضي الله عنه . وامه أروى بنت زيد بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، وامها ام الحكم البيضاء عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صهر النبي صلى الله عليه وسلم واحد العشرة ، ومنه استحيت الملائكة وجهز جيش العسرة ، واشترى بئرا بمائة الف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمن الجنة لمن اشتراه للمسلمين ، ففعل رضي الله عنه ، وفضائله اكثر من ان تذكر ، بويع له يوم الاربعاء مهل الحرام سنة اربع وعشرين وله رضي الله عنه تسع وستون سنة ، وعليه قبة كبيرة عالية

وعلى مقربة منها روضة فاطمة بنت أسد ام مولانا علي بن ابي طالب رضي الله عنهما ، فاذا وقفت على الضريح المبارك قلت ، السلام عليك يا ستنا فاطمة يا بنت اسد ، يا أم الامام علي بن أبي طالب ، السلام عليك يا من كفنها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قميصه ، والحدها بيمينه اعاد الله علينا من بركاتك وبركات علومك في الدنيا والاخرة ، السلام عليك ورحمة الله وبركاته وتدعو بما تشاء

وبقربها روضة سيدنا نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم وكنيته أبو رؤيم وقيل ابو الحسن وقيل ابو عبد الرحمن مولى الليث حليف حمزة بن عبد المطلب اصله من اصبهان ، توفى رضي الله عنه بالمدينة المشرفة سنة تسع وستين ومائة رضي الله عنه وأرضاه ، ومتعنا في الدارين برضاه ، ثم تقول السلام عليك يا سيدنا نافع ، السلام عليك يا شيخ القراء ، اعاد الله علينا من بركاتك وبركات علومك في الدنيا والاخرة ، السلام عليك ورحمة الله وبركاته وتدعو بما شئت

وروضة حليمة السعدية مرضعة النبي صلى الله عليه وسلم وهي بنت ابي دائب عبد الله بن سحموت بن جابر بن رزم بن قاطرة بن قصيمة

ابن نصر بن بكر بن سعد بن بكر بن هوازن القيسي أرضعت النبي صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ما يقال في السلام عليها السلام عليك يا ستنا حليمة السعدية ، السلام عليك يا مرضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، السلام عليك يا مرضعة نبي الله ، السلام عليك يا مرضعة حبيب الله السلام عليك يا مرضعة المصطفى ، أعاد الله علينا من بركاتك وبركات علومك في الدنيا والاخرة ، السلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وتدعو

وتنصرف لروضة سيدنا عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه ثم تقول ، السلام عليك يا سيدنا عقيل يا أخ الامام علي ، السلام عليك يا ابن عم رسول الله ، السلام عليك يا ابن عم نبي الله ، السلام عليك يا ابن عم المصطفى ، اعاد الله علينا من بركاتك وبركات علومك في الدنيا والاخرة السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وتدعو وتنصرف

وبقربها روضة نساء النبي صلى الله عليه وسلم اكرم بها بقعة اشتملت على أمهات المومنين رضي الله عنهن وأرضاهن ومتعنا برضاهن آمين من قال الله في حقهن (يا نساء النبي لستن كاحد من النساء الآية) فاذا وقفت عند باب الروضة فقل السلام عليكن يا أزواج رسول الله السلام عليكن يا أزواج نبي الله السلام عليكن يا أزواج حبيب الله السلام عليكن يا أزواج المصطفى أعاد الله علينا من بركاتكن وبركات علومكن في الدنيا والاخرة ، السلام عليكن ورحمة الله وبركاته وتدعو وتنصرف من غير دخول .

وممن زرته بالبقيع المبارك قبر الولي الصالح ، القدوة الناصح ، سيدي عبد الكريم ، ابن سيدي محمد الكبير نجل الولي الصالح سيدي أبي عمرو القسطار ، الذي له الكرامة الظاهرة والمجاهدة الوافرة ، والبيت الذي هو بالصلاح مشهور ، وبالرياسة في التقدم على الصوفية مذكور ، شيخ الطريقة، ومعدن الحقيقة ، تربى في حجر الحماية بعين الولاية ، لما سبق له من العناية ، وحباه سبحانه بأن الهمه الاهتمام بالعزلة والفراغ من الشواغل الدنيوية ومنحه سبحانه بالمجاورة لقبر نبيه الشريف ، والتقلب في رياض الجنة ، فلم يزل يتقلب في اطوار العبادة ، ويصحب اهل الفضائل ويلازمهم

للافادة والاستفادة، حتى قضى نحبه رضي الله عنه ودفن بالبقيع المذكور، وقبره رضي الله عنه هنالك مشهور يتبرك الناس به ويزورونه ويدعون عنده نفعنا الله به وبأمثاله ورزقنا رضاهم ، شعر :

من كان يعرف قدرهم فهم هم ... يبسط لهم خد الخضوع تخوفا
والاجنبي مجانب ومحارب ... جبلت جبلته على مر الجفا
فالله يرزقنا الوفاء بحبهم ... فبحبهم وبذكرهم نرجو الشفا
ثم الصلاة على النبي وآله ... ما ازهر الغصن الرطيب ورفرفا

ومشاهد البقيع المكرم اكثر من ان تحصى لانه مدفن الجمهور من الصحابة والمهاجرين ، والاولياء والتابعين والانصار رضي الله عنهم أجمعين آمين ، فيالها من مشاهد ما احسنها ومن مزارات ما اسناها ، ومن منازل مثوى لاهل العز والتقوى ، والمجد الاثيل غربا وشرقا ، وفيها وأمثالها يقول :

على ابوابكم عبد ذليل ... عزيز الصبر ناصره قليل
له اسف على ما كان منه ... وخوف من صدودكم طويل
يمد اليكم كف افتقار ... ودمع العين من اسف يسيل
يرى الاحباب قد وردوا جميعا ... وليس له الى ورد سبيل
وكيف يضام جاركم وانتم ... كرام لا يضام لكم نزيل
فان يرضيكم طردي وبعدي ... فصبري في محبتكم جميل
وحق ولائكم وشديد شوقي ... سلوي عن هواكم مستحيل
قطعت بحبكم ايام عمري ... فلا أسلو وقد بقي القليل
يحدثني الصبا عنكم حديثا ... يصح بنشره الجسم العليل
فاسكر من شذاها حين هبت ... وانظر حيث ما مالت أميل
ويروي عن شفيع الخلق طرا ... حديثا به للمصطفى دليل
هو المختار في كل البرايا ... هو الهادي البشير هو الرسول
عليه من المهيمن كل وقت ... صلاة لا يفارقها القبول

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ، من مات في أحد الحرمين من حاج أو معتمر بعثه الله يوم القيامة لا حساب عليه ولا عذاب ، وفي طريق آخر بعث من الآمنين يوم القيامة وعن ابن عمر رضي الله عنه انه قال

عليه السلام من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها ، وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : من جاءني زائـرا لا يهمه الا زيارتي كان حقا على الله سبحانه أن أكون له شفيعا ، وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ، من زارني بعد وفاتي فكانما زارني في حياتي ، وروى انس بن مالك رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلـم من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعا يوم القيامة ، وقال اسحاق بن ابراهيم الفقيه ، ومما لم يزل من شان من حج المـــرور بالمدينة والقصد الى الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطيء قدميه والعمود الذي كان يستند اليه وينزل جبريل فيه بالوحي عليه ولمن عـمره وقصده من الصحابة وائمة المسلمين ، والاعتبار بذلك كلـه ، قال عليــه السلام ، ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على ترعة من ترع الجنة . وعن محمد بن سيرين ، كان الناس يقولون اذا دخلـــوا المسجد صلى الله وملائكته على محمد ، السلام عليك ايها النبي ورحمة الله تعالى ، بسم الله دخلنا ، وبسم الله خرجنا ، وعلى الله توكلنا ، واذا خرجوا يقولون مثل ذلك ، واحـب موضع للتنفل فيـه مصلى النبي صلى اللـه عليـه وسلم حيث العمود المحلق . وقال أبو هريرة رضي الله عنه ، قال عليـــه السلام ، صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجـد الحرام ، ولا خلاف ان موضع قبـره صلى الله عليه وسلـم أفضل البقـاع فـــي الارض .

ولزائر قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم عشر كرامات ، احداهـن يعطى أرفع المراتب ، الثانية ، ويبلـغ المطـالب ، الثالثة قضـاء المـآرب ، الرابعة بذل المواهب ، الخامسة الامن من المعاطب ، السادسة التطهير من المعائب ، السابعة تسهيل المصاعب ، الثامنة كفاية النوائب ، التاسعة حسن العواقب ، العاشرة رحمة رب المشارق والمغارب قال بعضهم ، رأيـــت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت له يا رسول الله أهؤلاء الـذين يأتونك يعني الحجاج اتفقه قولهم ؟ قال نعـم وأرد عليهم ، فيا أيهـا الكئيـب

انظر ما أجمل صفات هذا الحبيب ، وما اكرمه على الرقيب المجيب ، تسلم عليه من البعيد الاقصى ، ويرد عليك السلام ، وتطلب شفاعته فيشفع لك عند الملك العلام ، وتنقطع عن زيارة قبره فتتشوق اليه على الدوام ، وتقعد عن المسير اليه لاشتغالك بالدنيا وجمع الحطام ، فياتي اليك زائرا في المنام ، فان عزمت على المسير اليه ركبت ظهور الانعام ، ولـو انصفت لسعيت على الراس لا على الاقدام ، وهو ساترك في الدنيا من الذنوب والآثام ، وشافعك غدا وقائدك الى دار السلام ، فهل رايت حبيبا يقابل احباءه بهذه الاوصاف او يلاطفه بمثل هذه الالطاف ، تالله انك ما رايت مثله ولا ترى ، فكيف تطيق عنه مصطبرا ، ام كيف لا تظهر عليه تلهفا وتحسرا ، هذا وقد بصرك بالكتاب والسنة فأصبحت متبصرا ، ووعدك بالجنة وكان لك مبشرا ، فيا من يـدعي حبه وقد كذب في دعواه وافترى ، اين موافقتك لافعاله ، اين اتباعك لاعماله. واقواله ، انك والله لا تقفوا من اثره اثرا ، اما بلغك انه كان يبيت من الجوع طاويا ، ويصبح من التهجد ذاويا ، ومن القيام خاويا ، وقد عرضت عليـه الكنوز فلم يرض لها نظرا ، كان يقطع الليل سهرا ، ويبسط لمولاه كفـا مفتقرا ، وينكسر راسه معتذرا ، ويسال في خلوته لامته ان تدخل الجـنـة زمـرا ، وانـشـدوا

يا سائقا يطوي السباسب والفـلا	مهـلا فان الخير في ام القـرا
لا تنزلـن بغير يثرب انـهـا	سطعت بأنوار الـرسول كما ترا
عجبا لتـربتهـا تداس ولو درى	الماشي بها ما داس مسكا اذفرا
شوقي لتلك الارض شوق مولـه	ولـع البكاء بطرفـه فاستعبـرا
ذو صبوة مـا هب ريـح هواكـم	الا وحن لارجهـا وتـذكـرا
يهـوى الضريح ويشتهي لوزاره	ويـود ذاك انـه لـو قـدرا
يا عيشنـا الماضي القديم بيثرب	خلقت عنـدي حـسرة وتفطـرا
ترى يساعدني الزمان ونلتقـي	ويعود غصن العيش غصنا اخضرا
وافوز بـالحرم الشريف فـانـه	حرم ضيـاء صباحه قـد اسفـرا
وامرغ الخدين في الارض التـي	اختار مدفنـه بهـا وتخيـرا
هي خير ارض شرفت وتقـدست	بحلول من هو في الورى خير الورا
المصطفى المختار اكرم مرسـل	للعالمين وخير من وطيء الثرا

هو الذي ظهرت مفاخره فقل ما شئت عنه محدثا ومخبرا

من كفه نبع الماء الزلال وعاد من بين الاصابع سائلا متفجرا

وكذاك عين قتادة قد ردها بعد العمى فرأى بها وتبصرا

واتى لاخمصه البعير مقبلا وشكا اليه وقد أطال وأكثرا

نسجت عليه العنكبوت ببابه من بعد ذلك للبرية لا يرا

وكذاك اشجار الفلاة انت له سعيا وانكاري على من انكرا

وجريدة رجعت بكف محمد سيفا وعاد كما علمت مجوهرا

ورفاعة نقل الحديث معنعنا وبكل بما اخبرته لك اخبرا

وعليه سلمت الغزالة مثل ما ابدا الغزال له السلام بلا مرا

والشاة لما اعجفت وهزالها بالجسم اصبح مسقما ومغيرا

عجزت عن المرعى فلم ترع وقد طوي الفؤاد من الطوى وتضمرا

وامد راحته على ضرع لها فجرى وسح لمزنه وتحدرا

وله حنين الجزع اعظم شاهد فاشهد ودع من قال زورا وافترا

وكذا ذراع الشاة خاطبه فان انكرت فقد فعلت المنكرا

والذئب جاء الى النبي محمد قصدا ومرغ خده فوق الثرا

وبتفله في البئر بعد ملوحة من ذاق منها ذاق حلوا مسكرا

وانشق في افق السماء لاحمد قمر وخر من الثريا للثرا

والغار فيه عجائب مشهورة ظهرت وحق لمثله ان تظهرا

واتاه جبريل الامين باذن من خلق الخلائق كيف شاء وصورا

ناداه قم وارق البراق باذن من رفع الطباق فانت اكرم من سرا

واذا الصباح تلمحت انواره فلتحمدن هناك عاقبة السرا

رقى على متن البراق وجال في الملكوت ليلا والضحى ما أسفرا

وبسائر الاملاك صلى قائما شكرا وسبح ربه واستغفرا

ثم انتهى للمنتهي من سدرة والصدر حيث اقام زاد تصدرا

ولاحمد جبريل قام مخاطبا فسرى سيرا سريعا فأكثرا

فتقدم المختار وهو مقدم دون الانام ومن عداه تاخرا

قطع المسافة والمغامرة التي وقف التفكر دونها وتحيرا

ما زال اذ سمع الخطاب فلا تكن فيما سمعت مقدما ومؤخرا

والله خص محمدا بسلامة لما رقى ولقد رقى اعلى الذرا

فهو البشير الشاهد العلم الذي للناس انذر حين جاء وبشرا

قسمـا لقد اعطي مواهب لم تكن لسواه فافهم سرهـا وتدبـرا
الله اعطاه الفـضائـل كلهـا وانالـه ما قد انـال واكثـرا
في حضرة الملكوت بـان محـله ولقد حوى قـدرا هناك ومفخـرا
وعليه قد دارت كؤوس مـحـبـة وبها تخـصص وحده دون الورى
هبت على الاكوان منها نفـخـة فتمايلت طربـا وخر لها حـرا
من كان ساقيه الحبيب فكيف لا يزداد شكـرا في الوجود لما يرا
طوبي لمن قد ذاق منها قـطـرة ولو انها بالكون اجمع تشتـرى
هي خمرة العهد القديم فمن حشا الاحشـا تكامل عقله وتجوهـرا
قوموا ندامي الراح في غسق الدجى فحبيبكم كشف الحجاب لمن يـرا
فلحانها جدوا المسير وشمـروا فلقـد يفوز بشربهـا من شمـرا
بالسكر اقوام لـه صلحوا لقـد نـالوا نصيبا من رضاه مـوفـرا
قطعوا العلائق من سواه تلـذذا بـسواه حتى العسر صار ميسرا
باعوا الذي يفني بما يبقى فقـد ربحت تجارتهـم ونعم المشتـرا
وجميع ما نالوا بجـاه مـحـمد وبجاهه محي الذي قـد سطـرا
صلى عليه الله ما اخترق الفـلا ركب تحدر في المسير ووعـرا
وعليه صلى الله جـل جـلالـه ما أم ركب في الدجـى أم القرا
وعليه صلى الله ما بلغ الضيـا واضـاء قنديـل الصباح ونـورا

وفي كتاب الشفا لابن سبوع رحمه الله ان بعض العلماء قال ومما خص الله به نبيه صلى الله عليه وسلم من الآيات الظاهرة ، والكلمات الزاهرة ، الشعاع الذي يرى فوق المدينة كالاكليل يلوح من مواضع لا يخفى على من ينـظـر اليه وهذه كرامة افرد الله بها المدينة دون سائر البلدان ، شعر في المعنى :

سقى طيبة صوب الغمام فرواها فما تنعم الارواح الا بـذكـراهـا
واهدى حياة للنفوس نسيمهـا بأطيب من أنفاس داريـن رياها
الا انها مغنى الرسالة والهـدى ومطمح آمـال الانـام ومرماهـا
تخير منها الله اشرف بـقـعـة فاثرهـا بالهاشمي وحـبـاهـا
باعلاهم قدرا واسطعـهم سنـا وانفسهم نفـسا واعظمهم جاهـا
فكان اليها في الحياة مهاجـرا وطاب بـه بعد المنيـة مثـواهـا
تبـواها حيـا وميتا ولم يـزل يحب مغانيهـا الكرام ويهـواها

وقد شعرت بين البقاع بفضلها ... كما شعرت بين النجوم ثرياها
فيا لحديث عن معاهدها جرى ... فهيج اشواقا وطيب افواها
معاهد لم يعهد سواها ولم يزل ... يؤم بها الروح الامين ويغشاها
فيالت شعري هل يعين على النوى ... فلاة وبحر سفنها ومطاياها
فالقي عصى التسيار في ارض طيبة ... ليبهج نفسي حجها ليل مسعاها
امرغ خدي في ثرى عرصاتها ... واسكب فيها من مدامعي امواها
صلاة وتسليم وروح وراحة ... عليها وحيا الله من حل مغناها
وحق لمثلي ان يقول لمثلها ... سقى دارها در الغمام فرواها

وبين المدينة المكرمة عن يمين الطريق العين المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم وعليها بنيان مستدير ومنبع العين في وسطه كانه الحوض المستطيل ، وتحته سقايتان مستطيلتان وقد ضرب بين كل سقاية وبين الحوض المذكور بحاجز ، ويهبط اليها على ادراج وهي خمسة وعشرون درجا ، وماء هذا العين المبارك كثير لو ورده اهل الارض لكفاهم ببركة النبي صلى الله عليه وسلم .

والمدينة المكرمة متسعة الأرجاء مشرقة الانحاء ، طيبة الاهواء ، كثيرة النخيل والماء ، حسنة الترتيب والبناء ، لم ار قط أنور من رباها ، ولا أعبق من شذاها ، ولا أشرق من ضياها ، ولا اطيب من نورها ، ولا أرق حاشية من اديمها ، ولا اعلق بنياط القلب من ارجها وشيمها ، شعر :

احب الحمى من اجل من سكن الحمى ... ومن اجل من فيها تحب المنازل

الازم ذلك الحرم الشريف ، مساء وصباحا ، وانعم في روضة الجنة غدوا ورواحا ، وارسل مع الاحداق مدرارا ، واناجي الحبيب سرا وجهارا ، ليلا ونهارا ، فتهب نفحات القبول من ذلك الجناب ، وتنفح ارواح الرحمة ، فاجتلي المحبوب من وراء حجاب ، ويزدحم الناس على الروضة المقدسة ، فتتلقاهم جنات عدن مفتحة لهم الابواب ، ولسان الحال يقول :

وسعادى تسعدنا بروضات الرضى ... ويعمنا منها سنا وسناء

لهفي على ذاك الزمان وطيبه ... فلفقده انا والخليل سواء
أمبشرى برجوعه لك عوض ... وجميع ما ملكت يداي فداء

ليلة تتجدد لنا من اللطائف والتحف ، والطوائف والزلف ما تقصر الالسن عن نعتها ، وما نرى من آية الا وهي أكبر من اختها ، وفي ذلك يجب ان يقال

طابت بك الامصار والاعصار ... وترنحت بحديثك الاطيار
وتضوعت انفاس طيبة مثل ما ... ملئت بنور جمالك الاقطار
فعلا الوجود جلالة ونضارة ... وعلاه منك سكينة ووقار
وتروحت أرواح اشباح الورى ... وتقدست بشهودك الاسرار
وكذلك الاصوات منك تنغمت ... وتمتعت بجمالك الابصار

ولما كان السير عن ذلك الحمى ، واشام حاد كان بالامس أتهما ، اجريت الدموع ، وودعت الهجوع ، واضطرمت نار الاشتياق بين الجوانح والضلوع، وانقطع بي الرجا وضاقت علي الارجا ، وانشدوا

قالوا الرحيل وما ثملت باللقا ... عيني ولا امتلات بغير مدامعي
فتيقنت روحي بان منالهم ... ان يصدف الحادي اشد مصارعي
ووقفت بين تامل وتلملم ... يبدو السرور على فؤادي الجازع
حيران لا ادري لقرب رائق ... اذري المدامع أم لبعد رائع

ذكر الوداع وما يجده الزوار من الم فرقه صلى الله عليه وسلم

ولما بلغنا من زيارة احمد ... منانا حمدنا ربنا وشكرناه
ومن بعد هذا صاح بالبين صائح ... وقال ارحلوا فياليتنا ما اطعناه
سمعنا له صوتا بتشتيت شملنا ... فيا ما امر الصوت حين سمعناه
وقمنا نؤم المصطفى لوداعه ... ولا دمع الا للوداع صببناه

وودعنا الروضة المشرفة المكرمة ، والتربة المقدسة المعظمة ، يوم الاثنين السابع من المحرم السنة المذكورة بعد صلاة الظهر فياله وداعا ، ذابت لـه الاجساد ، والتهبت بـه الاكباد وكاد يتصدع له الجماد ، شعر

قد فرق بيننا قضاء الـبـاري فالقـلـب لـذا معـذب بـالنـار
يا رب فجد بجـمع الشمل بهـم يا سميع يا عليـم بـالاسـرار

وودعته وانصرفت كئيبا من الفراق ، شديد الالتفـات نحوه بـالاشـواق ولـلـه در القـائـل

كم قطع البين احشائي واوصالي كانما الدهر بالتفريق اوصى لـي
وحلت في ذعرى في اوحال بينكم فمرسل البين بالاوصاب أوصالي
احباب قلبي وما الاحباب غيركم من ذا الذي بعـدكم أرجو لآمالي
كانني طائـر قصـت قـوادمـه في فخ حـزن وأوصاب وبلبالي
يا قاطنين ومالـي عنهـم عوض هل نظرة ترتجي من بعد ترحالي
آه لـبـعـدكـم اه لفـرقـتـكـم عز العزاء فليس الصبر يأوى لي
ان تسالوا كيف حالي بعد فرقتكم فلست أعلم وايم الله مـا حالـي

وما ظنك بموقف يناجى بالتوديع ، فيه سيد المرسلين ، وخاتم النبيئيـن ، ورسول رب العالمين ، وخيرة خلق الله أجمعين ، انه لموقف تنتزع فـيـه الارواح انتزاعا ، وترى الخلق من هو له سراعا ، كل يقاسي مرارة مذاقه ، ويبوح لربه باشواقه ، ولا طاقة لاحد على تجـرع كاس فراقه ، وأنشدوا

ولقـد ندمت على تفرق شملنـا اسفا ففاض الدمـع من اجفانـي
ونذرت نذرا ان ظفرت بعـودة لاعـدت اذكر فرقـة بـلسـانـي

وقـال اخـر في المعنـى

ءاه لطيف ايام بانسك قد مضت وبروق ليال لولا قربك ما اومضت
ما كنت اعرف في الهوى مقدارها حتى رحلت وبالاسى المبرح عوضت
كيف السبيل الى اعادة مثلهـا وهي التي بالبعد قلبـي أمرضت

وقــال آخــــر :

لــو كان ملك عالما بـذوي الهوى ... ومحلــه مــن أضلــع العشـــاق
ما عذب العشاق الا بـالهـــوى ... فاذا استغاثـوا اغاثهم بـفـراق

ومنــه قــول آخــر

يوم الفراق لقد خلقت طويــــلا ... لم تبق لي صبرا ولا معــقــولا
لو حان مرتاد المنيـة لم يجـد ... غير الفراق على النفـوس دليلا
قالوا الرحيل فما شككت بـأنهـا ... نفس عن الدنيـا تريد رحيـــلا
الصبـر اجمل غيـر أن تلـــذذي ... في الحب أحرى أن يـكون جميلا
أتظنني اجـد السبيل الى العـزا ... وجد الحمام اذا الـي سبيـــلا
رد الجـموح الصعب أيسر مطلب ... من رد دمع قـد أصاب مسيـــلا
اني تاملت النـوى فوجـدتـهـا ... سيفا علي مـع الهـوى مـسلولا

ومنــه قــول الاخــر

استنجد الدموع فتـأتي ولا تابى ... وأرسل الاشجان الـى الاجفـــان
فتسلبـهـا المـنـام سلـبـــا ... وأقول لقلبي استعد للاحزان والاشجان
على مفارقة هذه الاوطان وللدمع ... أجرى فلهذا اليوم صنتك في الاجفان

وقـــال ءاخـــر

لبكاء هذا اليوم صنت مدامعـــي ... وكذا العزيز لكل خـطب يـدخر
يا ساكني وادي العقيق فدتـكـم ... عين مدامعـهـا عقيق احـمـــر
بنتـم فما استغربت بعد حديثكم ... لفظي ولم يحسن لعيني منظـــر

ومنــه قـــول ءاخـــر

النوم لبعدكم على الطرف حـرام ... والصب أسير لوعـة حلف سقام
كانت بوصلكم تلتـذ الايـــــام ... غبتـم فعلى لـذة العيـش سلام

وقـــال ءاخـــر

سلي نجوم الدجى يا طلعة القمر   عن مدمعي كيف يرمي فيك بالسهر
ايه بعيشك ماذا انت صانعة   من الجميل فهذا ءاخر العمر

ومنه

ومدت اكف للوداع تصافحت   وكادت عيون للفراق تسيل
ولا بد للوافين من دمع لوعة   اذا ما خليل بان منه خليل

فوا اسفاه ما اصبر قلبي على هذا الوداع ، وتحمله من دعائه ما لا يستطاع ،

عجب لقلبي يوم راعيت النوى   ودنا وداعك كيف لم يتفطر

وللخطيب الزاهد ابي عبد الله بن برطله المرسي وقد ضمن اوائلها اسمه احمد صلى الله عليه وسلم انشدها ابو عبد الله بن رشيد في رحلته ومن خطه نقلت

أرى العمر يفنى والرجاء طويل   وليس الى قرب الحبيب سبيل
حباه اله الخلق احسن سيرة   فما الصبر عن ذاك الجمال جميل
متى يشتفي قلبي بلثم ترابه   ويسمح دهر لا يزال بخيل
دللت عليه في أوائل اسطري   فذاك نبي مصطفى ورسول

بوانا الله تعالى منزل الكرامة ، بزيارة هذا النبي الكريم ، واحلنا من فضله في جواره دار المقامة ، انه ذو الفضل العظيم ، شعر

ايا زينة الايام هل لك عودة   ويا دارة الاحسان هل فيك مطمع
ويا راحة المشتاق فارحم صبابتي   ويا بارق الاحباب هل أنت تلمع
ويا مانح الاسرار عرج بمهجتي   فان فؤادي من سنائك بلقع
فياليت شعري هل الى من احبه   تردد وصل أو بشملي يجمع

الرحيل عن المدينة المنورة

ثم رحلنا من المدينة النبوية المشرفة ، وسرنا مع الركب المغربي

عادتنا من وصل السرى وحط المطي ، وانا اجد نسيم طيبة الطيبة اعبق من العنبر ، وانكى من فتيت المسك الاذفر ، وانشـدوا

مـا فارق مـن ذاك الجمـال وذاق طعم الهجـر بعد الوصـال

وقـال ءاخر في المعنـى :

ايهـا الرائـح المـجد تحمـل حـاجة للمـقـيم المشتـاق
واقرا عني السلام اهـل المصلى وبلاغ السلام بعـض التـلاق
واذا ما جزت بالخيـف فاشهـد ان قلبي الـيـه بـالاشـواق
ضاع قلبي فانشده لي بين جمع بمنى عند بعض تلـك الحـداق
وابك عنـي فطال ما كنـت من قبـل أعيـر الـدمـوع للعشـاق

وكان يوم الترحل منها يوم الاثنين السابع من المحرم السنة المذكورةوايام الاقامة بها ثلاثة ايام ، شعـر :

يا مرتحلا الـى المصلى غلسـا ان جزت بشادن الحمى قف نفسا
باللـه واعرض غـرامي فعسـى تستعطف قـلبه فقد قيل قـسـا

فخرج اهل المدينة مشيعين لنـا كبارا وصغارا ، باكيـن متحسرين عـلـى انفصالنا عنهم بعد الالفة الايام القلائل ، وخوفا علينا من غوائل الـطـريق لاننا شرذمة قليلة ، وعصابة يسيـرة ، لانفصالنا عن الركب التونسي وهـو ركب كبير ، وذهب معه جل اصحابنا ، وبين محط محلتهم والمـدينة اعراب تنهب الرفاق ، وتأكل الرماق ، فتوادعنا وانفصلنا عنهم ولسان الحال يقول :

لسانـي يمجدكم وقلبي يـحبكـم ولا رات عيني مليحـا سواكـم
لو قيـل لي ماذا على الله تشتهي لقلـت رضى الرحمن ثم رضاكم

فما احلى شمائلهم رضي الله عنهم، وما اكرم على الله اخلاقهم، وكيف وقد جاوروا الحبيب صاحب الدرع والقضيب ، راكب البراق والنجيب ، عـليه صلوات الله وسلامه ما حن مشتاق لزيارة مكة ويثرب ، شعـر :

ما اصعب فراقكم مما القـــى		أبكي اسفا ودمعتي لا تـرقـــا
كم اتعب في هواكم كم أشقـــى		ما املي من بعدكم ان ابـقـــا

وقال ءاخـر فـي المعـنـي

لو كنت املك طرفي ما نظرت به		من بعد فرقتكم الـــى احـــد
ولست أعتده من بعدكم نـظـرا		لانه نـظـر من ناظر رمـــد

وقال ءاخـر فـي المعـنـي

تانوا ففي طي النسيـم وسائـــل		وميلوا فان البان بالسيح مائـل
وما مال الا للسؤال وعـنــده		حديـث فـاستحدثـوه وسـائلوا
روى خبرا عن بان نعمان مرسلا		واسند عنه ما حكته الشمائـل
خذوا عن يمين البدر قد بلغ الهوى		أواخر لم يدرك لـهـن اوائـــل
وقصوا غرامي للنسيـم فـانــه		غريمي اذا ما هيجتني البـلابـل
وميلوا الى رمل الحمى عل سربه		تلاحظـكـم غـزلانـه وتغــازل
وان سؤالي للنسيـم عـلالــة		كما ان دمعي للمنازل سابـــل

وانفصلنا أيضا عن صاحب ركبنا الحاج الأبر ، العماد الأكبر ، سيدي محمد بن عبد العزيز بن سيدي محمـد الكبير ، نجـل الصالح ، والقـدوة الناصح ، سيدي أبي عمرو ، نفعنا الله به وأقام بالحرمين الشريفين مجاورا ، فشددنا الازر ، وتاهبنا لدفع الصائل ، وقتال الاعراب حيث انفصلنا عن سور المدينة، فسرنا في أمن الله تعالى وفي حماية نبيه صلى الله عليه وسلم ، فلم نــر والحمد لله ما يغير ، ولا لقينا أعرابيا مشوشا ولا مكدرا حتى بلغنا المحلة التونسية ، عند الغروب ، وألقت النفوس الكآبة عنها وزالت الكـروب ، وقـد قـدم علينا الشيخ المذكور حيث تاخر عنا وجاور العلم المشهور ، ابن عمه الاصيل ، البركة الاثيل ، ذا المفاخر العلية ، والهمم الرفيعة السنية ، والاخلاق الطيبة الرضية ، السيد الخير ، الكوكب النير ، الخلاصة البركة ، الميمون السكون والحركة ، أبا عبد الله سيدي محمد بن سيدي أحمد ، ابن السيد الحاج الأبر ، الشهير الصيت والقـدر ، الـولي الصالح سيـدي عـبد الواحد ، بن أبي عمرو ، فظهرت له بركة عظيمة ، وكرامات جسيمة ، وكـان

ابقاه الله ، مع ما كان فيه من حالة السفر ، ومقاساة القـر والحـر ، كثير الصيام ، ملازما للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فـي الظـعـان والمقام ، كان يختم دلائل الخيرات في كل يوم مرتين ، ابقاه الله بـطريـق الحرم الشريف سالكا ، ولازمة الخيرات ماسكا ، ولمكارم الاخلاق مالكا وفي مساجد العبادات نـاسكـا

فاول منزلة حط بها الركب من المدينة آبـار مولانا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فاجتمعت المغاربة وتالفت كلها هنالك واحتملنا الماء من الآبار ، ثم تخلينا عن الـدار شعـــر

ايا عنبات البان من ايمن الحمى	رعا الله عيشا في حماك ربحناه
سرقناه من ريب الزمان وصرفه	وكما سرقنا العيش منه سرقناه
وجاءت جيوش البينيقدمها القضا	فينثر شمـلا بالحجاز نظمنـــاه

فانتقلنا الى قبور الشهداء ، بين جبال وكدى ، ناخذ من الليل نصفه في كل مرحلة للاكل والشرب والاستراحة ثم لبدر، ثم لدار الوقدة، ثم للينبوع، فاحتملنا منه الازواد ، وتأهبت الانجاد ، وسرنا والقيظ يشتد حره والهجير يتلظـى جمره ، ثم لسبع وعرات ثم لماء النبط ثم للعقبة السوداء ثم للحورة ثـــم لبئر الدركين ، ثم لقصبة الوجه ، ثم لبئر عنتر ، ثم للازلم ثم لشق العجـوز ثم لقصبة المويلح مرسى على شاطيء البحر ، فهنالك وجدنا أهل مصر في محلة عظيمة وجيش حملت من الازواد ما تشتهيه الانفس ، فقاموا للفـرح على ساق ، وتلقونا على شوق واشتياق ، فنزلنا بمقربة منهم ، ونفقنا مـا نحتـاج اليه فانصرفنا عنهم لعيون القصب ، بعد تعب ونصب ، فزرنا قبـر الولي الصالح سيدي سلامة وقد بنيت عليه قبة هنالك ، ثم لمقابر سيـدنـا شعيب نزلناها صباحا في اول النهار فالتقينا هنالك بشرذمة من العرب قـد جاؤوا مرمدين (1) بالطعام والتمر واللبن والغنم فبعنا لهم وابتعنا منهم وأخذنا معهم الى العصر فارتحلنـــا

---

1) مرمدين أي مـسرعين يعـدون عدو النعام والفعل ارمد بتشديد الـدال.

ثم لام العظام ثم لمويه المعيز ثم وردنا العقبة الكبرى ولها قصبة على ساحل البحر وهي التي تسمى ـ عقبة ايلة ـ يجتمع عندها الناس من الشام وغزة ، ومصر وغيرها للقاء الركبــان ، والسؤال عن الاحبــاب والاخوان، شــعـــــر

اعارض ركب الحجاز لعلي اسائله	متى عـهـده بـايام جـمــــع
واستملي حديث من سكن الخيــــ	ـف ولا تكتـبـاه الا بـدمـــع
ان فاتني ان أرى الديار بطرفـي	فلعـلي أرى الـديـار بسـمـع

فالتقينا بها اهل غـزة ، في رفاهيـة وعزة ، حملت مـن انواع الفواكــه ، واصناف المطاعم متشابها وغير متشابه ، فبعنا وابتعنا وقام الشيخ النفاتي باول ليلة حططنا هنالك ونادى بالمحلة السعيدة ، الا ان المقام هنا عندنـا بهذا المكان ثلاثة ايام مكيدة منه حفظه الله تعالى ، لان هذه العقبة مـحل اللصوص ، والتعرض للركائب لنهب الاموال وقتل النفوس ، فبتنا ليلتنا هذه الى عصر غدها فانتقلنا الى شاطيء البحر بظهر العقبة فالتحق بنا صاحب العقبة مع جماعة من اشياخ العرب فقال ما بالكم انتقلتم ، وبدالكـم عمـا عزمتم ، فقال الشيخ أردنا أن نتهيـأ لقطع العقبـة ، ومدافعة اللصوص ، والظلمة ، فاخرج حفظه الله خزانة البارود وامر بتفريقه على الرماة فـــي المحلة فتشجع وشجع وأظهر الشدة وتورع ، فرأى منهم الاعراب ما افجعهم، ورغبوا في صحبتنا حتى نخرج من بلدهم فأجابهم الشيخ الى ذلك ، وارتحل من هنالك فكان أصحابنا هم ساقة الركب لانه مظنة الاخذ والنهب ، واهـل تونس امامه ، لانه مظنة السلامة ، فشددنا الازر ـ فقطعنا والحمد لله تلك العقبة ، ولم نر من فضل الله نكبة ، فحط الركب في فضاء متسع وخلع على الاعراب ما رءاه من الخلع فعادوا بسلام ، وسار الركب امام ، لبير العلايـة ثم لقصبة النخيل فتلقانا بها اهل مصر على الهيئة الاولى ثم لوادي الخروبة ثم لوادي الرمل ثم لقصبة عجرود وقد قاربنا الديار المصرية وهبت علينـا نسماتها الذكية فوجدنا بأحواز القصبة وفدا عظيما حملت من المطاعـــم والمشارب ما تشتهيه الانفس ، ولا تحصره الاقلام في الطروس ، فاخـذت الناس مشتهاها ، وبلغت من الاقوات مناها ، ثم للدار الحمرا ، ثم معطشة

غبرا ، ثم للبركة فحططنا بها الرحال بعد صلاة العشاء وليس في الركب ما يقتاته ، فما وقفت الاخبية ، ولاحطت المطية حتى جاءت المطاعم والازواد ، وجادت بما عندها البلاد ، فالحمد لله على بلوغ المراد ، فبتنا ليلتنا في عيش هني ، الى طلوع الفجر من يوم الجمعة الثاني من صفر .

دخول مصر والقاهرة

ثم ارتحلنا ودخلنا مصر بكرة يوم الجمعة الثاني من صفر (1) السنة المذكورة ، فظن اهل مصر اننا لم نحج للوفود عليهم قبل الوقت المالوف ، والزمان المعروف ، وظنوا انها قافلة وردت ، وجماعة من البوادي وفدت ، فساروا يسألون عن القافلة ، ويستغربون ذلك حتى اخبروا بالخبر اليقين ، من اصحاب ريف مصر كانوا لنا مصاحبين ، وسالوا عن اخبار الركب المصري أين حل ، وبالفئة الباغية على البيت الحرام ما فعل ، فافدناهم الخبر اليقين ، ان الركب المصري وغيره لمكة قطين ، وان الفئة الباغية نفذوا لوادي العباس ، عن خيبة وانتكاس ، وتحصنوا بقصبة هناك وان الركائب المصرية والشامية وغيرهما في حال جد واحتفال ، لجهاد العدو المضل الضال ، ففي جوابنا كل الفرح ، وطلبوا منا الدعاء ، فافترق الناس بالبلد وقصدنا نحن وكالة البطاقية ، بقرب المارستان العظيم بالقاهرة فاجتمع جمع وافر من أهل الحاضرة الحمرا ، المحروسة بالله مراكش الغرا، منهم الشيخ البركة ، سيدي محمد بن سيدي أحمد بن سيدي عبد الواحد نجل الولي الصالح سيدي أبي عمرو نفعنا الله بهم والصاحب النجيب ، الحسيب ، الاريب ، الفقيه النجيب ، سيدي الحاج محمد بن الفقيه النجيب ، سيدي الحاج محمد بن الفقيه سيدي احمد الخطيب ومن انضاف الينا من الاصحاب الجلة الانجاد ، وفقنا الله واياهم لمعالم الخير والرشاد ، اقمنا بالقاهرة خمسة وخمسين يوما في عيش رغد ، ونعمة شاملة لا يحصرها العد .

---

1) الموافق 19 غشت 1632 الا أن يوم الجمعة كان الثالث من صفر سنة 1042.

ذكر كسر النيل وصفته

ووافينا في أيام اقامتنا كسر النيل وذلك ان بحر النيل يمتلىء امتلاء شديدا ، ويفيض فيضانا عظيما ، فاذا بلغ المنتهى ، كسروه في رجل من ارجله يشق البلاد ويخرج عنها لارض اخرى فيصنعون لذلك مهرجانا عظيما ومتنزهات يخرجون كلهم بمضاربهم وقواربهم ويركبون على ظهر النيل ياتون في ذلك بعجائب وغرائب متزينين والاحتفال سبعة ايام بلياليها حتى لم تبق في البلد آلة من آلات المطربات والسماع الا وهي على وجه البحر والشمع الكثير والمصابيح موقدة حتى يعود الليل نهارا ، والبحر كله يوقد نارا ، وعلى شاطىء البحر من المصابيح المتلونة ومعاجين السكر التي لا تضبط بأوصاف والناس في زي عظيم ، كأنهم في جنات النعيم ، فبتنا نحن معهم ليلة في مسجد بمصر العتيق ، على شاطىء النيل تضرب الامواج بحيطانه ورأينا من ذلك العجب العجاب

ومن جملة ما رأينا بالبحر أنهم يصنعون صومعة عالية من العود في وسط قارب كبير ويحدقونها بمصابيح الزجاج من أسفلها الى اعلاها يجتمع فيها ما ينيف على الفي مصباح توقد كلها من العصر الى طلوع الشمس ويقذفون بها في البحر بين السفن هذا ديدنهم سبعة أيام ويسمون تلك المنار العروسة

وفي اليوم السابع يكون كسر النيل ينادون في الاسواق حتى لا يبقى أحد يزيلون السد الذي كان يحصر الماء فيه وتدخله السفن حتى تخرج من الناحية الاخرى من مصر وحينئذ ينزلون

ولم يكن لنا مدة الاقامة بمصر الا ملازمة الفقيه الكبير ، العلامة النحرير، العلم الشهير ، ذي المجلس والمناقب السنية ، والاخلاق الرضية سيدي علي الأجهوري ابقى الله بمنه علاه ، واخصب فيما يرضيه روض مرعاه يذكرك سيرة السلف الصالح ، بعلمه الموهوب ، وعقله الراجح ، ما تراه أو تلقاه، الا ويروعك دينه وتقاه ، ولا تبصر مجلسه او ممشاه ، الا وتخافه وتخشاه .

الخروج من القاهرة

ثم بعد أن تكاملت لنا من الايام ثمانية وأربعون يوما وأخذنا فـي أهبة السفر لا قضاء الخمسة والخمسين ، ومدت الركائث المصرية ، والـجيوش المجهزة ، لدفع الفئة الباغية ، بعد قضاء الاوطار ، وأخذ الثار ، واصـلاح البلاد والعباد فنودي في اقطار القاهرة ، ونواحيها الا فهذه أيام الـزينة ، فاحتفلوا اليها ، فما تم النداء حتى زينت المدينة بأحسن زينة ، وكسـيـت الاسواق بأنواع الحرير ا مدبج ، والمقاصير والستور والحياطي (1) ، وبرزت اليواقيت ، والجواهر ، ونصبت المراتب ، وعلقت في الاسواق والمشارع مصابيح الزجاج حتى عاد الليل نهارا ، ومن أعجب ما رأيته فـي بعض المصابيح أنها مملوءة ويجعل فيها حوت صغير ويجعل على الماء زيت يوقد عليه السراج والحوت يلعب في الماء بأسفله ، والحاصل أن المـحاسن فـي ذلك راقت وصفا واتسقت رصفا ، وكان في ذلك مهرجان عظيم ، وفرح جسيم، وسبب هذه الزينة اكراما واعظاما واجلالا لدخول هذا الـركب الموفـور ، والجيش المنصور ، وتلقيهم بالجذل والسرور ، وفي اليوم الاخر من أيـام الزينة وادعنا البلاد وأهلها ، وخلفنا الديار المصرية وأهلها ، وشددنا المطي للرحيل ، يـوم الاحد السابع من ربيع النبـوي السنـة المذكورة وفـي ذلك يـقـــال ، شـعـــر

يـراد مـن القلـب نسيانكـــم وتأبـى الطبـاع علـى الناقـــل
ولـو زلتـم ثـم لـم ابـككـم بكيـت على حبـي الـذابـــل
وهبـت السـلو لـمـن لامنـــي وبـت مـن الشوق في شاغـــل
كـان الجفون عـلـى مقـلـتي ثياب شققـن عـلـى ثـاكـــل

فعبرنا النيل وحططنا بكرداسة ، ملحوظين بعين الحراسة ، ولسان الحـال

---

(1) الحياطي جمع حيطي وهو ستارة من ديباج ملون تعلق عـلى الحيطان ومـن هنا تسميتها وأصل اللفظة حائطي ولغة ابن مليح لغـة عربية سليمة فصيحة ولكنه لا يستنكف من استعمال الالفاظ المغربية كالزليج والحيطي ونحوهما .

يقول :

ابدا تحن اليكم الارواح ووصالكم ريحانها والراح
وقلوب اهل ودادكم تشتاقكم والى جميل جمالكم ترتاح

فاقمنا بكرداسة سبعة عشر يوما ليلتحق بنا بعض رفقائنا المغاربة كانوا تاخروا مع الركب المصري حتى قضوا الاغراض فالتحقوا بنا فانتقلنا في اليوم الرابع والعشرين من الشهر المذكور لمنزل صحرا ، شعر

ما ناح فوق الغصون الهزار الا تشوقت لتلك الديار
ولاسرى من نحوكم بارق الا واجريت الدموع الغزار
وا اسفي أين زمان الحمى وأين هاتيك الليالي القصار
واحرى قلبي متى نلتقي وينطفي من داخل القلب نار
واقول للنفس ابشري باللقا فقد واصل الحب وقر القرار

ثم انتقلنا للرهبان بدير فيه عباد النصارى فسرنا في طريقنا الاولى الى ان وصلنا بلاد سيوة ثم الى وجلة فاضافنا اميرها عمر من طعام بلده والتمر فاقمنا بها سبعة ايام فاصلحنا منها الاحوال ، وجددنا منها الترحال ، وسرنا بعزم غير مرتاب ، وسير يطوي البيداء طي السجل للكتاب ، الى المورد المعروف بابي نائم فتخلينا عن الطريق التي سلكناها اولا ، وهي منزلة زلة والفقها وانحرفنا لطريق الهاروج لانها اقرب من الاولى وهي طريق الفقهاء وزلة الا انها لا يسلكها الركب الا اذا امطرت لكونها ليس بها آبار الا ماء يجمع في البطون من ماء المطر ، وهي أرض سوداء ، حافية جرداء ، ليس فيها انس لانيس ، ولا حس لحسيس ، كثيرة السواد ، كانما صبغ لونها بمداد ، كريهة المنظر ، قبيحة المخبر ، ما دخلها احد الا ودهش لقلة مائها وحروشتها

ثم بعدها الى الهاروج الابيض فسرنا نطوي المراحل ، ونقطع المنازل ، الى ان وصلنا بلاد فزان ، فنزلنا تلك الليلة في بعض قراها ، واغتنمنا من كرمائها قراها ، ثم نهضنا للرحيل وادلجنا ، وماعجنا على غير المسير ولا عرجنا ، الى أن وصلنا الى قصبة السلطان الجليل ، الرئيس المثيل ، الابر محمد بن جميل ، فتلقانا على عادته ، وافاض علينا من كرمه ونعمته ،

فاقمنا للاستراحة عنده سبعة عشر يوما فاتحف الركب بمقدوره واتحف الشيخ كذلك فانصرفنا من بلده راضين ، ولفعله الجميل شاكرين ، ولله در القائل :

ان الولاية لا تدوم لعاقل	ان كنت تجهل ذا فاين الاول
فاغرس من الفعل الجميل مكارما	فاذا عزلت فانها لا تعزل

وقال ءاخر في المعنى

اذا كنت في امر فكن فيه محسنا	فانت قريبا راحل ثم تاركه
فكم خانت الايام ارباب دولة	وقد ملكوا اضعاف ما انت مالكه

طريق تديكلت

فسرنا الى أن وصلنا ءاخر بلاده آبارى ، متوكلين على الواحد الباري ، فاحتملنا من الاقوات والازواد ، واحتفلنا لقطع الصحرا ، فسرنا نقطع الفيافي والقفار ، ونتخلل تلك المنازل والديار ، الى أن بلغنا وادي أرسم النخل ، فانحرفنا عن الطريق الاولى وتركناها يمنة لشدة حروشتها وجدبها وبعدها عن العمران ، وسلكنا طريق تديكلت أسفل بلاد توات ، وهذه الطريق أقرب من الاولى وأسهل منها ، فبلغنا بعد ثلاثة ايام مدشرا صغيرا يقال له ـ ان صالح ـ أهلها من سامدن أحدقت به عيون ونخيل كثيرة أهلها سادات صلحاء افاضل ، تلقونا بالرحب والقبول وبالميسور من الطعام ثم لمدشر أسفله فخرجنا منه نطوي المراحل صحرا عشرة ايام فبلغنا مدشرا يقال له افران من مداشر بلاد توات بتنا فيه ليلة واحدة فارتحلنا منه مرحلتين لبلاد الشيخ عافة استابيت المتقدم الذكر اقمنا فيه سبعة عشر يوما اخذنا فيه النصف من رمضان (1) السنة المذكورة لانتظار الرفيق ، لسلوك الطريق ، لكونه مخوفا، وبالمكاره محفوفا

---

1) الموافق 26 مارس 1633

وقد وافينا بهذا الموضع سرية عظيمة جاءت من ارض الصحرا ، قعدت للساقية الحمرا ، لنهب ابل المرابط سيدي علي نجل المرابط سيدي أحمد ابن موسى نفع الله به فلم يظفروا بشيء منها وانقلبوا خائبين واتقيت الطريق لاجل ذلك فلم تتم الايام المذكورة حتى وفد علينا وفد الجراوة كنا بعثنا لهم للاقاتنا فالتقينا بهم بخنك(1)وادي الساورة وكان قد ركب هنا القائد عافةالمذكور مع اخوته حتى التقينا بالوفد المذكور بالموضع المذكور فرجع القائد عافة المذكور عنا وسرنا مع وفد الجراوة (2) نقطع البيداء والفدافد ولم نر والحمد لله الا ما يسر وتقر به العين حتى قدمنا تبلبالت فنزلنا بها ضحوة النهار فاذا باصحاب السرية المذكورة عادت من الموضع المذكور الذي قصدته وحطت بمقربة منا وهم مائة رجل وعشرة رجال منها خمسة عشر فارسا والباقي على ظهور الابل فاخبرونا أن لهم عن بلادهم خمسة وخمسين يوما قطعوها كلها جوعا الا بماء قليل وتمر فاضفناهم بثلاث وثلاثين قطعة من الطعام وباتوا ليلتهم فانفصلوا عنا مشرقين ونحن مغربون ، فسرنا مستقبلين لأرض الصحراء الجدبة القفرا ، التي تحار فيها القطا ، وتقصر عن سلوك مهامهها الخطا ليس فيها ماء ولا شجر ، ولا ما ينتفع به نعم ولا بشر ، فما زلنا نواصل السير فنعلوا ونرسب ، ونحدى ونخب ، الى ان وصلنا بلاد درعة .

---

1) بالقاف المعقودة أنظر التعليق (2) بعده

2) يكتب كراوة بالجيم تحته ثلاث نقط وهكذا لما ذكر اسم هذه القبيلة بضعة سطور قبله ـ وهكذا نراه يكتب نطق القاف المعقودة بالاساليب الثلاثة التي يستعملها المغاربة وهي القاف بثلاث نقط للكلمات العربية التي تنطق فيها القاف معقودة كالخنق مثلا ثم الجيم بثلاث نقط للكلمات العربية التي ينطق فيها الجيم قافا معقودة كالجبس والثالث الكاف فوقه ثلاث نقط للكلمات الاجنبية التي فيها قاف معقودة مثل كراوة الا أن ناسخ رحلة ابن مليح لا يلتزم هذه الفروق وانما يكتب القاف المعقودة كما يعن له بدون الرجوع الى أصل الكلمة ثم انه يجعل النقط الثلاث بالنسبة للكاف تارة من فوق وتارة من أسفل

بلاد وادي درعة أمنها الله

فدخلنا وادي درعة يوم السبت الثالث من شوال سنة اثنتين وأربعين وألف (1) واد ذو ظل ظليل وماء سلسبيل ، تنساب جداوله انسياب الأرقام ، وتختال بين حدائقه اختيال الأعاجم ، فنزلنا منها منزلا رحب فذؤه ، متسع فضاؤه، حسن المنظر ، طيب المخبر ، مياهه عذبة ، ومراتعه خصبة ، وهو مسكن بني حيون ، فخرج أرباب البلد خاشعين ، متضرعين باكين ، من الم الشوق، ينطارحون على اخفاف الابل ، ويطلبون من الركب الدعاء ، ويتبركون بمصافحتهم وتقبيل الايدي فاقمنا هنالك ثلاثة أيام للاستراحة ، فوجهنا الكتب للبلاد ، مبشرات للاهل والاولاد ، ومخبرات بقضاء الاوطار ونيل المراد فالحمد لله مسبغ النعم على العباد ولسان الحال يقول

وأعظم ما يكون الشوق يوما	اذا دنت الخيام من الخيام

وانشدوا في المعنى

ورد البشير مبشرا بقدومه	فملئت من قول البشير سرورا
تالله لو قنع البشير بمهجتي	لبذلتها ورأيت ذاك يسيرا
كأنني يعقوب من فرح به	اذ عاد من شم القميص بصيرا

فارتحلنا صاعدين مع الوادي والزمان في عنفوانه ، والربيع في ريعانه ، والروض في حسنه واحسانه ، والزهر في زهره وزهوه ، والطير في شوقه وشدوه ، والهزار قد لب ولاب ، والنور شب وشاب ، وتبسم لملاقاة الاحباب وللغصون قدود ناعمة والاطيار فوقها فاعمة ، فما زلنا ننتقل من مكان الى مكان ، حتى خرجنا وادي درعة الى بلاد ورززات ثم منها لقصبة الزينبي ثم منها لقصبة الكلاوي (2) فتلقتنا كتب الاهل والاقارب ، واستنشقنا منها أرج الحبائب ، ولسان الحال يقول

---

1) الموافق 13 أبريل 1633 أن يوم السبت كان خامس شوال لا ثالثه

2) بالقاف المعقودة .

وافى الكتاب كان مسكا خطــــه	والقلب من فرط الصبابة يخـفق
والياسمين حكته قطعة صفحـــة	يبـدى روائـحـه اذ يستنشـــق
فقـراتـه ومـدامعـي منهـلـــة	واللفظ در قـد حكاه المنطــق
كانني طـام تـوقـد صـــدره	وكـانـه مـزن معيـن مغـــرق
يا كاتبـا يشكو بكثرة شوقــه	وانـا الـى لقيـاه منـه اشوق
لا تجزعـن مـن البعـاد ووقعه	فلكـم بعيـد بـالتوصـل يلحـق
واذا المقادير ساعـدت لمقـدر	فلـه من الضيق التـوسع يلحق

كلمات مأثورة في التصوف والزهد لسيدي أبي عمرو القسطار

ثم انحدرنا من الجبل ، والنفوس مستبشرة ببلوغ الامل ، وواصلنا السير حتى وصلنا تكانة ، فهنالك تلقتنا الاهل والاحباب ، بوجه البشر والترحاب ، قائلين اهلا بكم يا زائرين ومرحبا ، فأول من لقيناه أولاد الشيخ العـارف ، الجزل العوارف ، العابد الناسك ، الآخذ بنواصي المريدين الى أحـسـن المسالك ، سيدي أبـي عمرو القسطاري ، كان هذا الولي نفعنا الله بـه أحد مشايخ هذه الطريقة ، جمع بين الشريعة والحقيقة ، وكان ممن غلب عليـه الانس بالله ، والاتكال على مولاه ، عابد وقته ، وفاضل زمانه ، وكان رحمه الله تعالى من الائمة العارفين بالله ، واوليائه الذين ظهرت لهم البـركات ، وعرفوا باجابة الدعوة من اكابر أولياء الله ذوى المقامات والعرفان ، ممن أوتي الولاية صبيا وحل من رياسة الاولياء ، ومكانة الزهاد الاتقياء مكـانا عليا ، الشهير الذكر في حياته ، الباقية اقواله وافعاله بعد وفاته وما عسى أن أذكـر من جميـل أوصافه ، فهـو أجل قدرا ، وأشهر ذكـرا ، وكان أحد من اظهره الله هاديا لخليقته ، وأقامه داعيا لبسط كرامته ، مجللا بـرداء المحبة والمهابة ، مؤزرا بنشر القبول ، في قـلوب الخاصة والعامة ، فدعـا الخلق الى الله بالبصيرة الواضحة الانوار ، وارشدهم لعبوديته بـعقـائد التوحيد ، ووظائف الاذكار ، وكان رحمه الله ونفعنا به محبا فـي الفقـراء

والمساكين موثرا لهم في اعانة ملهوفهم ، والقيام بشؤونهم دؤوبا على فعل الخيرات ، وأنواع الطاعات ، حريصا على ايصال الخير أحباء الله ، يحب لكافة الناس ما يحب لنفسه ، ونشر الله له القبول في قلوب عباده ، فكانت الخاصة والعامة على غاية من حبه ، واجلاله ، يقدمونه على انفسهم وآبائهم، ويلهجون باقواله وأفعاله وكان ولاة الامر يقبلون شفاعته ، ويعظمون وسيلته، وكان يقول لاصحابه انما تكون السلامة في الدين بترك الطمع في المخلوقين شعر :

هـي القناعة لا تبغـي بهـا بـدلا	فيها النعيـم وفيها راحـة البدن
أنظر الى من ملك الدنيا باجمعها	هل راح منها بغير القطن والكفن

ومن كلامه رضي الله عنه في الزهد والتواضع والادب والصحبة والاخوة، الزهد زهدان زهد العوام في دنياهم ، وزهد الخواص في اخراهم ، ومقصود الـكـل مـولاهـــم ،

اصحب صاحب السنة حتى يقول الناس انك عبده ، واتـرك صاحـــب البدعة ولا تصحبه ولا تقف على بابه ،

من صحب الغافل ، حقت غفلته ، ومن صحب يقظانا حقت يقظته ،

ولله در الولي الصالح سيدي محمد بن سليمان الجزولي حيث قـال لو كتمت العلم ما ظهر التخصيص ، واتفقوا وقالوا تكلموا تعرفوا ،

القرآن للمتعبد بستان لاقح من استلذه بالجنان قام بحقه . توله به مـن سمعه من سيد الاعيان ، توله من سمعه من رسول السلطان ، مال عن نفسه من سمعه من الرحمن ، تعزى به من كان عينا لكل الاحسان ، وليـس هـذا الا للـواحد فـي الـزمـان ،

اذا لم تمتثل أمره فكيف تقول انك عبده ؟

أهل الضياء يأكلون النعم ، ويشكرون لمن لا ينام ، حرفة العارف وجود الشكر ، وحرفة الغافل بضده كلما وجده يراه من نفسه .

مـا التقوى الاعـز لاهـلـهـا ولا الفـضل الا وفـاء بسببها

العابد من لا راحة له دون ما أمره مولاه ، والزاهد من لا راحة له الا خروجه عن دنياه ، مصباح الطريق قصر الامل مع وجود التوفيق

ومن كلام سيدي أبي عمرو نفعنا الله به كن للدين لا تكن للـدنيا ، ان كنت للدين كلما أجابك منها طبت به ، وان كنت للدنيا كلما أجابك منها هلكت بـــه

وقال رضي الله عنه ما بينك وبين أخراك الا وجودك لدنياك قلت يشير والله أعـلـم للحديث التمسوها عند الفور أو الغـور

وقال اياك واثنين تكن عابدا حب الدنيا واتباع الهوى ، واياك واثنين تكن زاهدا حب الرياسة ومراعاة الشهـوات واياك واثنين تكن عارفـا ملاحظة الكون ، واتباع العمل واياك واثنين تكن واصلا لذة المناجاة وملاحظة المواهب ، واياك واثنين تكن خيارا : ألا تفهم أولك ، ولا آخرك تكن معتصما، (ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم).

ومن كلامه رضي الله عنه من كانت فيه ثلاثة ، صيانة أصله ، واحتكام اوقاته ، والمزية بما في يده ، فقد استحق الرضى من خالقـه ،

ومن كلامه رحمه الله ونفعنا به ، الاقطاب ، على ثلاثة أقسام قـطب يطوف بالبيت ، وقطب يطوف به البيت ، وقطب يستولي ويكون هو عـيـن البيت يطوف به غيره ، وهذا هو الاقل في زمانه ، (ذلك فضل الله يوتيه مـن يشاء ، والله ذو الفضل العظيـم)

ومن كلامه رضي الله عنه في القبض والبسط ، القبض نعمة ، والبسط رحمة فيجب على محب هذا الطريق أن يطلب القبض ويستلذه ، ولا يـطلب البسط ولا يستلذه ، لان العبد مع وجود القبض يقوم بحقوق الله ، وقليـل من يقوم بحقوق الله مع وجود البسط ، وأما الضعفاء فالقبض أولى لهم من البـسط ، ولكن مباسطة الاخوان رحمة وعبادة ، انبسط مع أخيك بـحـق وصدق ولا تنبـسط معـه بـكـذب

ومن كلامه رضي الله عنه في الخوف الخوف ميـزان للقاصديـن ، ومصباح للعارفين وتنعيم للمواصلين ، ومن لم يخف الله فليس من المحبين ، والمحبة واجبة على المومنين ، وهي أصل وللناس منها اقساط ، وهي التي

امر الله تعالى بها عباده على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله) الاية .

وقال رضي الله عنه خف الله حتى وان امنك وبعد ان يؤمنك خفه لكي لا يمكر بك ، والمكر منك ياتي اولا لقوله تعالى (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) فمن امن قبل أن يخاف خاف من مكر الله ، وتجد اكثر الناس على تلك الحالة يتهاونون بالامور ، من خاف استوى في العمل واخذ فيما هو المطلوب ،

وقال رضي الله عنه المسكين الذي أقام دينه وعرف هواه واستقبل اخراه وسلم الامور لمولاه وليس المسكين الذي عدمت الدنيا من يده انما المسكين الذي حقت المعرفة في قلبه وهؤلاء هم المساكين الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلني مسكينا الحديث ،

وقال رضي الله عنه ما اعطي للعبد العقل الا ليطلب سلامته وسلامته في دينه وفي ورعه فان كان هكذا فقد اخذ نصيبه من دنياه ، وان لم يكن هكذا فلم تزده دنياه الا هلاكا ويكون فيها كالبهيمة تغدو وتروح لمعلفها ، ومن طلب السلامة قصد اهلها ولا يقصد سواهم ، وأهل السلامة هم أهل الدين يتواصون على ذلك وليس لهم الا اليقين ، وقال رضي الله عنه الزاهد في الدنيا يظهر اثر الزهد عليه لاخوانه ، والزاهد في الكون كله متوسعا لا يضيق عليه شيء وجد المطلوب لا عليه مما سواه هنيا سواء عليه اكانت الزيادة ام النقصان، ولا يضيق صدره بأحدهما ونيف يتعين زهده من هو كذلك ،

وقال رحمه الله تعالى ورضي عنه الزهد زهدان زهد في الدنيا وشهواتها وزهد فيما سوى الله ، فمن زهد في الدنيا فقد زهد في الظلام ، ومن زهد في الآخرة ونعيمها وما اعد الله فيها لعباده فقد زهد في النور ، ومن زهد في النور شاهد المنور . واذا نظرت بعقلك هاتين الحالتين وجدت من زهد في الدنيا اقوى ممن زهد في الآخرة ، وليس الامر كذلك فزهد العوام في دنياهم ، وزهد الخواص في اخراهم ، فهؤلاء زهدوا في الدنيا وبقوا مع الآخرة ، وهؤلاء زهدوا في الآخرة وبقوا مع مولاهم ، وقليل ماهم ،

ومن كلامه رضي الله عنه ، الادب يحضن القلوب ، ولا يكون الا في ذات محب أو محبـوب وغيرهمـا عن ذلك محجوب .

مفتاح أهل العرفان ، سنة سيد ولد عدنان ، السنة وان قلت أعاد فضلها، والبدعة وان كثرت لا فضل لـهـا

انواع البدعة كالظلام ، وأنواع السنة ضياء من لا ينام ، والشيطان يتهيا للجاهل من حيث هواه ، وللعالم من حيث رضاه ، وللولي من حيث رياسته ، وللملك من حيث استدعاء قـهـــره،

العدل في الزمان على قدر أهله ، من لم يعتدل من ثلاث لا يعافى أبدا دنياه وأخلاقه وأصحاب سوء ان كانوا له ، قالوا : جولة بجولة ، الشوق أولا، وقلنا : صولة بصولة ، الحب أولا ، من صال بحب مولاه ، حق عزه فـــي دنيـــاه وآخـــراه ،

الناس يطوفون بالجدار ونحن نطوف بدرب الدار الناس يسبحـــون في الفيافي والقفار ، ونحن نسبح العزيز الغفار ، الناس يسيرون بالاقدام، ونحن نسير بالقلوب لمن لا ينام ، الناس يرتقون اليه بأمره ، ونحن نـرتقـى به منـه اليـه ، ذلك فضل الله ،

لا يكمل التوحيد الا بوجود الارسال ، هم الخلفاء ومن أتناهم من أهل الوصال ، يا مريد الراح عليك بالوفاء والاصطلاح ، وأحب أهل الفـلاح الناس نيام واليقظان غافل فيما بينهم ، لو انتبهوا لكان ما عمه عمهم ،
نوافل الخيرات ، دواعي الايات ، من عمر بالنوافل وقته ، كانت الآيات تـأتي لقلبـه ،

الـــذكـر لـه شـروط ثـلاثـة الـزمـان والمـكـان ، والاخـــوان فـالزمـان يـاويـك مـــن الآفـات والـمـكـان يـسـتـر عـلـيـك الآيات ، والاخوان يأخذون منك الكرامات ، لا تنح الا مع من يبكي معك ولا تعطف الا على من يراه لك ، ولا يكون بك ذلك الا قصد مولاك ،

لولا أهل العرفان ، الساكنون في الجنان ، لا فائدة في وجود الاكوان ،

ومن كلامه رضي الله عنه من كان عارفا موقنا فعليه بتعظيم المولى وهيبته ان أراد أن يكون من الاحياء ، قال الله تعالى (أحياء عند ربهم يرزقون) ،

ومن كلامه رضي الله عنه في التوبة ، أطلب التوبة في كل احوالك لعل المولى جل جلاله يقبل عليك ، لا يقف أحد دون توبة ولو بلسانه ، يجب على العبد التوبة لا عليه ،

وقال رضي الله عنه حب الدنيا رأس كل خطيئة الحديث التقوى راس كل عطية من لم يسع بتقواه لا يدعى عمله ولا معرفته ولا وصوله ،

وقال رضي الله عنه أسرع للواجب واستعمل السنة وافعل بالكل تلق ما تتمناه، من فتحت بصيرته بالكمال ، كانت الاشياء عنده لا تعدل بشيء وقال رضي الله عنه ، لو كانت الدنيا بمقدار ، لما توالت بالاكدار ، من كان عبدا لصنفه فلا خير في وقته ، ومن كان عبدا لامنة فيه وقال الناس كالبهائم ان لم تكن لهم القلوب ، وهم كالطيور ان كانت لهم القلوب لا تصح الا مع قلبك ، ان أردت ملقى مولاك تهب العقل كله ، اذا تعلقت بالقلب وتعينت لوصفه والمراد منك قلبك لا سواه

وقال رضي الله عنه في الزائرين : الزائر على ثلاثة اقسام ، أما مودة، أو افادة أو عادة فالمودة أعلى وهي زيارة الفضل والافادة دونها وهي طلب الاعانة على الدين ، ثم العادة ، شعر

بلغ بجودك قصدي من زيارته	فهي المنى وهو سؤي وهو حاجاتي
كيف البلاغ(1) الى ذاك المقام ولا	زاد يعين على قطع المفازات
لكن بفضلك يا من لا شريك له	أرجو البلاغ واحظي بالسعادات
نشدتك الله يا حاد سرى لمذى	يطوي السباسب بالعيس النجيبات
يؤم مكة والبيت العتيق على	طول المسافات سعيا في المثوبات
ان جئت يثرب من بعد الحجيج وقد	أديت فرضك في تلك المقامات
بلغ الى خير خلق الله كلهم	عن المشوق له أزكى التحيات
صلى الاله عليك دائما أبدا	ما غنت الورق في دوحات جنات
ثم الرضى وسلام طيب عطر	على الصحابة اقمار الدجنات

1) الصواب البلوغ

عدد المراحل من مدينة مراكش الى المدينة المشرفة

وعدد المراحل على سبيل التفصيل من مدينة مراكش الى المدينة المشرفة من مراكش الى مزكيطة احدى عشرة مرحلة ، من أول درعة الى منتهاه عشر مراحل ، منه لتبلبالت عشر مراحل ، من تبلبالت لتوات ثلاث عشرة مرحلة في قرى توات من أولها الى آخرها خمس مراحل ، من آخر توات لبلاد فزان ثلاث وخمسون مرحلة في معمور فزان ثلاث عشرة مرحلة من فزان لوجلة سبع عشرة مرحلة ، من وجلة لسيوة أربع عشرة مرحلة من سيوة لبحر النيل ست عشرة مرحلة ، من مصر لمكة خمس وثلاثون مرحلة ومنها للمدينة المشرفة احدى عشرة مرحلة ، الجملة مائتا مرحلة وثمان مراحل ، شعر

اليك رسول الله بالمدح ارجع	وأشكو باحوالي اليك وارفع
توسلت للباري بجاهك انه	عظيم وفي كل المهمات ينفع
جعلت دوائي في ثنائك انه	شفاء به يبرأ الفؤاد الموجع
وصيرته صونا وحصنا لمهجتي	وعونا به كل الشدائد ادفع
اذا اشتد امر او تعرض حادث	او استد باب أو توعر مهيع
وان ضاق بالسما متسع الفضا	فمدحك يا خير الورى يتوسع
فان كنت فيها أؤمل نجدة	ظفرت واحظى بالذي أنا اطمع
وان طاعني فيكم لساني وخاطري	فنجحي بعون الله لا شك اطوع
عياذي ملاذي انتم عند شدتي	وسؤلي ومرغوبي بكم اتضرع
ثناؤك في سمعي لديك وفي فمي	وحبك في قلبي له اليوم موضع
عليك سلام الله ما فاه ناطق	بذكرك يا من جاء بالحق يصدع

هاهنا انتهى الغرض من هذا الكتاب، مستوفيا للشرط الذي التزمناه، واليه سبحانه جميل الضراعة ، في المنة بقبول ما منه لوجهه ، والعفو عما نخلله من تزين وتصنع لغيره ، وان يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه ، وان يحمي اعراضنا من ناره الموقدة ، ويجعلنا من الواردين اذا ذيذ المبدل عن حوضه ، ويجعلنا ولمن اعتنى باكتتابه واكتسابه ، سببا يصلنا باسبابه ،

وذخيرة نجدها (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا) نحـوز بهـا رضاه وجزيل ثوابه ، ويحشرنا في زمرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وجماعته ، ونحمده تعالى على ما هدى اليه من جمعه والهم ، وفتح البصيرة لدرك حقائق ما اودعناه وفهم ، ونستعيذه جل اسمه من دعاء لا يسمـع ، وعلم لا ينفع ، وعمل لا يرفع ، وهو الجواد الذي لا يخيب من امله ، ولا ينتصر من خذلـه ، ولا يرد دعوة القاصدين ، ولا يصلح عمل المفسدين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

قصيدة في مدح المدينة المشرفة

ولنختتم هذا الكتاب بهذه القصيدة المباركة ، في مدح المدينة المشرفة :

دار الحبيب احق ان تهـواهـا ... وتحن من طرب الى لقيـاهـا
وعلى الجفون مهما همت بزورة ... يا ابن الكرام عليك أن تغشاها
فلانت انت اذا حللت بطيبـة ... وظللت ترتع في ظلال ربـاهـا
مغنى الجمال منى الخواطر والتي ... سلبت عقول العاشقيـن حـلاهـا
لا تحسب المسك الذكي كتربهـا ... هيهات اين المسك من ريـاهـا
طابت فان تبغ التطيب يا فتـى ... فـادم على الساعـات لثم ثراهـا
وابشر ففي الخبر الصحيح مقررا ... ان الالـه بطـابـة سمـاهـا
واختصها بالطيبين لطيبـهـا ... واختارها ودعا الـى سكناهـا
لا كالمدينـة منزل وكفـى لـهـا ... شرفا حلول محـمد بفنـاهـا
حظيت بهجرة خير من وطيء الثرى ... واجلهم قدرا فكيـف تـراهـا
كل البـلاد اذا ذكرن كـاحـرف ... في اسم المدينة لا خلت مغناها
حاشا مسمى القدس فهي قريبـة ... منهـا ومكـة انـهـا ايـاهـا
لا فـرق الا ان ثـم لطيـفـة ... مهمـا بدت يجـلو الظلام سناها
جزم الجميع بان خير الارض ما ... قد حاط ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها عـلت ... كالنفس حين زكت زكي ماواهـا
وبهـذه ظهـرت قرينـة طيبـة ... فغدت وكل الفضـل في معناهـا
حتى لقد خصت بـروضة جنـة ... الـلـه شـرفهـا وحيـاهـا

ما بين قبر النبي ومنبر ... حيا الاله رسوله وسقاها
هذي محاسنها فهل من عاشق ... كلف شحيح باخل بنواها
اني لأرهب من توقع بينها ... فيظل قلبي موجعا أواها
ولقلما ابصرت حال مودع ... الا رثت نفسي له وشجاها
فلكم أراكم قافلين جماعة ... اثر اخرى طالبين سواها
قسما لقد انكى فؤادي بينكم ... نارا وفجر مقلتي مياها
ان كان يزعجكم طلاب فضيلة ... فالخير أجمعه لدى مثواها
او خفتم ضراها فتأملوا ... بركات بلغتها فما أزكاها
اف لمن يبغي الكثير لشهرة ... ورفاهة لم يدر ما عقباها
والعيش ما يكفي وليس هو الذي ... يطغي النفوس ولا حسيس مناها
يا رب أسأل منك فضل قناعة ... بيسيرها وتحببا لحماها
ورضاك عني دائما ولزومها ... حتى توفى مهجتي أخراها
فانت الذي أعطيت نفسي سؤلها ... وقبلت دعوتها فيا بشراها
بجوار أوفى العالمين بذمة ... واعز من بالقرب بياها
من جاء بالآيات والنور الذي ... داوى القلوب من العمى فشفاها
وأولى الانام بخطة الشرف التي ... تدعى الوسيلة خير من يعطاها
انسان عين الكون سر وجوده ... (يس) اكسير المحاسن طه
حسبي ولست أوفي بذكر صفاته ... ولو أن لي عدد الحصا أفواها
كثرت محاسنه فأعجز حصرها ... وغدت وما يلقى لها أشباها
اني اهتديت من الكتاب بئاية ... فعلمت أن علاه ليس يضاها
ورأيت فضل العالمين محددا ... وفضائل المختار لا تتناها
كيف السبيل الى تقصي مدح من ... قال الاله وحسبك جاها
(ان الذين يبايعونك انما ... فيما يقول ـ يبايعون الله)
هذا الفخار فهل سمعت بمثله ... واها لنشأته الكريمة واها
صلوا عليه وسلموا فبذا لكم ... تهدى النفوس لرشدها وغناها
صلى عليه الله غير مقيد ... وعليه من بركاته انهاها
وعلى الاكابر ءاله سرج الهدى ... أحبب بعترته ومن والاها
وكذا السلام عليه ثم عليهم ... وعلى عصابته التي زكاها
وعلى الاكابر ءاله سرج الهدى ... جلة التقى ومن اهتدى بهداها
والحمد لله الكريم وهذه ... نجزت وظني أنه يرضاها

يحكى أن ناظم هذه القصيدة المباركة الشيخ الصالح ولي الله تعالى أبـا محمد عبد الله البسكري رحمه الله تعالى ونفعنا به لما ختم هذه القصيدة سمع قائلا من قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم يقول : رضينا رضيناها ، وذكر الفقيه العـلامة أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل القـاسم الـرصاع في كتابه المسمى بتذكرة المحبين ، في شرح أسماء سيد المرسلين ، ان ناظم هذه القصيدة لما أراد السفر من المدينة المشرفة على ساكنها افضل الصلاة والسلام رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فقال له توحشناك يا أبـا عبد الله فكانت هذه سببا لنظم هذه القصيدة المباركة .

وهنا انتهى الغرض والمراد من هذا الكتاب ، كـمل الله مرادنا بجـاه سيـد ا محمد عـليه السلام

انتهـت الرحـلة المبـاركـة المسـمـاة

أنـس السـاري والسـارب

مـن أقـطـار المغـارب

الـى منتهـى الآمـال

والمـآرب سيـد

الاعـاجـم

والاعـارب

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما

الفهرس الاول

الاعلام التاريخية

الفهرس الثاني

الاعلام الجغرافية

الفهرس الثالث

الكتب المذكورة في الرحلة

الفهرس الرابع

الاحاديث النبوية والآثار

1) اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ورق نقشه محمد رسول الله وكان بعده في يد أبي بكر ثم في يد عمر بعده ثم في يد عثمان رضي الله عنهم ، حتى وقع في بئر أريس الخ (عن ابن عمر رضي الله عنهما) 105

2) ألم ترى قومك حين بنو الكعبة اقتصروا على قواعد ابراهيم عليه السلام حين عجزت بهم النفقة ؟ ثم قال عليه السلام الخ (عن عائشة رضي الله عنها) 81

3) اللهم اجعلني مسكينا (139)

4) اللهم اكفني ما اهمني وما لا اهتم به اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي (هذا ما كان يقوله عليه السلام عند خروجه لسفر) (11)

5) اللهم بارك لامتي في بكورها (11)

6) اذا أراد الله بعبده خيرا صادف معروفه حاجة أخيه (10)

7) اذا أطال احدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلا (عن جابر بن عبد الله رواه الشيخان (12)

8) اذا رضي الله تعالى عن العبد أثنى عليه سبعة اضعاف من الخير لم يعملها وقال في السخط مثله (عن أبي سعيد الخدري رواه أبو داود) (14)

9) اذا سافرتم في الخصب فاعطوا الابل حقها من الارض واذا سافرتم في الجدل فاسرعوا عليها السير ـ الخ ـ (مسلم) (10)

10) ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء (11)

11) ان الله اذا أحب عبدا دعا جبريل فقال اني أحب فلانا فاحبه قال

فيحبه جبريل فينادي في السماء ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض (عن أبي هريرة رضي الله عنه رواه مسلم) (14)

12) ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم (90)

13) ان الله عزوجل ينزل كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة على هذا البيت ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين (عن ابن عباس رضي الله عنهما (84

14) ان حول الكعبة من قبور الانبياء ثلاثمائة قبر نبي وان ما بين الركن اليمني والركن الاسود لقبور سبعين نبيا (83 — 84)

15) أفضل الصدقة سقي الماء (عن سعد بن عبادة رضي الله عنه) (38)

16) أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة (عن أبي هريرة رضي الله عنه) (39).

17) ثلاثة لا ترد لهم دعوة المظلوم والمسافر ودعوة الوالد على ولده رواه الترمذي (10)

18) جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني أريد سفرا فزودني فقال زودك الله التقوى ، فقال زدني قال ، وغفر ذنبك فقال زدني بأبي أنت وأمي ، قال ويسر لك الخير حيث كنت (عن أنس ابن مالك رضي الله عنه (رواه الترمذي) (12)

19) جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ، يا رسول الله اني أريد سفرا فأوصني قال عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف، فلما ولى الرجل قال اللهم اطوله البعيد وهون عليه السفر. (عن أنس بن مالك رضي الله عنه) (12)

20) الحجاج والعمال وفد الله ان دعوه أجابهم وان استغفروا غفر لهم (عن أبي هريرة) ز

21) حمزة سيد الشهداء ولولا أن تجزع صفية لتركت دفنه حتى يحشره الله تعالى من بطون الطيور والسباع (107)

22) دحيت الارض من مكة وأول من طاف بالبيت الملائكة وما من نبي هرب من قرية الخ (83)

23) الركن يمين الله في الارض يصافح بها عباده كما يصافح أحدكم أخاه فمن لم يدرك بيعة رسول الله فمسح الحجر فقد بايع الله ورسوله الخ (84)

24) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استوى على بعيره خارجا يريد سفرا كبر ثلاثا وقال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وأنا الى ربنا لمنقلبون. (8)

25) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قدم من سفر تلقاه صبيان المدينة ثم انه قدم من سفر ـ الخ ـ رواه عبد الله بن جعفر رضي الله عنه (12).

26) اذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ودع أحدا اخذ بيده فلا يدعها النبي صلى الله عليه وسلم حتى يكون هو الذي يدعها ، ثم يقول صلى الله عليه وسلم استودع الله دينك وامانتك وخواتم أعمالك (قاله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، رواه الترمذي وأبو داود) (10)

27) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقدم من سفر الا نهارا في الضحى فاذا قدم بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين (عن كعب بن مالك رضي الله عنه) (13).

28) كل بني أم ينتمون الى عصبتهم الا ولد فاطمة فاني أنا أبوهم وعصبتهم (عن فاطمة الزهراء رضي الله عنها) (12)

29) الكعبة محفوفة بسبعين ألفا من الملائكة يستغفرون لمن طاف بها ويصلون عليه (84).

30) لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم، لا اله الا الله رب السماوات والارض ورب العرش الكريم (ما كان يدعو به عليه السلام عند الكرب (رواه البخاري ومسلم) (12)

31) لا تركب البحر الا أن تكون حاجا أو معتمرا أو غازيا في سبيل الله (عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما) (12) .

32) لما كانت ليلة اسرى بي اتيت علي رائحة طيبة فقلت يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة قال هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها قلت وما شأنها الخ (عن ابن عباس رضي الله عنهما) (46)

33) ليس من صدقة أعظم أجرا من ماء (عن أبي هريرة رضي الله عنه) (39).

34) ما أتيت الركن اليماني قط الا وجدت عنده جبريل عليه السلام وهو يقول يا واحد يا ماجد لا تسلبني نعمة أنعمت بها علي (84).

35) ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة (116)

36) ما بين روضتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي عن أبي هريرة (99)

37) ما خلف أحد عند أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم عند خروجه لسفره (11)

38) ما من عبد مؤمن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه (رواه الترمذي) (75)

39) المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل (8)

40) من أدخل على مومن سرورا فقد سرني ومن سرني فقد اتخذ عند الله عهدا فلن تمسه النار (عن ابن عباس رضي الله عنهما) (39).

41) من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها (عن ابن عمر رضي الله عنهما) (116).

42) من توضأ فاحسن وضوءه ، ثم جاء مسجد قبا فركع فيه أربع ركعات كان ذلك عدل عمرة (رواه الترمذي) (104).

43) من جاءني زائرا لا يهمه الا زيارتي كان حقا على الله سبحانه أن أكون له شفيعا (116).

44) من حج حجة ادى فرضه ، ومن حج ثانية داين ربه ، ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار (85) .

45) من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه البخاري (ز)

46) من زارني بعد وفاتي فكانما زارني في حياتي (116).

47) من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعا يوم القيامة (عن أنس بن مالك رضي الله عنه).

48) من مات على حب آل محمد مات شهيدا الا ومن مات على آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ، ثم منكر ونكير – الخ (111 – 112).

49) من مات في أحد الحرمين غفر له (84)

50) من مات في أحد الحرمين من حاج أو معتمر بعثه الله يوم القيامة لا حساب عليه ولا عذاب (ومن طريق آخر بعث من الآمنين يوم القيامة) (115).

51) من مات وهو موسر لم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ح).

52) من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج بيت الله فلا عليه ان يموت يهوديا أو نصرانيا (عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه) ح.

53) من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت عنه جهنم مسيرة عام وتقربت منه الجنة مسيرة مائة عام (عن أنس بن مالك رضي الله عنه) ح.

54) من سقى الناس في موضع لا يقدر على الماء فيه فله بكل شربة يشربها البر والفاجر عشر حسنات تكتب له (عن أنس بن مالك رضي الله عنه) (38).

55) نزل الحجر من الجنة أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم عن ابن عباس رضي الله عنهما (رواه الترمذي) (83).

56) صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام (عن أبي هريرة رضي الله عنه) (116).

57) عليكم بالدلجة فان الارض تطوي بالليل (أبو داود) (10)

58) العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة (عن أبي هريرة رضي الله عنه) (ح).

59) عن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على حـمزة وام يصل على أحد من الشهداء الخ. (106)

60) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال (كنت طائفا مع النبي صلى الله عليه وسلم بيت الله الحرام فقلت فداء أبي وأمي يا رسول الله مـا هـذا البيـت ؟

فقـال يا علي سس الله هذا في دار الدنيا كفارة للذنـوب قلت الـخ (83)

61) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجر (والله ليبعثـه الله يوم القيامـة له عينان يبصر بهما ولسـان ينطق به يشهد لمن استلمـه بـوفاء وصدق (عن ابن عباس رضي الله عنهما) (83).

62) قال علي كرم الله وجهه لرسول الله صلـى الله عليه وسـلم أرأيت ان ولد لي ولد بعدك أسميه باسمك واكنيه بكنيتك قال نعم (111)

63) قيلوا فان الشياطين لا تقيل (90)

64) قيل يا رسول الله أفي جلسائنا خير ؟ قال من ذكركم الله رأيته وزادكـم في علمكم منطقه وذكركم بالآخرة عمله عن ابن عباس رضي الله عـنهـما (13)

65) قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهـم قال علي وفاطمة وابناهما (112)

66) هذا البيت دعامة الاسلام من خرج من بيته يطلب هذا البيت من حـاج أو معتمر كان مضمونا على الله أن يدخله الجنـة ان قبضه وان رده بأجر وغنيمـة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه (ح)

67) وجبت محبتي للمتحابين في والمتجالسين في ـ عن معاذ بن جبل رضي الله عـنه (14)

68) وقف جبريل عليه السلام وعليه عصابة خضراء قد علاها الغبار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا الغبار الذي على عصابـتك أيـهـا الـروح ؟ فقال ان الملائكة أمرت بزيارة هذا البيت فازدحمت عـلى

الركن فهذا الغبـار الذي تراه ما تثيره الملائكة باجنحتها (عن ابن عبـاس رضي الله عـنهـما (84)

69) يا أرض ربي وربك الله ، أعوذ با لله من شرك وشر ما خـلق فيك وشر ما يدب عليك ، واعوذ بك مـن أسد وأسود ومن الحيـة والعقرب ومـن ساكن البلد ومن والد وما ولد (كان يقوله عليه السلام اذا جن عليه الليـل فـي سـفـر (12)

70) يا حي يا قيوم برحمتك استغيث (هذا ما كان يقوله عليه السلام اذا أحزنـه أمر (رواه الترمذي) (12)

71) ينزل على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة ستـون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين (عن ابن عباس رضـي اللـه عـنـهما (ح)

72) قيل يا رسول الله ، من أهل الجنة ؟ قال من لا يمـوت حتى يمـلأ مسامعه مما يحب (عن أنس بن مالك رضي الله عنه) (14)

الفهرس الخامس

المساجد

الفهرس السادس

مصطلحات مناسك الحج

الفهرس السابع

الالفاظ العامية

مطبعة محمد الخامس
الثقافية والجامعية
فاس (المغرب)

2000 — 443
محرم 1390 ـ الموافق ابريل 1970

جدول اصلاح الخطا بكتاب انس الساري والسارب لابن مليح

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
ه	10	وهي اثنى عشر يوما	وهي اثنا عشر يوما
ط	20	صحيحه	في صحيحه
4	9	عام احدى وستمائة	عام احد وستمائة
10	15	وعرستم	واذا عرستم
14	24	فلا ينكر الزديق	فلا ينكر الزنديق
18	11	بلاسى	بلاني
19	16	وحيب	ونحيب
67	16	أو اكثر ان اتفقت	أو أكثر وان اتفقت
"	18	اللؤلوء	اللؤلؤ
89	3	الثاكلاث	الشاكلات
96	14	وقد جاوزوا	ر د جاوروا
108	8	سمعت مالك	سمعت مالكا
111	13	أن ولد لي ولد	ان ولد لي ولد
118	6	أنت له	أست له
131	3	لاقضاء	لانقضاء
	7	الحرير امدبج	الحرير المدبج
153	23	ذو سون ىن ىراهيم	ذو النون بن ابراهيم
156	11	محمد بلعفيه	محمد بن الفنيه
	15	محمد بن هيبة الله	محمد بن هبة الله
	27	العقداد بن الاسود	المقداد بن الاسود
157	29	عاقة	عافة
158	6	عبد الله ىيجي	عبد الله الجيبي
	19	ابن قسيمة	ابن فصيمة
160	6	على بحل المرابط	على نجل المرابط
161	23	سنن بن انس	سنان بن أنس
162	5	شطة ابنة فرعون	ماشطة ابنة فرعون
165	14	اريس بىر	بئر أريس
166	8	باب تاغزت	باب تاغزوت
167	19	تاسايوت	تسايوت
168	3	تنية الوحل	ثنية الوحل
	17	الحردة	الحريدة